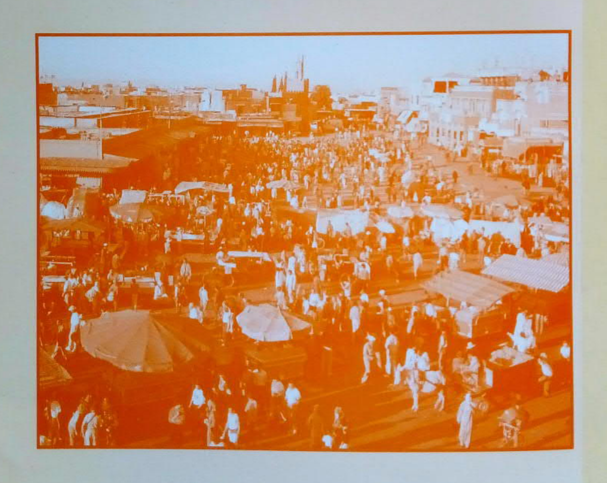
منشورات النادي الجراري
- 25 -
من نصوص الرحلات المغربية

عشرة أيام في مرّاكش

لعبد الله الجرّاري



تحقيق : د. عبد المجيد بنجلالي
تقديم : د. عبـــاس الجـــرَاري

منشورات النادي الجراري
- 25 -
من نصوص الرحلات المغربية

عشرة أيام في مرّاكش

لعبد الله الجرّاري

تحقيق : د. عبد المجيد بنجلالي
تقديم : د. عبـــاس الجـــرّاري

العنوان : عشرة أيام في مراكش
لعبد الله الجراري
المطبعة : بني ازناسن 13، الحي الصناعي الزهراء الولجة - سلا
الطبعة الأولى : 2002
رقم الإيداع القانوني : 2002/1557
ردمك :8 - 2 - 8019 - 9954

بسم الله الرحمن الرحيم

تُعتبر «الرحلة» من بين أهم الفنون والأجناس الكتابية التي عُنِيَ بها الأدب العربي في مختلف عهوده ومراحله. ومَرَدُّ هذه العناية إلى الرغبة في تدوين المشاهد وتسجيل اللقآت، والكشف عن المشاعر النابعة من تجربة السفر وما قد يرتبط بها من نافع مفيد أو ممتع لذيذ أو طريف عجيب ؛ إضافة إلى ما يتيحه كل ذلك من تعبير قد لا يخلو من مسحة جمالية بديعة.

ويزيد في هذ الرغبة ما يعرفه الإطار الجغرافي للرحلات، من اتساع يشمل الأقطار العربية والإسلامية الشاسعة، وحتى غيرها من الأقاليم الأجنبية التي كان للعرب والمسلمين معها روابط وعلاقات، تعاونية سلمية، أو نُفوذية صِدامية. وهي كُلها بلدان تزخر بمظاهر حضارية متنوعة، وظواهر ثقافية متعددة، تُغرِي المسافر بالتقاطها والتحدث عنها، والإخبار بها فيما يَحكي أو يَكتب.

ولأمرٍ ما، يبرز المغاربة في هذا النمط من التعبير، وكان لهم فيه نصيبٌ وافر ؛ رُبَّما بسبب بُعدهم عن المشرق، ووجود موقع بلدهم في أقصى المغرب ؛ وكذا بسبب شوقهم الكبير والدائم لزيارة البقاع المقدسة وأداء فريضة الحج، والتوقف في طريق الذهاب أو العودة ببعض العواصم الشهيرة، كالقاهرة ودمشق والقدس الشريف، للصلاة في مساجدها، والتبرُّك بمزاراتها، والاتصال بعلمائها، ولاسيما الذين يكون صيتهم قد ذاع، أو تكون مؤلفاتهم متداولة.

إلا أن الأسفار المغربية لم تكن مقصورة على هذا التوجه الذي أنتج «رحلات حجازية» كثيرة، ولكن تجاوزته إلى مجالات أخرى، كالزيارة أو السفارة إلى بلدان إسلامية أو غيرها.

وإذا كان فن الرحلة قد ارتبط في الغالب بهذا البُعد الخارجي الذي وقع الاهتمام به، فإن بُعداً آخر لم يُلتفت إليه إلا نادراً، كان كذلك حافزاً للكتابة في هذا الفن وإغنائه، وهو المتصل بالإطار الداخلي الذي انبثقت عنه رحلات كان يقوم بها علماء وأدباء، يَصِفُون فيها تنقلاتهم وجولاتهم في المدن المغربية، بكل ما يذكرونه أو يرسمونه عنها، سواء على النطاق الجغرافي والتاريخي، أو العلمي والأدبي، أو

الاقتصادي والاجتماعي، أو غير ذلك مما يكون شدَّ كاتب الرحلة وارتبط باهتمامه وماله فيها من غايات.

ويكاد الوالد رحمه الله - وهو معروف بسعة ثقافته ووفرة إنتاجه - أن يكون أكثر معاصرية عناية بهذا المجال، إذا ألف فيه سبعة نصوص، تبدو لأول وهلة أنها متفرقة بحكم الزمان والمكان، ولكنها في الحقيقة، بتناسقها وتكاملها وما ترمي إليه من أهداف، تُشكل عملاً واحداً يمكن أن نطلق عليه : «الرحلة المغربية»[1] ؛ وتتضمن :

1) جولة في وجدة (1358 هـ 1939 م).

2) الرحلة الربيعية إلى عاصمة فاس العلمية (1362 هـ - 1943 م).

3) رحلتي الصيفية (1368 هـ - 1949 م).

4) الرحلة السطاتية (1357 - 58 هـ - 1939 م).

5) عشرة أيام في مراكش(1353 هـ - 1934 م).

6) قرة العيون من سبعة أيام في مكناسة الزيتون وجارتها زرهون (1355 هـ - 1936 م).

7) نزهة الاقتباس من خمسة أيام في فاس(1354 هـ - 1936 م).

وهي جميعا تكتسي أهمية قصوى، لانتماء فترة تحريرها إلى عهد الحماية الذي كان فيه الحصار الاستعماري يُطوق أرجاء المغرب ويَخنق فكر أبنائه، خاصة منهم العاملين في حقل التعليم والوطنية ؛ وهو الحقل الذي كان يتحرك فيه كاتب هذه الرحلات جزاه الله وأثابه، ويَعتبره مجال جهاد كبير.

ولهذه الأهمية، تناول الباحث القدير، الأستاذ الصديق الدكتور عبد المجيد بن الجيلالي هذه النصوص، وأنجز عنها أطروحة قيمة سعدتُ بالإشراف عليها، وتقديم القسم الدراسي الذي نشر منها بعنوان : «مقاربة دراسية لرحلات عبد الله الجراري : 1934 - 1956م ». وهي تضم - في الأصل إلى جانب هذا القسم - نص رحلتين

---

(1) إضافة إلى رحلة خارج المغرب، وهي : «ملخص الرحلة الليبية» (1956 م).

اثنتين هما :

1) عشرة أيام في مراكش.

2) الرحلة الربيعية إلى عاصمة فاس العلمية.

وإن هذا السِّفر الجليل الذي أعتز بتقديمه للمعتنين وعموم القراء يُمثل جزءاً ستتلوه إن شاء الله أجزاء أخرى يحقق فيها الأستاذ الباحث بقية نصوص «الرحلة الجرارية». وهو منصب على «عشرة أيام في مراكش»، كان المؤلف المرحوم قد قضاها في هذه المدينة الساحرة الجميلة خلال شهر جمادي الثانية عام 1353 هـ (الموافق 1934 م).

وأشهد أن العمل في هذا النص لم يكن سهلاً ولا ميسَّراً، لإيراده أسماء أعلام ومواقع، ولاحتوائه معلومات مختلفة، ولإثارته قضايا كثيرة كانت بنتَ وقتها. وهي مصاعب ما كان يمكن تجاوزها والتغلب عليها، لولا حنكة المحقق وتمرُّسه وصبره وأناته، وشغفه بالبحث الدقيق مهما يكن شاقا وشائكا.

لذا، فإن سعادة كبيرة تغمرني بتقديم هذه الرحلة منشورة، آملا أن تكون إضافة

إلى ما أنتجه المغاربة في هذا الميدان، وأن يفيد منها المعتنون بفكر المغرب وأدبه وسائر متعلقاته، إبَّان فترة مازالت كثير من جوانبها مجهولة أو غامضة.

أما الباحث المحقق الأخ الكريم السيد عبد المجيد بن الجيلالي، فله مني بالغ التنويه وفائق التقدير، مشفوعين بخالص الدعاء أن يديم الله عليه معهود عونه وتوفيقه.

الرباط في 23 جمادى الأولى 1423 هـ

الموافق 3 غشت 2002 م

عباس الجراري

بعض الرّموز التي قد يصادفها الباحث

م خ ع : مخطوط الخزانة العامة.

م خ م
م خ ح] مخطوط الخزانة الملكية (الخزانة الحسنية)

م خ ص : مخطوط الخزانة الصبيحية.

م خ : مخطوط خاص.

(م) في الشعر: بيت مدوّر.

(م) في الهامش : هامش المؤلّف.

[م] ما بين المعقوفين: ليس في الأصل، أو بياض في الأصل، أو رقم نهاية الصفحة في المخطوط، أو اقتراح بديل مع الإشارة إلى الأصل في الهامش.

بسم الله 19 جمادى الثانية عام 1354 هـ .

عشرة أيام في مراكش

طالما تاقتْ نفسي وطمحتْ عواطفي نحو قاعدةِ المغرب (حمراء الجنوب) . فتراني لزيارتها مُبرِماً مواعدَ صادقةً تأبى الأقدارُ إلاّ أن تُعاكسها وتعمل دون تنفيذ مرماها [ممّا] [1] دفعني لتعليل النّفس وتسليتها بقول الموحِّد[م] :[وافر] .

دعِ الأيام تفعل ما تشاءُ وطِبْ نفْساً بما حَكَمَ القضاءُ[2]

نعم، عقدت النّية على الزيارة بعزْمات صحيحة لا تَثنيها كوارثُ الدّهر المتراكمة، وفواجعه المتتابعة، برغم ما أجوِّزه من تلك العقبات الكأْداء لدى محطات الكراء . فممّا يَلْفتُ النّظر في مراكز السيارات ومكاتب التذاكر؛ أنك ترى المسلم مهما حاول أخْذَ درجةٍ أُولى أو ثانيةٍ، على الأقلّ، يأبوْن عليه إن كان من تلك الطبقات غير البارزة، أو يُنظرونه إن كان ذا هيأة وبِزّة[3] جاذبةٍ إلى ساعة الرحيل احتياطا لعلّ هناك أجنبيا يُدّخر له ذلك المقعد . فقل لي بخالقك أمِنَ العدل هذا؟ أم من الإنسانية؟ أم ممّاذا؟ أليست تلك السّيّاراتُ عمومية يشترك فيها الوطنيُّ وغيره سويّةً لا فرق بين المسلم وغيره، والمتديِّن وعكسه، والصالح والطالح، والبارز والخامل . . الكلُّ أبناء الإنسان العامل في هذا المعترك الحيوي لجلب المصالح، ودفع المضارِّ وياما أكرَمَ مفعولهما[إذا] ما كان عامّا . والعجب الذي يَقِفُ النّاظر متأملا، أنه قلما تُبصر مُسلما في مقدمة درجات تلك النّاقلات العمومية . ولاذنب، سوى المحافظة على تلك الأجسام من الاهتزاز والحركات العنيفة التي تعتري مَنْ بأُخريات[4] السّيارة المضافة لذلك الفريق الأول .

وأيضا سرٌّ آخر، هو أنّ المسلم الكريم في نظر المجموع من أولئك؛ عبارة عن امرئٍ قذرٍ وَسِخ يُحترَزُ منه ما أمكن خوفَ تطاير شيء من شرارته القذرة . يُؤذي (بمكروبه) صحّةَ الأجنبي :[وافر] .

---

(1) : في الأصل : فما.

(م) : هو الإمام الشافعي وأمر به أن يكون في مقدمة الموحدين الكاملية.

(2) : ديوان الشافعي ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي. دار ابن زيدون، بيروت د. ت ص 46.

(3) : البِزّة ، بالكسر : الهيأة والشارة واللِّبسة. لسان العرب، طبعة دار المعارف. د. ت، (بزز) .

(4) : أخريات الناس، وأخرى القوم، أي في أواخرهم. اللسان (أخر) . وتعني هنا من يجلس بمؤخرة السيارة.

نعيبُ زمانَنا والعيْبُ فينا   وما لِزَمانِنا عيبٌ سوَانا[1]

وهذا ما أَلْفت إليه نظر الحكومة المغربية حتّى تقفَ ضده جبهة قوية. بل نأمل من إسعافها، أن تتخذ من رجال محافظتها من يرقبه كي[يتحقّق][2] ويسيرَ ضمن ما تندب إليه،[1] وإلا فهذا ما لا يتَّفق والإنسانية، إذ يتصادمُ وروحَ التعاون المنشود في كل الحركات بين الأفراد والجماعات. والغريب ما يُشاهَد من البعض حيث يتظاهر بذلك مُرسلا عنان لسانه بالفحش والبذَاء[3]، وقد تغير حاله في الأثناء كأنه وَجدَ[4] عياذاً بالله تعالى. أضف إلى هذا ما قاسيناه من شدّة في الحوْز على درجة ثانية أنا وصديق[5] لي في 1353/6/22هـ 1934[م] من شهر جمادى الثانية. فامتطينا سيارة ضخمة. وما كادت تقف بنا إلا بالعاصمة التجارية (الدار البيضاء). فنزلنا نمشي في بعض شوارعها ريثما تبلغ السّاعةُ 1,30 [الواحدة والنصف]، المضروبةُ لذهاب السّيارة إلى عاصمة المغرب وتَخْت[6] مملكتها. في هذا الوقت، بحثنا عن مَطْهرةٍ للوضوء رجاءَ أداء فريضة الظّهر، فما وجدنا مَطْهرةً صالحة لقضاء هذا الغرض الإنساني المهمّ. إذ صادفَ الحالُ أنها تُجدَّد وَترمَّمُ، وأحسنْ به عملا. بيد أنني أُلاحظ على ناظرها من ناحية هذا الإصلاح الذي أَذنَ فيه دُفعةً واحدة في ظرفٍ لا يساعد إلا على الاشتغال بواحدة واحدة كي لا يتعذّر على الغريب، بل وبعضِ البلديِّين، أداء تلك الشعيرة. زيادة على ما يعود على الذات من الأضرار حينما ينحبس فيها أحد الأخبثين. لا تعترضْ بكثرة الميضآتِ الأوربية؛ فإنها قلَّمَا تُلائمُ طهر المسلم ووظيفه الديني.

---

(1) : البيت للإمام الشافعي. الديوان ص 117.

(2) : يتحقق في الأصل.

(3) : البذاء والمباذأة : المفاحشة. اللسان (بذأ).

(4) : وَجَدَ (بفتح الجيم وكسره) : حزن، اللسان (وجد).

(5) : الصّديق، هو الحاج مصطفى بن المبارك : من العلماء العارفين بأسرار اللغة وعلوم التوقيت ولد بالرباط يوم السبت 21 صفر 1328 هـ الموافق 5 مارس 1910 م. يقول في حقة الحاج أحمد معنينو : « أحد أبناء الرباط الوطنيين البررة الذين خدموا البلاد بصدق ونية حسنة، لقد كان من بين أقرانه في الطليعة علما وأدبا وحياء ومروءة وصمتا وانزواء. لا يعاشر الناس، بل يلتزم الوحدة بجانب الأستاذ الحاج عثمان جوريو، وعبد اللطيف أحمد خالص وجماعة أخرى» (شهادة شفهية). وقد حظيت بملازمته مدة تنيف عن سبع سنوات، وبقيت هذه الحظوة مستمرة إلى آخر يوم من حياته ويعود الفضل في ذلك إلى النادي الجراري. توفي رحمه الله سنة 1418 هـ 1997 م.

(6) : التَخْتُ : وعاء تُصان فيه الثياب، اللسان (تخت).

أجل، بقينا نبحث. فذهبنا إلى زاوية[1] مولاي العربي [2] رغبة في ذلك، فوُجدت مُغلقةً. فعُجْنا إلى ضريح سيدي علال القيرواني، فإذا الأمر هو هو، ممّا قلقت له غايةً قائلا لمؤدِّبٍ هناك: هاتِ المفتاح؟ فما زاد أن ناولني إياه، فتوضّأت بمشقّة زائدة وقضيت ما وجد. ثم رجعنا نهرول صوب السيارة فألفيناها تتهيأ للرحيل. فامتطيناها ولم تلبث بُعيْد لحظة أن توجّهت تقطع الأرض قطْعاً. وبينما هي في أوائل البيضاء تَذْرَعُها[3]، وإذا بدرّاجة اعترضتها من غير أن يحتاط راكبُها لنفسه، الأمر الذي دفع سائق السيارة لوقْفِها رغم قوّتها المتزايدة (وأعظمُ شيءٍ حين يَفْجَؤُكَ البَغْتُ)[4] ممّا كادت أثناءه أن تنقلب بنا لولا الألطاف الخفية منه جلّتْ قدرته. ثم استأنفت المُقلَّةُ سيْرَها كأنها الريح إلى أن بلغت «سطّاط»[م]؛ تلك المدينة المشهورة بهوائها الطلق. وهناك رسَتْ يسيرا من الزّمان كي تحْمِل بعض ناشدي الحمراء المقصودة. ثم تابعتْ سيْرَها بمثل ما سلف من السّرعة، أو أكثر، حتى وصلت إحدى المقاهي الأوربية. وعند ذاك، وقفت ريثما نزل جلُّ الراكبين لترويح النفس من تعب السفر بتناول شيء من المشروبات، بل والمأكولات. وكل هذا من مسهِّلات السَّفر في العصر الحاضر الباعثة على جَوْب البلاد وقطْعها في راحةٍ واطمئنان فضلا عن نعمة المركوب، وإن كنا لا نُنْكر ما للسّفر قدُماً من الفوائد الجمّة في المحطّات التي يَجُوزها[5] مُقيماً ثم مسافرا، فيتعرّف[إلى][6] رجالها وناسِها، ويأخذ عنهم كما هُم، مستمداً [2] من ذلك ما قدّر له مما يؤوب منه ظافرا من الناحيتين: الأدب والمادّة، ولاسيما من كان بصدد الاستفادة وأعظم بذلك. وبعد قليل، صعدنا السيارة متوجّهين نحوما ننشده من الأعماق. وبينما المقلّةُ تترامى في تلك الأطراف كأنها السيول تتحدّر من القمم إذ تراها تضعف شيئا فشيئا حتى وقفت وهي في بُعد من الحمراء بنحو 50 كيلومترا مما دعانا للهبوط جميعا. فجعل السائق يبحث عن الخلل المسبِّبِ للعطب، فإذا هو تراخٍ حدث في إحدى عجلاتها. فطفِقَ هو

---

(1): توجد بمراكش نحو أربعين زاوية - الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن ابراهيم التعارجي المطبعة الملكية (1974 م - 1983 م). ص 98.

(2): لم أقف على ترجمته.

(3): يقال عن ناقة تُذارِع بُعْد الطريق، أي تمُدّ باعها وذراعها لتقطعه، وهي تُذارع الفلاة وتَذْرَعها إذا أسرعت فيها كأنها تَقيسها. اللسان (ذرع).

(4): يقول يزيد بن ضبة الثقفي : ولكنهم ماتوا ولم أدر بغتةً وأفظع شيء حين يفجؤك البغتُ
اللسان (بغت)

(م) : للجراري رحلة خاصة أسماها : الرحلة السطاطية.

(5): جاوزت الموضع جوازا بمعنى جزته. اللسان (جوز).

(6): برجالها في الأصل.

ومُعينٌ له يعالجان الخطر، فأزالا عجلةً فاسدة وعوّضاها بأخرى جديدة تحملها سائر السيارات لمثل هاته الساعات الـخَطِرَة[1] أخذاً بالحزْم. ولم يستغرق ذلك سوى بضع دقائق كنا لدى انتهائها راكبين فدفع السائق مُستأنفا العمل. وما كاد يقف حتى بلغ الحمراء. نعم، قبل الوصول ببضع الأميال، أشرف علينا النخيل الـمجرَّدُ رِماحَهُ في جوّ من الفضاء الطلق. الهواء يُحيِّينا تحيته الصامتة، في حين أنْسَتْنا فيه بهجتُه كلَّ ما كنا نحسّ به من وعثاء السفر وأتعابه، بل تبدّلَ الكلُّ ارتياحاً ونشاطاً فقلت :[كامل].

فذهِ الجنوبُ وهذه الحمراءُ   تُسْدي التّحية والبريدُ هواءُ

هي مرّاكش البهجة[2] ؛ تلك الحضْرة[3] التي اختطها فخر الإسلام والمسلمين، السلطان يوسف بن تاشفين[4] سنة 454 [هـ] بعدما اشترى بُقعتَها ممّن كان يملكها من المصامدة. نعم سكن الموضع أوَّلاً بخيام الشّعَر، وبنى فيه مسجدا للصلاة وقصبةً صغيرة لوضْع الأموال والسّلاح. وكان رحمة الله عليه يعمل في بناء المسجد بيده رفْعاً للحجر والطّين وما إلى ذلك مع الخدمة تواضعاً منه غفر الله له وأسكنه جنّته.

---

(1) : الخطرة بفتح الخاء، وسكون الطاء. يقال : ما ألقاه إلا خطْرة، أي حينا بعد حين. وقد يكون القصد : الخطيرة، المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، دار إحياء التراث العربي. لبنان (خطر).

(2) : تحدثت كثير من المصادر عن هذه المدينة، وعادات أهلها، والآثار الكائنة بها، وأضرحتها، ومساجدها، والطبيعة الخلابة التي تمتاز بها... نذكر من ذلك : - التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب. تأليف : الحسن بن الطيب بوعشرين، تقديم وتصحيح محمد المنوني. مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، ط 1415 هـ /1994م. ص 129 ← 150 - معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ص 77 - الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام. العباس بن ابراهيم. المطبعة الملكية (1974 م - 1983 م) 3 - 100- السعادة الأبدية : به بحث مستفيض عن مدينة مراكش ومَسرَدٌ للمعماريات الأثرية بها - التعريف بالحضرة المراكشية وبمن وقفت عليه من الأولياء والعلماء الأجلّة للحسن الغسّال. م خ ع 1496 د.

- DEVERDUN (Gaston) : Marrakech des origines à 1912.
  Rabat . Ed : techniques - Nord Africaines . 1959

(3) : الحَضَر والحضْرة والحاضِرة (بفتح الضّاد في الأولى وسكونه في الثانية) : خلاف البادية، اللسان (حضر).

(4) : من أشهر ملوك الدولة المرابطية، وهو الذي بنى مدينة مراكش (400 هـ / 1009 م 500 هـ / 1106م) أنظر أخباره ومآثره في : - الإعلام بمن حل مراكش، 298/10 ترجمة رقم 1626 - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، علي بن أبي زرع الفاسي. دار المنصور للطباعة، الرباط 1973 م ص 136. - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق وتعليق ولديْ المؤلف : جعفر النّاصري ومحمد الناصري. دار الكتاب العربي، الدار البيضاء (1954-1956) ج 64/2.

وكذلك كان العمَلةُ من الرِّجال الأحرار في أمثال هذه المصالح العامة، تَهونُ عليهم أجسامهم في ذلك، ولا تكْبُر أنفسهم عن تلك الخدمات الشّريفة :[الخفيف] .

وإذا كانتِ النّفوسُ كباراً   تَعِبَتْ في مُرادِها الأجسامُ[1]

وحسْبُهم من ذلك القدوة بالرّسول الأعظم صلوات الله عليه . فكان عليه السلام يعمل بيده الكريمة كما ثبتَ عنه في غزوة الخندق لدى حفْره[2] ، وفي الكعبة[3] أيضا . والذي [هُيِّئَ][4] من البناء إذ ذاك : هو المحلُّ[«] المعروف بسور الحجر من المدينة جَوفاً من جامع الكتبيين منها »[5] . وبقيت كذلك، لا سُورَ لها حتّى وليَ بعدَه ولدُه عليٌّ[6] ،فبنى سورَها في ثمانية أشهر سنة 526 هـ[7] . ثم احتفل ببنائها ومصانعها بعدُ، أميرُ المسلمين: أبو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المومن بن علي الكومي الموحّدي[8] أيام ملكه . ولم تزل دار مملكة المرابطين ثم الموحدين [3] بعدهم من يوم أُسِّسَت إلى انقراض الدَّولة المرينية الفَتيَّة[9] . فبمجرّد وقوف السيارة بمركزها (جامع الفنا)، أحاط بها من الضِّعاف وطالبي حمْلِ ما مع المسافرين من الأثقال ما دَهشْنا له في وقت لم نُعوَّدْ رؤيته (وصَعْبٌ على الإنسان ما لمْ يُعوَّدِ)[10] حتّى أنّ امرأة أوربية كانت بالسيارة لم تجد مُخَلَّصاً، بل

---

(1) : البيت للمتنبي. شرح ديوان المتنبي. عبد الرحمان البرقوقي دار الكتاب العربي، لبنان 1400 هـ / 1980 م، 61/4.

(2) : تحدثت عن هذه المسألة كتبُ السيرة أو التي كتبت عن شخصية الرسول (ص) .أُنظر على سبيل المثال : السيرة النبوية لابن هشام. تعليق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ط 3 ـ 1410 هـ 1990 م، 168/3ـ الرسول. سعيد حوّى. دار الكتب العلمية، بيروت ط 2 ـ 1391 هـ / 1971م 2 / 112.

(3) : الرسول ، 218/1.

(4) : هيأ في الأصل .

(5) : الاستقصا ، 25/2.

(6) : علي بن يوسفبن تاشفين : ثاني ملوك دولة المرابطين (477 هـ / 1084 م ـ 537 هـ / 1143 م).
ـ الأنيس المطرب. ص 157 ـ الإعلام للمراكشي، 44/9 ترجمة رقم 1363.

(7) : الاستقصا ، 25/2 .

(8) : من أشهر ملوك الدولة الموحدية، وأكثرهم آثارا (555 هـ/ 1160م ـ 595 هـ / 1199 م) . بويع سنة 580 هـ.
ـ الإعلام للمراكشي، 264/10 ترجمة رقم 1617. ـ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لابن القاضي المكناسي ـ دار المنصور للطباعة ، الرباط 1973 م 1974 م، 555/2 ترجمة رقم 647.

(9) : يُؤَرّخ ذلك بدخول الأمير أبي بكر بن عبد الحق إليها عام 646 هـ ـ الاستقصا ، 14/2.

(10) : مثل. أنظر : ـ الأمثال والحكم، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت 666 هـ) صححه وعلق عليه فيروز حريرجي، تقديم شاكر الفحام ط 1408 هـ / 1987 م ص 170. مثل رقم 764، وهو في الأصل شطر بيت شعري.

أخذها الرّعبُ والفزع مما ساورها حينذاك. هذا أخذَ بحقيبتها، وهذا قبضَ على قميصها، وذاك بيدها ممّا جعلها ترفع عَقيرتها [1] طلباً للنّجاة. وما أفادها سوى أن جاء كاتب مركز السيارة وشرع يَذُود[2] تلك الجماعةَ البائسة بصفة رائدُها القوّة، وبذلك تسنّى لنا الخلاص جميعا. وكل المدة التي نزلنا فيها من السيارة باحثين عن خان[م] والصِّبيانُ البائسون يتعلقون بنا: أين تريدوه؟ هلمُّوا إلى أحسن الخانات. نعم، لم تهدأ أنفسنا لذلك حيث كُنَّا غرباء لا ندري أين يسوقوننا (ومن الحزم سوءُ الظَّنِّ)[3]. فما نفعني غير أن أمَّمْتُ أحدَ التجار بدكان لما يلوح عليه من طوالع اللِّين، وحُسنِ الهندام[م]. فسألت (والصّديقُ متأخِّرٌ) بعد التحية: سيدي، هل من خان هنا إسلامي؟ ففكر ملياً ثم قال: نعم مولاي يوجد فندق إسلامي للنّزل برياض الزيتون. فشكرته عن دَلألته قائلا: وهل تعلم اسم صاحبه سيدي؟ قال: نعم مولاي هو: مولاي أحمد التونسي[4]، جُزيتم خيرا. وحينذاك ذهبنا نبحث عن الرياض، فمررنا برجل واسترشدناه عنه فقال: أي رياضٍ تَعنُون: أرياضَ الزيتون القديم أم الجديد؟ فسرعان ما أخذ التحيُّر والدَّهَشُ منّا مأخذه. وفورا، بادرته على سبيل التَّخمين؛ بل القديم. فدلّنا عليه بكل انشراح فما ترك لسانُنا رطْباً بالثناء عليه فذهبنا إليه والمنشود ثَمَّةَ. إذ بينما نحن نسير وسطه، وإذا بنا عثرنا على الخان[5] الإسلامي فدخلناه وقد رحَّب بنا ربُّـه التونسي وأطلعنا على بيتين، فأخذ كل بيتا ووضع حقيبته فيه. ثم خرجنا وقد غربت الشمس من يوم الاثنين 22 جمادى الثانية عام 1353 هـ الموافق 1934 م، وجعلنا نسير في أوائل مراكش إلى حيث تنتهي القدم بنا ضرورة أننا لا ندري لأيِّ الأطراف ترمي هاته الطريق في حين لم تكن فيه مَوْطِئَةٌ لنا قبل إلاّ وقْتَهُ الحاضر. لذلك كان اختراقنا لها كالمتعجِّب، شأن الغريب يلتفت يمنةً ويسرةً، باحثين تارة، وسائرين أخرى. والعجب أننا ما ضَجِرنا السّؤالَ عمّا يبدو لنا في حلّة الغرابة لافتاً أنظارنا. وليس هو سوى ارتياح أولئك المسؤولين لاسترشادنا واتّساع أخلاقهم لكل ما نرمي إليه بتقديس وتعظيم إلى غاية يأخذُ

(1): رفع عقيرته: أي صوته، اللسان (عقر).

(2): ذاده ذودا وذيادا: دفعه وطرده. اللسان (ذود).

(م): الكلمة من الدخيل معناها الفندق والنزل.

(3): النهاية في غريب الحديث والأثر. لمجد الدين بن الأثيرت 606 هـ. تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. دار إحياء الكتب العربية د. ت (5 أجزاء) 379/1.

(م): الهندام بالكسر: الحسن والقدّ. والكلمة من الدخيل.

(4): لم أقف على ترجمته.

(5): الخان: الفندق (مع). المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. المكتبة العلمية، طهران. (خون).

الرجل بيدك حيث تريد[4] حينما يأنسُ منك عدمَ الاهتداء بالإشارة والوصف . يُسلّيك أثناء ذلك، مُزيلا عنك مضض الوحْشة والغربة . ولله درّ قاضي الحمراء المؤرّخ الكبير السيد ابن عبد المالك الأوسي [1] رحمه الله : [بسيط].

لله مراكشُ الغرّاء من بلدٍ   وحبّذا أهلها السّاداتُ من سكنِ

إنْ حلّها نازحُ الأوطانِ مُغتربٌ   أسْلَوْهُ بالأُنسِ عن أهلٍ وعنْ وطنِ [2]

فأكْرِمْ بها من أخلاق مُصطَفيَة أضعْناها، والحال أنها روح الأمم كما يقول المرحوم شوقي :[3] [بسيط] .

وإنّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ   فإن همُ ذهبتْ أخلاقُهم ذهبُوا [4]

ولله درّ أستاذنا العلاّمة الشريف مولاي المدني بن الحسني [5] إذ يقول مُذيِّلا البيت :[6] [بسيط] .

---

(1) : محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي، أديب، وفقيه، ومؤرخ (634 هـ 1237م / 703 هـ 1303 م) ـ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفُتيا (تاريخ قضاة الأندلس). تأليف أبي الحسن عبد الله النّباهي المالقي الأندلسي. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ص 13.
ـ لقط الفرائد من لفاظة الفوائد. أحمد بن القاضي. منشور ضمن (ألف سنة من الوفيات) مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. سلسلة التراجم (2). تحقيق محمد حجي الرباط 1396 هـ 1976 م، ص 163. ـ الإعلام للمراكشي، 331/4.

(2) : المرقبة العليا ، وفيه : أَسَوْهُ بدل أسلوه . ـ الإعلام للمراكشي، 332/4. ـ خلال جزولة، طبعة تطوان 1962 م، 178/4. مراكش في الشعر العربي، أحمد متفكّر، المطبعة الوطنية، مراكش 1993 م ص 18.

(3) : أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي. من كبار شعراء العصر الحديث ولد بالقاهرة وبها توفي. (1285 هـ 1868 م/ 1351 هـ 1932 م) ـ حافظ و شوقي، طه حسين. منشورات الخانجي وحمدان. القاهرة، بيروت. ـ الأدب العربي المعاصر في مصر. شوقي ضيف. دار المعارف 1976 م من صفحة 110 إلى صفحة121 . ـ الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث. محمد الكتاني. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. ط 1 1403 هـ / 1982 م، 2 / 1254 ترجمة رقم 142.

(4) : الدّينُ والأخلاق في شعر شوقي، علي النجدي ناصف، طبعة مصر سنة 1948 م ـ الشوقيات ط1. ص 57.

(5) : محمد المدني بن الحسني : فقيه ومحدث وأديب : (1307 هـ 1889 م / 1378 هـ 1959 م) ـ من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا. عبد الله الجراري. مطبعة الأمنية، الرباط ، ط 1 1391 هـ / 1971 م، 2 / 201. التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين. عبد الله الجراري. مكتبة المعارف . الطبعة 1 , 1406 هـ 1985 م. منشورات النادي الجراري - 1 - 1 / 244. الحافظ الواعية محمد المدني بن الحسني. عبد الله الجراري. سلسلة شخصيات مغربية - 2 -ـ مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1397 هـ / 1977 م.

(6) : أنظر هذا البيت في تقريظ محمد المدني بن الحسني لكتاب : ـ إرشاد الخواص والعوام لفعل الواجب وترك الحرام. تأليف : محمد بن عبد الله ملين. ط 1، 1345 هـ. المطبعة الأهلية، الرباط ،(التقريظ الثاني من التقاريظ التي اختُتِم بها الكتاب).

إنّي لأحمَدُ شوقي في مقالَتِه هَديّةً دُونَها الألْماسُ والذّهَبُ(م)

ومن حسن الصُّدف أنْ ظهر لنا في هذه الأثناء رجلٌ حسَنُ البزّةِ يُرسل أنظاره إلينا كالعارف وما دريْناه حتّى دنَوْنا منه فإذا هو الفقيه الرّجراجي أحد نُظّار الحمراء :أبو العباس السيد الحاج أحمد الرجراجي الرباطي[1]، فحيّانا بكل احتفاء، وجعل يسألنا سؤال المتلهّف. شِنْشنَةُ[2] الأفاضل: متى قَدِمْتُم؟ وكيف أحوالكم؟ وكيف فلان، وفلان، باحثا عن أصدقائه في الرباط. وأخيرا قال:[تَلْزَمُكم][3] الصُّحْبة معي حالا. فاعتذرنا له أننا نزلنا بخان لا يمكن أن تُكلّف نفسك بشيء. وإذ ذاك اعْتصى في أيدينا وما سمح سوى أن تركنا تلك الليلة على أن يُرسل إلينا يومَها صاحبه على السّاعة العاشرة ليحمل حقائبنا إلى منزله واللّقاء على الساعة الثانية عشرة. ثم أنشأنا نذرع الطّريقَ وهو يباسطنا قائلا: إيّاكُم والقلقَ من كثرة الغبار، والوسخ، والحَرِّ، وكون الحيطان غير مُجصّصَة. فهذه مراكش، وهذه عوائدها. وستجدون بها ما يُثلج صدوركم. وهنا هَمَمْت بصلاة المغرب. نعم، يُعوزني الوضوء. فأدخلنا الفقيه إلى مسجد ابن يوسف؛ ذلك المعهد الضخم المؤسّسُ سنة خمس وعشرين وخمسمائة. والمؤسس هو الشهم المغربي علي بن يوسف اللمتوني. قال أبو العباس في الاستقصاء: والذي جدّدَ بناءه. هو السّلطان المولى سليمان العلوي[4] رحمه الله عام خمسة وثلاثين ومائتين وألف 1235 ،تجديدا ضخما أزال معه منارتَهُ الأصلية التي كانت به. نعم، لا زال شيءٌ من أثرها يبدو. ثم شيَّد أخرى بديعةَ الحُسْن، رائقةَ الصُّنع (منه بتصرُّف)[5]. فهرْولت [لفَسْقيَّته](م) قصد تجديد [5] الوضوء. وبكل أسف، ما ألفيْت بها

(م): وهو من قصيدته الأخلاقية المسماة ب : «الطّرفة الأنسية للنشأة المدرسية» مطلعها :

أبناء قومي إليكم تُرسَلُ الخطبُ ونحو تهذيبكم تسلسل الكتب

(1) : من أدباء الرباط. كان ناظرا بمدينة الصويرة ثم بمراكش، والرباط وأخيرا بوجدة. ت 1374 هـ / 1955م. ـ من أعلام الفكر، 9/2. ـ التأليف ونهضته 28/1.

(2) : الشّنْشنَة : الطبيعة والخليقة والسجيّة. اللسان (شنن).

(3) : يلزمكم في الأصل.

(4) : سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل : من سلاطين الدولة العلوية (1180 هـ 1766 م/ 1238هـ 1822 م). ـ الإعلام للمراكشي، 43/10 ترجمة رقم 1528. ـ الاستقصا، 86/8 . ـ الجيش العرمرم : محمد أكنسوس. طبعة حجرية 1336 هـ 181/1 ، .

(5) : الاستقصا ، 173/8.

(م): والفسقية : الحوض ، جمع فساقي والكلمة من الدّخيل. [ولأحد] شعراء العصر :

أُنظر إلى فسقية تجري بما منكسب
عُنقُها معوجّة كعُنقِ المحتسب

[ولأحد، في الأصل : ولبعض].

ماءً. فالتفت إليَّ الناظر قائلا: إن الماء اليوم بالحمراء قليل، حيث إن الأودية في طور الإصلاح والترميم. نعم، هلمُّوا معي. فخرجنا ذاهبين إلى النَّظَّارة، وهي حول الجامعة اليوسفية. فدخلنا، وحيناً أمرَ الفقيهُ الحارسَ بإحضار الماء. فتوضّأت، وعُدنا إلى المسجد المذكور، فوجدنا الصلاة قائمة وهم في آخر ركعة منها. فدخلنا مع الإمام. وعندما سلّم، قمنا لقضاء ما فات. نعَم، الصديق كان أمامي. فوقْت ما نهضنا للقضاء قطَع. فلم أدر لأيِّ سبب. فلما فرغت، أخبرني أنه ذكَرَ العصر ففَسدتِ المغرب عليه. قلت له: لا فسادَ، وذلك للقاعدة الفقهية: [«] من ذكَرَ صلاةً في صلاة، فسدت هذه عليه [»][1] كما يقول القيرواني[2]، هو موسومٌ بما إذا كانتا حاضرتيْن. أمَا والعصرُ فائتة، والمغرب حاضرةٌ، فلا خدْشَ و لا بطلانَ. بيد أن التّرتيب بينهما واجب لا شرطية فيه كما يقول خليل الفقهاء[3]: [«] فصل: وجبَ قضاءُ فائتةٍ مُطلقاً، ومع ذكْر: ترتيب حاضرتين شرطا، والفوائت في أنفسها ويسيرها مع حاضرة، وإن خرج وقتها[4] [»]. وحتى على القول بالفساد، فليس المحلّ محلّ قطْع ضرورة أنه مأموم. وأنت خبير بمساجد الأيام. فقمت لقضاء صلاة العصر. ثم أجريْنا البحث في المسألة فقال: إنا سنقيم أربعة أيام فأزيد. فأجبته: هذا ما لا أتحققه الآن؛ إذ لا أدري ما ألاقيه في الحاضرة. أَتَلَذُّ ليَ الإقامةُ فأتـمَّ أم لا؟ فأحْظى وقته بسُنَّة القصْر والأمر سهل. وعندما عزمنا الخروج، التفت إلي أبو العباس الرجراجي قائلا: إننا هاهنا ننحرف يسيرا إلى جهة اليمين عكس ما تعرفونه بالحضرة الرباطية. فخضنا الساعة مسألة القبلة. فقلت له: أمّا الرباط فجلُّ مساجده كما تعلمون من الانحراف اليسير لناحية اليسار. غير أنه توجد بعض المساجد مستقيمة القبلة لا يكلف مستقبلها انحرافا لا يميناً

---

(1): متن الرسالة، تأليف أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مطبعة فضالة، الطبعة الثالثة 1415 هـ / 1994 م، ص 54 (مبطلات الصلاة).

(2): أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني: إمام المالكية في عصره، يعرف ب: «مالك الأصغر». 310 هـ / 922 م/ 386 هـ 996 م). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، د، ت. ص 96 ترجمة رقم 227. ـ كتاب الوفيات لابن قنفذ. تحقيق عادل نويهض. منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت. ط 1، 1971 م، ص 221 ترجمة رقم 386 ـ الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية عبد العزيز بنعبد الله، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1395 هـ / 1975 م، 1 / 28.

(3): خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي. لواء المذهب المالكي بمصر في زمانه توفي حوالي 767هـ. ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق دار الكتب الحديثة. ط 2 ـ 1385 هـ / 1960 م، 175/2. درة الحجال، 138. ـ الديباج المذهب ،1 / 357.

(4): مختصر خليل. دار الفكر، ط 1 ـ 1401 هـ / 1981 م، ص 32.

ولا شمالا، كمسجد مولاي سليمان[1] بالسْوِيقَة، ومسجد القُبَّة [2] بتَحْتَ الحمَّام، وضريح فاتح[3]، وغيرها مما وُضعت قبلته على سَمْتٍ متين نُشداناً للتحرِّي الواجب في أمثال هاته المواقع.

نعم، كان في إمكان أولئك الرجال أن يضيقوا من البقعة بما يسمح لهم بارتكاز قبلتها على صواب. قال الفقيه: ولو حاولوا هذا القدر ما تمكنوا من الصواب، حيث إن الأمر هو هو. بل ربما يَقْوَى الانحراف ويكثر. ثم قلت له: وكل هذا يَهُون ما ذكرنا قبلة الجامعةالقروية والضّريح الإدريسيِّ بفاس، الأمر الذي أدّى التَّاجُوري[4] أن ألّفَ كتَاباً [5] بيَّن فيه أن « جلُّ محارب فاس مُتَيامِنَةٌ »[6]، وأنّ سبب بناء الأقدمين لها كذلك، أنهم فهِمُوا قول النبي عليه السلام:[«] ما بين المشرق والمغرب قبلةٌ على الإطلاق[7] [»]، مع أنه خاصّ بأهل المدينة ومَن كان من ورائهم من ناحية الشمال. وقد صرّح بذلك ابن رشد[8] وغيره. والحديث هذا

---

(1) : أو جامع السويقة. تاريخ بنائه هو : 1226 هـ / 1812 م. ـ ورقات في أولياء الرباط ومساجده وزواياه. عبد الله الجراري. مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء. ط 1 ـ 1399 هـ/ 1978 م، ص 55 . ـ مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط. محمد دينية. مطابع الاتقان. الرباط 1986 م ص 48. ـ رباط الفتح. مطابع الأطلس، الرباط، 1410 هـ / 1990 م، ص 57.

(2) : الذي وضع القبّة به هو المولى سليمان العلوي. بُني المسجد بعد 1220 م. ـ ورقات في أولياء الرباط... ص 60. رباط الفتح... ص 62.

(3) : بُني عام 1270 م في عهد السلطان المولى عبد الرحمان : ـ ورقات في أولياء.. ص 66. ـ رباط الفتح... ص 62.

(4) : عبد الرحمان التاجوري، (مؤقت) ت 959 هـ. ـ لقط الفرائد، ص 303.

(5) : محارب فاس . م خ م 10153.

(6) : حاشية محمد الطالب بن الحاج على شرح محمد أحمد الشهير بميارة لمنظومة المرشد المعين لابن عاشر دار الفكر، بيروت د.ت. 150/1 (جزآن في مجلد).

(7) : الموطأ للإمام مالك. تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد القادر. دار إحياء الكتب العربية، د.ت. (كتاب الصلاة) 196/1 حديث رقم 8. ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ترتيب وتنظيم ونْسنك، مطبعة بريل، لندن 1955 م، 259/5 . الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، لجلال الدين بن أبي بكر السيوطي. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان ط 1، 1410 هـ/ 1990 م، 2 /480 حديث رقم 7858.

(8) : أنظر : ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، مكتبة الكليات الأزهرية. ط 1389 هـ / 1969 م، 114/1.

أخرجه الترمذي[1] وابن ماجة[2]، والحاكم[3] عن أبي هريرة[4]. قال الترمذي: حسَنٌ صحيح[5]. وقال الحاكم على شرطهما[6] وقيل مُنكَر[7] كما في السِّراج المنير على الجامع الصغير[8]. وأمّا من كان في المشرق أو المغرب، فقبلتُه [6] فيما بين الجنوب والشّمال. أُنظر شرح العمليات عند قوله في الجامع: [رجز].

وجِهَةُ القِبْلَةِ في شرق الجنوب   واتَّسعتْ من الشُّروقِ للغُروبِ[9]

وقد بيَّن سيدي العربي الفاسي[10] في كتابه: مرآة المحاسن[11] (ص 41) وصفحاتٍ بَعْدها

---

(1) : الجامع الصحيح أو سُنَن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. تحقيق وشرح أحمد شاكر. مطبعة البابي الحلبي. ط 1 - 1356 هـ /1937 م، 171/1. حديث رقم 342.

(2) : سنن ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي 1395 هـ /1975 م، 123/1، حديث رقم 1011.

(3) : المستدرك، للحاكم النيسابوري. طبعة حيدر آباد 1334 هـ، 205/1.

(4) : عبد الرحمان بن صخر، اشتهر بكنية أبي هريرة. صحابي من حفاظ الحديث ورُواته . (21 ق.م/ 602 م - 57هـ 674 م) على الأرجح. ـ الطّبقات الكبرى، محمد بن سعد، أبو عبد الله (168 هـ/230 هـ). دار صادر، بيروت 1377 هـ 1957 م 362/2. صفة الصفوة، لأبي الفرج بن الجوزي. تحقيق وتعليق محمد فاخوري، دار المعرفة بيروت ط 2 - 1399 هـ ـ 1979 م. 680/1. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. دار الكتاب العربي بيروت ط 2 ـ 1387 هـ 1967 م. (وتمّ الاعتماد كذلك على طبعة السعادة، مكتبة الخانجي) 376/1.

(5) : الجامع الصحيح، 173/2 ونص العبارة : «هذا حديث حسن صحيح». ـ التيسير بشرح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. تأليف : المناوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر د، ت. 345/2.

(6) : قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فإن شعيب بن أيوب ثقة، وقد أسنده. ورواه محمد بن عبد الرحمان بن مجبر، وهو ثقة... الجامع الصّحيح 173/1، هامش رقم 2. التيسير بشرح الجامع 345/2.

(7) : الذي قال بهذا هو النسائي. ـ التيسير بشرح الجامع، 345/2.

(8) : السّراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير. علي أحمد بن نور الدين محمد بن ابراهيم الشهير بالعزيزي. مطبعة حجازي، القاهرة. 264/3.

(9) : هذا البيت، من نظم أبي زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت 1096 هـ)، أُنظر : ـ «تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس» وهو شرح وضعه المهدي الوزاني على «العمل الفاسي». طبعة فاسية د.ت،150/1.

(10) : أبو حامد، محمد العربي بن يوسف الفاسي : من علماء المغرب، اشتهر بمؤلفاته الكثيرة وبمواقفه السياسية. (988 هـ 1580 م/ 1052 هـ 1642 م) : ـ أزهار البستان في طبقات الأعيان. أحمد بن محمد المهدي بن حسين بن عجيبة، م خ م رقم 11481 ص 221. التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر لمحمد بن الطيب القادري (1124 هـ ـ 1187 هـ)، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط 1 - 1403 هـ / 1983 م. ص 114 وما بعدها ترجمة رقم 186 م . ـ مرآة المحاسن (آتي الذكر)، ص 159.

(11) : مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن. نشر بالمطبعة الفاسية 1324 هـ / 1905 م.

أحكاما تتعلّق بالقبلة . وأشار إلى مساجد فاس وما هي عليه قِبلتُها إلا ما قل[1] . ثم ودَّعنا الفقيه الناظر[إلى لقاء ليلة الغد][2] : [متقارب] .

وداعاً وداعاً إلى الملْتقى حبيباً به القلبُ قد علِقَا

ثم انثنيْنا إلى الخان بعدما اشترينا ما يُؤكل . وبينما نحن نغتنم بركة الوضوء بعد الطَّعام، وإذا بالمؤذن يُعلم بالعشاء، فَهمَمْنا أن نؤدّيَ الفريضة جماعةً، بيْد أنّه لم تطبْ نفوسُنا بإيقاعها[3] ثمّةَ من ناحيتين:

1) طهارة الأرض؛ فإنّها لم تتحقق لدينا وإن كانت على النّظافة محمولةً.

2) جهلنا القبلة لأيِّ جهة هي، ضرورة أننا ما حلَلْنا الحمراء إلا والشمس على أطراف النخيل. وليس الوقتُ وقتَ اجتهاد، وإن كانت السماء مُغيّمة وربُّ الفندق لا يدري للقبلة جِهةً بما يلوح عليه من أمارات التّفرنُج، حتى إننا تلك الليلة ويومَها، لم نشاهد وطنيا عنده سوى الأجانب. ولا تستغربْ أيها المسلم الغيور هذا. فقد شاهدنا أدْخَلَ منه في الدّين الإسلامي وأعْرَقَ، وهو لا يدري للقبلة جهةً في قعْر بيته ومسكنه مما أدينا الصلاة له لغير جهتها بدلالته. وما كنت أتفطَّنُ لذلك إلا بعد حين. والقبلةُ والتوجُّه إليها من شروط الصحة التي لا تصحُّ الصلاة بدونه وإن كان بعضُ شبابنا اليقظ يتهاونُ[4] بذلك.

على أنه ما كان ليستحق وصف اليقظة والحياة إلا إذا كان يجري على مُوجب مبادئه الإسلامية. ثم ما كان أعْلَقَ[5] قضيّتَنا جُملةً بقضية الضّيف مع مضيفه. وأنت خبير بما قرّروه حولها: فإن الضيف لا يجمُل به أدَباً أن يبحث عن نظافة المكان وطهارته. ولو فراش المُضِيف إذا اقتضى الحال أداء الصلاة فيه. قالوا :[رجز] .

صلاةُ ضيف في فراشٍ قالوا صحّتْ ولا يَلزَمُه السُّؤالُ

والنّكتة في ذلك لا تخفى. وبما سلفَ، خرجنا لأداء فريضة العشاء ببعض المساجد [القريبة][6] من الفندق للغرض برغم ما نحن عليه من تعب السفر الذي قطعناه في مدّةً تَنيفُ عن نصف يوم بانضمام وقت الوقوف ببعض المراكز، وساعة الخطر الذي وقع فيه. نعم، ليس هناك مسجد يدنو من نَزْلنا حسب ما نعلمه وقته ما عدا جامع الكتبيين خارج الرياض بمسافةٍ. وأنت تعلمُ زمان تأسيس هذا المعهد، أنه كان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

---

(1) : من ذلك قوله : «فإن مساجد فاس مختلفة كثيرا كما هو مشاهد». أنظر ذلك بتفصيل في مرآة المحاسن، ص 41-42.

(2) :في الأصل : إلى اللقاء غد الليلة.

(3) : أوقع الشيء : جعله يقع. اللسان، (وقع).

(4) : تهاون بالأمر : استخف به، اللسان، (هون).

(5) : أعْلَقَ الشّيء بالشيء : علّقهُ به. اللسان، (علق).

(6) : بياض في الأصل.

537[هـ](1)، الموافق سنة 1142 [م]. ومؤسّسه؛ البطل العظيم عبد المومن بن علي الكومي الموحدي (2) وارث المهدي بن تومرت(3). أمّا منارته الفخمة التي تتجلى فيها عظمة المغرب ورجاله الأفذاذ، [مديد].

تلك آثارُنا تَدُلُّ علينـا   فانظروا بعْدهَا إلى الآثارِ(4) [7]

فبُنيت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة 591 [هـ] الموافق 1194 [م]. ومشيّدُها هو حفيد عبد المومن: السلطان يعقوب المنصور، بَانِي الحضرة الرباطية. أسس هذه المنارة البديعة، وجعل طولها مائة ذراع وعشرة. وأبْدأ وأعادَ في صُنعها الأنيق. وهي من الآثار الوحيدة التي ينشرح لمشاهدتها قلبُ كلِّ مسلم حي يومن بعظمة الرّجال وما خلّدوه. لهذا نرى السلطان محمد بن يوسف(5) ـ أيده الله ـ قام بترميم ما أتى الدهر عليه من آثارها على وثيرة

---

(1) : الصواب هو سنة 553 هـ. وهذا التاريخ المعدل، هو الذي أورده المؤلف نفسه في كثير من مؤلفاته، أنظر منها مثلا: ـ دروس التاريخ المغربي. المطبعة الوطنية، الرباط. ط 2 1369 هـ/ 1949 م، 72/2. وانظر كذلك: ـ الاستقصا، 128/2.

(2) : عبد المومن بن علي، من أشهر ملوك الدولة الموحدية (387 هـ/ 1094 م ـ 558 هـ/ 1163 م)، بويع سنة 524 هـ. ـ الإعلام للمراكشي 391/8 ترجمة رقم 1247. ـ الاستقصا. 101/2 ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذارى المراكشي ـ قسم الموحدين ـ تحقيق ، محمد إبراهيم الكتاني ـ محمد بن تاويت ـ محمد زنيبر ـ عبد القادر زمامة. دار الغرب الإسلامي ـ لبنان ـ الدار البيضاء . ط 1-1406 هـ / 1980 م، ص 16 وما بعدها.

(3) : محمد بن تومرت المعروف بالمهدي مؤسس الدولة الموحدية توفي حوالي 524 هـ / 1130 م . ـ الأنيس المطرب، ص 172. ـ الاستقصا ، 78/2. الإعلام للمراكشي، 58/4.

(4) : تكرر ذكر البيت في كثير من المؤلفات بدون نسبة. أنظر : ـ المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف عبد الرحمان بن زيدان. تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي. ط 1-1413 هـ 1993 م، مطبعة إديال ـ البيضاء. ص 304. ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لأبي الوفاء ابراهيم بن علي بن فرحون المالكي اليعمري ت 799 هـ. تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة 1972 م، (التتمة) ص 195.

(5) : محمد بن يوسف : من أشهر ملوك الدولة العلوية في العصر الحديث. ولد بفاس عام 1329 هـ / 1911 بويع سنة 1346 هـ موافق 1927. توفي سنة 1380 هـ/ 1961 م. ـ من أعلام الفكر، 235/2. محمد الخامس الملك الرائد. ندوة دولية أقامتها جمعية رباط الفتح من 16 إلى 20 نونبر 1987. مطبعة فضالة، المحمدية -1989 1988، في جزأين : الأول باللغة العربية، والثاني باللغات الأجنبية. ـ محمد الخامس : دراسات وشهادات. إعداد عبد الحق المريني. الرباط 1408 هـ/ 1988 م. معالم مغربية، عباس الجراري. الرباط ط 1-1411 هـ/ 1991 م من صفحة 25 إلى ص 90 .

ـ محمد الخامس، لمحمد العلمي. دار الكتاب، الدار البيضاء، ط 1-1395 هـ 1975 م.

- Dictionnaire Encyclopedique d' histoire Nouvelle. Edition. Bordas : Tome : 5,p : 3108

ـ حياة بطل التحرير ... عبد الله الجراري. م خ م 6912.

ما كان، من غير أن يزاد عليه ولا شيء. [«] قال القلقشندي[1] في صُبح الأعشى[2]: إنه كان بباب هذا المسجد، أي على عهد الدولة الموحدية، ساعة مرتفعة في الهواء خمسين ذراعا يرمى فيها عند انقضاء كل ساعة صَنْجَةٌ[3] زِنتُها مائة درهم، تحرَّكُ لنزولها أجراسٌ تُسمع على بعد تسمى عندهم بالنَّحَّاتة [»][4]هـ. قال صديقنا الكانوني في تاريخ آسفي وما إليه: « ولم يبق لها أثر اليوم ».[5]

فدخلنا المسجد، والظّلمةُ ضاربةٌ أطنابَها به إذ لا ضوء كهربائيَّ سوى بعضِ الفوانيس[6] والفنارات[م] بها شيءٌ من الشّموع، والصلاة قد أديت. فأقمنا الصلاة ودخلنا في حرماتها فإذا بفانوس واجهنى وبإزائه قوس، فحسبتُ أنّه القبلة. فقطعنا الصلاة وولجنا داخل المسجد نبحث عن القبلة، فما زادنا الكشفُ عنها إلا جهلاً لمكان الظّلمة الحالكة. ولا من ذنب غير عدم المبالاة بأمثال هذا المعهد الفخم ذي الوضع المحكم، والهندسة العجيبة. فإنه لا يقف الإنسان بسارية من سواريه، إلا واجهه محرابه من أول المسجدأو آخره. وهذا غايةٌ في الإعجاب. فما كان أشبهَهُ بمسجد قرطبة[7] الخالد، الذي أسّسه بطل الدولة الأموية

---

(1): أحمد بن علي القلقشندي ثم القاهري : مؤرخ وأديب. ولد بقلقشندة (قرب القاهرة) سنة 756 هـ 1355 م. وتوفي بالقاهرة سنة 821 هـ/ 1418 م. ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمان السخاوي. مكتبة القدسي، القاهرة (1353 هـ / 1355 هـ) 8/2. ـ الأعلام، لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، ط 1، 1992 م. 177/1 معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، ليوسف إلياس سركيس بمصر. 1346 هـ 1928 م. 1521/2.

(2): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت 756 هـ) مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر 157/59. وفيه بالبحّانة بدل النّحالة.

(3): الصَّنْجَةُ : الصَّنجُ صفيحة مُدوّرة من صفر يضرب بها على أخرى، المعجم الوسيط، (صنج).

(4): آسفي وما إليه قديما وحديثا، لمحمد العبدي الكانوني. (دون ذكر المطبعة ولا تاريخ الطبع) ص 61.

(5): آسفي وما إليه، ص 61. وفيه : الآن بدل اليوم.

(6): الفانوس : مشكاة مستقلة جوانبها من الزجاج يوضع فيها المصباح ليقيه الهواء والكسر (معربة). . المعجم الوسيط، (فنس).

(م) : والفنار : المشعل والمنارة، والكلمة من الدخيل كالفانوس.

(7): بناه عبد الرحمان الداخل سنة 186 هـ على مثال المسجد النبوي الذي بناه الوليد بن الملك في المدينة المنورة.. .قد حول مسجد قرطبة سنة 1236 م إلى كاتدرائية باسم «لاموثيكيتا». ـ الحضارة العربية الإسلامية. شوقي أبو خليل منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا. ط 1-1987 م. ص 345.

بالأندلس[1] . ولله درُّ شوقي[2] إذ يقول في سينيته التي عارض بها سينية أبي عبادة :[3] [خفيف].

صَنْعَةُ (الدّاخلِ) المُبارَكِ في الغرْ ب، وآلٍ مَيامينَ شُمسٍ[4]

والعارُ كل العار على وزارة الأحباس كيف تتساهل لغاية نرى فيها كرامة هاته المعاهد تسْفُل لقلة الاكتراثِ لها إلى حدٍّ يمشي الغريبُ فيه يُقدِّم رجْلاً ويؤخِّر أخرى في الكشف عن المحراب المقلَّد لأمثالنا . حتى أنه لولا رؤية المتنفِّلين[5] ما اهتدينا للقبلة ولرجعنا للاجتهاد المحاوَل أوَ لا إن لم نبحث . هذا بقطع النظر عن الغبار الذي يعلو الحُصُر ويكسوها مما لو دخل نظيف الثياب لندم وما آبَ، لما علق به من الأوساخ لا سيما إذا توضأ هناك . فما هو سوى الوحَل وإلى الله المشتكى من أمّة تسعى في امتهان معاهدها الدينية وهدم ما خلده الإسلام من الآثار الدّالة على ما كان لهم من الاهتمام بنشر الشعائر الإسلامية وتأسيس بقائها ﴿ والله يعلمُ المفسدَ من المُصْلِح ﴾[6] . وإذ ذاك خرجنا نتأسف ونُحوْقِلُ[7] ممّا اعترضَنا [8] بأول مساجد الحمراء . الأمر الذي ترانا له تارة ضاحكين من شدّة ما قاسيناه في البحث عن القبلة الأولى . . . وطوراً عابسين من هذا الفأل المشؤوم أثناء العوْد إلى الفندق بقصْدِ الكَرَى[8] . نعم، نِمْت تلك الليلة نوما عميقا لما أنا عليه من التّعب والسهر الليلة

---

(1) : عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد المالك بن مروان الملقّب بصقر قريش، ويعرف بالداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس (113 هـ 731 م / 172 هـ ـ 788 م) . نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب، لأحمد المقّري. تحقيق إحسان عباس. دار صادر بيروت، 1408 هـ 1988 م. 155/1.

(2) : مرت ترجمته.

(3) : أبو عبادة، الوليد بن عبيد بن يحي الطائي : من أشهر شعراء العصر العباسي ولد بمنبج ورحل إلى العراق ثم عاد إلى الشام وتوفي بمنبج (206 هـ 821 م/ 284 هـ ـ 898 م) .. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان : أحمد بن محمد بن أبيك (ت 281 هـ). تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت 1968 م. 175/2 ـ معاهدة التنصيص على شواهد التخليص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي. تحقيق محمد يحي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة . 1367 هـ / 1947 م، 234/1. ـ تاريخ بغداد، لأبي بكر بن علي الخطيب البغدادي. ط 1، مكتبة الخانجي القاهرة، والمكتبة العربية ببغداد ومطبعة السعادة. 1349 هـ ـ 1931 م. 446/13.

(4) : شُمس ، أي أباة . والبيت من قصيدة طويلة (110 بيتا) . ـ الشوقيات، 50/2، مطلعها :

اختلاف الليل والنّهار يُنسى أذكُرا لي الصِّبا وأيّامَ أُنْسي

(5) : أي المصلين للنوافل. تنفّل المصلي : صلّى النوافل ـ المعجم الوسيط، (نفل).

(6) : سورة البقرة آية رقم : 220.

(7) : أي نقول : لا حول ولا قوة إلا بالله.

(8) : النوم. ج. أكراء ـ اللسان، (كرى).

قبلها. وعندما استيقظتُ صباحا توضأت في طَسْتٍ[1] كان معي بالبيت. وما كدت أفرغ من الوضوء حتى دقّ عليَّ الصَّديقُ الباب، ففتحت له. وأول شيء طرقناه؛ أن تساءلنا عن نوم الليلة كيف كان؟ فأخبرته أن نومي كان بسلام. قال: أما أنا فبتُّ أُكابدُ مشاقَّ عنيفة في جيش جرّارٍ من البقّ يستحيل معه الاكْتحَال[2] بسوَى السُّهاد. ووراء هذا، خرج يبحث عن الماء رجاء الوضوء، فتغيّب ظرفاً ينيفَ عن نصف ساعة زمانية قطعتها في المطالعة ببعض المؤلفات الفقهية صحبتها معي. وأثناء هذا رجع الصديق بخُفَّيْ حُنَيْن[3] متألما إذ لم يجد ماء (وهذا أيضا). نعم، سبق أن الماء وقته قليل لمكان إصلاح الواد، ثم شرعنا نتحدث منتظرين صاحب الفقيه الرجراجي[4] الذي وعدنا بإرساله في الحين، فبقينا حتى الساعة المرموزة لذلك الميعاد، ثم خرجنا بعد أداء واجب الفندق راجين من ربِّه، إن بحث أحدٌ عنّا، فليُخْبِره أننا انتظرناه إلى الساعة فلم يرد. ثم فارقناه خارجين من رياض الزيتون. وبينما نحن نمشي في أواخره، وإذا برجل سلم علينا قائلا: أأنت العباس الجراري؟ فأجبته: نعم. قال: يسلم عليكم الفقيه الناظر ويرجوكم أن تمكِّنوني من عِيَابِكُم[5] وحقائبكم، وتُلبُّوا دعوته لدى الساعة الثانية عشرة. أجل، فها حقائبنا، وسنلبي دعوته بحول الله. فافترقنا معه ولساننا يكشف عن باب دكالة[6]. ولانجد من المسؤولين عنها إلا ليناً ولُطفا مثل ما سبق أول الوُرودِ، إلى أن بلغناها. وعندئذ لم نهتمَّ بشيء سوى أن زُرنا مسجدها الضخم الذي أسَّسَتْه الحُرَّة مسعودة[7] أمُّ السلطان أحمد الذهبي[8]، حامل راية الدولة السعدية وبطلها المعروف بالمنصور السعدي، وذلك سنة خمس وتسعين وتسعمائة 995 هـ. وهكذا

---

(1): الطَّسْتُ (مع): إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه يُغسل فيه. ج طسوت المعجم الوسيط. (طست).

(2): يقال: ما اكتحلت عينُه بغُمْضٍ أي لم ينم. المعجم الوسيط (كحل).

(3): يضرب هذا المثل عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة. - مجمع الأمثال، للميداني: أحمد بن محمد (ت 518 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم - بيروت (د.ت) 296/1 مثل رقم 1568.

(4): سبقت ترجمته.

(5): عيابكم: العيبة: وعاء من أدَمٍ يكون فيها المتاع والجمع عياب وعيب. اللسان، (عيب).

(6): سُمّي بباب دكالة، لكونه جاء مُسامِتاً لدكالة.

(7): مسعودة بنت أبي العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي، والدة أحمد المنصور السعدي. توفيت عام 100هـ - روضة الآس، العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، لأحمد بن محمد المقري. المطبعة الملكية، الرباط ط 1403,2 هـ 1983 م، ص 63 وما بعدها. - الإعلام بمن حل، 269/7 ترجمة رقم 995.

(8): أبو العباس، أحمد المنصور، سابع ملوك الدولة السعدية. (956 هـ 1549 م/ 1012 هـ 1603 م). - مناهل الصّفا في مآثر موالينا الشرفا، لأبي فارس، عبد العزيز الفشتالي. دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم. مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (معظم الصفحات). - نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب القادري. تحقيق: محمد حجّي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر. مكتبة الطالب الرباط 1402 هـ - 1982 م. 98/1

كانت أعمال الحرَّات الفاضلات من النساء، يصرفْن أموالهن في وجوه البر وأعمال الخير. وأنت خبير بمؤسّسة الكلية القروية، الحرّة الكريمة، أمّ القاسم؛ فاطمة الفهرية بنت محمد الفهري القيرواني[1]، وذلك سنة 245 هـ أيام دولة الأمير يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس [2] . وكم لها من نظيرات رحْمة اللّه عليها. فأين أهل الثّراء من رجالنا؟ وأين مؤسَّسَاتُهم ومُخَلَّداتهم؟ ولما دخلنا المسجد، وجدنا جُملةً من [9] الطلبة لا يقلُّون عن الثلاثين تلميذا، يُباحثهم أستاذ في أُخْريات المسجد يَسْرةَ الدّاخل من الباب المواجهة لحوْمة الزاوية. فيعلم الله حينئذاك كيف طارت قلوبنا فرحاً بهذا الفأل الحسن. فدخلنا إلى الداخل نعثر في ذُيولنا سُروراً ، وإذا بما هو أعلى من سابقه. ذلك، أن جماعة أخرى من التلاميذ يتباحثون فيما بينهم ويتبادلون المسائل في جوٍّ هادئ، وقلوب ملؤُها الصّفاء، لا تكاد تسمع لهم صوتا. شِنْشنَه المتشبّعين بآداب البحث والمناظرة. فتوضأنا بفَسْقيةِ المسجد الدّكالي[3]، وعند إرادة الصلاة، أمرتُ الصديق بتقديم الفجر، فاستغرب لما يعلمُه من قول الفقهاء: [رجز].

إن طلعَتْ شمسٌ فمَالكٌ[4] يرى　　　تقديمَ صُبْحٍ وابنُ وهْبٍ[5] أخّرَا[6]

فاستفهمني في ذلك، فأنْظرتُه حتى الفراغ. ثم بيّنتُ له أن السُّنة مع ابن وهب[7] في

---

(1) : فاطمة الفهرية، وتكنى أم البنين بنت محمد الفهري القيرواني. توفي زوجها وأختها فورثت منهما مالا كثيرا، فعزمت على بناء المسجد المذكور. أُنظر تفاصيل ذلك في: ـ الأنيس المطرب، ص 54 وما بعدها. ـ الاستقصا، 175/1-176.

(2) : الخليفة الرابع لدولة الأدارسة، توفي سنة 245 هـ / 859 م. أُنظر أخباره وما خلفه من مآثر: ـ الأنيس المطرب ص 53. ـ الاستقصا، 175/1 وما بعدها.

(3) : أي مسجد باب دكالة. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 95/1 التنبيه المعرب، ص 151.

(4) : أبو عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة. ولد على الأشهر سنة 93 هـ وتوفي بالمدينة المنورة سنة: 179 ـ تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.د.ت 207/1 . ـ الديباج 82/1 ـ شجرة النور. ص 52، ترجمة رقم 1.

(5) : عبد الله بن وهب بن مسلم. من أعلم أصحاب الإمام مالك بالسنن والآثار. جمع بين الفقه والحديث والعبادة. ولد بمصر وبها توفي (125 هـ ـ 743 م/ 197 هـ ـ 813 م) ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض. ج 3-4. وزارة الأوقاف ـ المملكة المغربية (1385 هـ ـ 1965 م / 1403 هـ ـ 1983 م) 228/3.

(6) : حاشية محمد بن الطالب بن حمدون على ميارة، 13/2 (غير منسوب). ـ اليواقيت الأحمدية العرفانية واللّطائف الربّانية في الأجوبة عن بعض الأسئلة في الطريقة التيجانية، لأحمد اسكيرج، ط حجرية. ص 92.

(7) : حاشية محمد بن الطالب بن حمدون على ميارة 13/2 أن الصحيح هو أن نقول في النظم: «وسواه» بدل «وابن وهب» وذلك لأن اللذين خالفا الإمام مالك هما: أشهب وابن زياد. أما ابن وهب فقد روى عن مالك ما يوافق المشهور.

تقديم الفجر على الصبح بحجة قضيَّة الوادي[1] المشهورة. وأثناء هذا دخل المسجد رجلٌ إخالُه مؤذّن المسجد. فاستفسرناه عن التلاميذ، فأخبرنا أنهم تلاميذ الفقيه الأديب السيد محمد المختار السّوسي[2]. نعم، أولئك الذين بأُخْرَيَات المسجد، فمعهم أكبر تلاميذ الفقيه المختار يباحثهم، والآخرون قد فرغوا من الدرس الذي لقّنهم إياه الأستاذ المذكور. وذلك ما زادنا هُياماً بالمطلع المختار وبخدماته العلمية حفظه الله. نعم، ما زدنا وقته على أن ذهبنا إلى مدرسته (زاويته)، فإذا به يُلقِّن درسا لبعض التلاميذ، فنهض إلينا مُعانقا فرحا مسرورا يسألنا بكل احتفاء: متى القدوم؟ وكيف الحال؟ وهناك قدّم إلينا أحد تلاميذه النُّجباء: الأديب أحمد بن الفقيه القاضي محمد الدكالي[3] الذي اختار لنفسه هذا اللّقبَ: «شوقي» وهذا وحده الشاهد على نُبلِ التّلميذ ونبوغه: [مديد].

قد عرفناكَ باخْتيارِكَ إذْ كا	ن دليلاً على اللّبيبِ اخْتِيارُهُ[4]

وإذ ذاك بذلَ الفقيهُ مجهودَه في تأخيرنا عن الرّجوع، فأبيْنا عليه رغبة في الوفاء بالوعد السّابق. وأنت خبيرٌ بما للفقهاء في ذلك من الاختلاف.

---

(1) : يروى في القضية أن النبي (ص) صلى ركعتي الفجر قبل صلاة الصبح يوم الوادي، أُنظر قولاً مُفصّلاً عن ذلك في كتاب : ـ مواهب الجليل لشرح مختصر أبي الضياء سيدي خليل. تأليف : أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عبد الرحمان المغربي الأصل، المكّي المولد، الرعيني المعروف بالحطاب (902 هـ ـ 954 هـ). مطبعة السعادة ـ مصر. ط 1. 1328 هـ (6 أجزاء). (تتمة)، 2/8-79-80. وقد نظم هذه القضية محمد الرضي السناني فقال :

قضية الوادي روى البخاري	وغيره فاحفظه يا ذا السّاري
واستشكلت والحق أن الفجرا	برؤية البصر حقاً يُدْرى
والقلب في الشهود والعيانِ	وعدم التّنبيه للبيانِ

ـ الشذارات والتقاط الفوائد وغرر العوائد، لمحمد الرضي السّنانى. مطبعة النجاح، الدار البيضاء. د. ت، ص 73 شذرة رقم 255.

(2) : من أشهر علماء المغرب في العصر الحديث. وطني صادق، ومؤلِّف مكثر (1318 هـ/ 1901 م 1383 هـ/ 1963 م).

ـ التأليف ونهضته بالمغرب، 239/1. ـ مجلة الإيمان، خاص بمحمد المختار السوسي. ع 113-114 (مزدوج) 1982/1402.. إسعاف الاخوان، 284-318. وقد أنجزت عنه رسائل جامعية نذكر منها: محمد المختار السوسي: مساهمة في تاريخ الأدب العربي ... أحمد السليماني / شعر محمد المختار السوسي ... محمد خليل...

(3) : أحمد بن القاضي محمد بن العربي الدكالي الملقب ب «شوقي» من نبغاء مراكش وأدبائها. نظم الشعر في ريعان شبابه. أصيب بمرض الفالج منذ سنوات ـ توفي سنة 2001م.شفاه الله. أُنظر بعضا من أخباره ونماذج من إبداعاته في : ـ ذكريات، لمحمد السوسي. مطبعة الساحل، الرباط 1405 هـ ـ 1984 م. ص 64 وما بعدها.

(4) : العقد الفريد، 4/1. (غير منسوب). ـ بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس. ليوسف بن عبد البرّ النمري القرطبي، أبو عمر (368 هـ ـ 463 هـ). تحقيق محمد مرسي الخولي. مراجعة عبد القادر القط. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر د. ت. 540/1.

ففي قواعد القَرافي[«] اختلفَ [الفقهاء] في لُزوم الوعْدِ والوفاء. . .فقال مالكٌ : لا يلْزَمُ. وبه قضى عُمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه. وقال سحنون :[1] يلْزَم[2] إذ دخل في أمرٍ كقوله لآخر [«] : [اهْدِمْ] [3] دارك وأنا أُقرضُك دراهمَ تشتري بها داراً تسكُنها[4] [»]. وقد لـمّح لهذا أبو الضياء[5] في مختصره بقوله : « إنْ وَرَّطَهَا »[6]. هذا ما قالوه بُرمَّتهم في هذه المسألة. ولها تتمة لعلَّ الدهر يُنجزُ ميعادَها. (من الشّهاب الخفاجي[7] من خطبته على الشِّفاء لعياض). أما نحن فسحنونيون هنا، لكن من غير تقييدٍ لا بأمر ولا غيره. [10] إذن :[«] وعْدُ الكريم ألْزمُ من دَيْنِ الغَريم[»][8] كما يقول الأدباء. وها شاعرهم يرفع صوته بذلك قائلا :[طويل].

إذا قُلْتَ في شيءٍ نعْم فأتِمَّـهُ	فإن نعمْ، ديْنٌ على الحرِّ واجبُ
وإلا فقُلْ : لا، تَستَرِحْ وتُرِحْ بها	لِيَلاً يقولَ النّاسُ إنَّكَ كاذِبُ[9]

---

(1) : عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب ب : سحنون. قاض وفقيه. انتهت إليه رياسة العلم بالمغرب. 160 هـ 240 هـ. ـ ترتيب المدارك، 45/4. ـ شرف الطالب في أسنى المطالب. لأحمد بن القنفذ. تحقيق محمد حجي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط 1396 هـ ـ 1976 م (منشور ضمن ألف سنة من الوفيات) ص 42. ـ الديباج المذهب، 30/2.

(2) : الفروق لأبي العباس أحمد بن ادريس الصنهاجي. المشهور بالقرافي. عالم الكتب، بيروت ج 4 ص 24-25 (بتصرف).

(3) : في الأصل المخطوط : بع. وفي الفروق : اهدام.

(4) : الفروق ، 25/4

(5) : خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي لواء المذهب المالكي بمصر في زمانه، وصاحب المختصر. توفي سنة 767 هـ 1374/ م أو ما يقترب هذا التاريخ بالزيادة أو النقصان ـ الدرر الكامنة، 175/2. ـ نيل الابتهاج، ص 167 ترجمة رقم 177.

(6) : وسياق ذلك قوله : « إن أعطيتني ألفا فارقتك أو أفارقك إن فهم الالتزام والوعد إن ورطها ، أو طلقتني ثلاثا. . . ».. مختصر خليل. باب : جاز الخلع وهو الطلاق بعوض ص 135.

(7) : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر إمام الحنفية بمصر (977 هـ ـ1569 م/ 1069 هـ ـ 1658 م). ـ ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا ، لشهاب الدين الخفاجي. المطبعة العامرية العثمانية، مصر ـ 1306 هـ (ترجم لنفسه في المقدمة).

ـ طبقات ابن اعجيبة المسمى : « أزهار البستان في تراجم الأعيان » أحمد بن محمد المهدي بن حسين بن عجيبة. م خ م رقم 11481.

(8) : أنظر : ـ مجمع الأمثال (ملحق حرف الواو : المولّدون)، 382/2.

(9) : البيتان لهرم بن غنام السلولي. ـ بهجة المجالس، 496/329/1. ـ جوهر التقوى لطنطاوي جوهري. مطبعة الرحمانية، مصر. ط 2-1352 هـ ـ 1934 م. ص 119-120. ـ العقد الفريد، 205/1 وفيه : قال ابن أبي حازم. ـ محاضرات الأدباء في تاريخ الأمم الإسلامية، محمد بن عفيفي الباجوري المعروف بالخضري. مطبعة الاستقامة القاهرة. ط 7-1376 هـ 234/1 .

وهذا ما يَدينُ الحرُّ به لله تعالى، لا سيما وقد سجَّلَ[1] نبيُّنا عليه السّلام بالنّفاق على المُخلف حيث قال: « آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أَخْلَفَ، وإذا ائْتُمِنَ خان ». أخرجه البخاري،[2] ومسلم،[3] والترمذي،[4] والنسائي[5] عن أبي هريرة.

ووصْمةُ النّفاق تكون ما كان العزْم على الخُلفِ مقارَناً، أما من لم يكن له عزم على الخُلفِ[6] مقارنا، فليس في عِدَادِ المنافقين في شيء. وكل هذا زيادة على ما يصبح فيه المرء بين قومه إذا اتّصف [بالإِخْلاف][7]. فما هو سوى الموتُ الزُّؤام، وغَبْنٌ في الحياة، تطيب دونه المنايا. فلم يلبث أن ساعدنا الأستاذ على شرط العوْد إليه لدَى العصر، فأجبنا، وذهبنا نبحث عن (قاعة ابن ناهض)، تلك البقعةُ التي لو لم يكن من رجالها إلا الفيلسوف الفلكي الفقيه أبو العباس بن البنّاء[8]، لكفى ذلك العالم الذي كان من حامل راية القرن السابع للهجرة. فارتكبنا في البحث ما ارتكبناه آنفا، وما لقيناه فيه من رحْب الصُّدور، وسعة الأخلاق، أعلى وأحلى: [مجزوء الوافر].

يَزيدُكَ وجهُه حُسْناً إذا ما زدْتَهُ نَظَرا[9]

وأثناء هذا، بلغْنا الدار ودقَقْنا الباب، فلم تلبث أن خرجت لنا خادمة تستفهمنا عمَّا نريد. فرُدْنَا[10] منها الفقيهَ النّاظر. فدخلتْ مُسرعةً تُعلِمُه، فما هي إلا لمحةٌ حتّى خرج إلينا

---

(1) : سجّل عليه : أي حكم وأثبت. ـ المعجم الوسيط، (سجل).

(2) : صحيح البخاري. المطبعة العثمانية المصرية. الطبعة الأولى 1351 هـ / 1932 م (الشهادات : باب من أمر بإنجاز الوعد) حديث رقم 2682.

(3) : صحيح مسلم أو الجامع الصحيح، تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي (1400 هـ ـ 1980 م) دار الفكر 1403 هـ/ 1983 م. (كتاب الإيمان). حديث رقم 109، 78/1.

(4) : الجامع الصحيح أو سنن الترمذي. تحقيق : عبد الرحمان محمد عثمان. دار الفكر ط 2 - 1403 هـ / 1983 م، 130/4 حديث رقم 2766.

(5) : سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي. دار الفكر ط 1, 1348 هـ / 116/7,1930 (كتاب الإيمان وشرائعه).

(6) : الخُلفُ : اسم وُضِع موضع الإخلاف. يقال للذي لا يكاد يَفي إذا وعَدَ : إنه لمخْلافٌ (اللسان خلف).

(7) : في الأصل : الأخلاق.

(8) : أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العدوي المراكشي رياضي وفلكي (654 هـ ـ1256 م / 721 هـ ـ 1321 م) ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج. لأحمد بابا التنبكتي . إشراف وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة. منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس. ط 1-1989 م. 83/1-91، ترجمة رقم 51. ـ الإعلام بمن حل مراكش 202/2.

(9) : ديوان أبي نواس . تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ص 559.

(10) : راد رودْاً : راد الشيء : طلبه (اللسان) (رود).

ووجهه يتهلّل سرورا. فرحّب بنا بأكثر ما يُتبادَرُ « شِنْشنة أعْرِفها من أخْزَمِ »[1]. وأطْلعَنا إلى دُوَيْرَةٍ بساباط[2] الدار ذات بيتين جميلين، وفُرشٍ أنيق جيّد، وآلة مُبرِّدةٍ تجذبُ الهواء بواسطة الكهرباء، وناقوس رقيق النَّقْر لطلب الخادمة. وبها صحن مقبّب ذو نقش بديع مُعجِب، وميضَأة نظيفة. فارتاحت نفوسُنا لذلك، فشرعنا في الحديث مع الفقيه، وكان بي وقتَه عطشٌ مُفرِطٌ. نعم، جعلت أتأخر عن شرب الماء خشيَةَ الضَّرر [مما][3] دفعني للسؤال عن ماء الحمراء، فوجّهتُه إلى الفقيه فأجابني: إنّه ماء خفيف، طيب هاضِمٌ، مُليّنٌ، صحيٌّ، فاشربوا منه ما تشاؤون ولاضرر إن شاء الله. فقلت: لاغرْو أن يتّفقَ الماءُ مع الهواء عكس ما نعلمه من جغرافية شمال جزيرة العرب وباديتها. فإنها طيّبةُ الهواء، رديئة [الماء]، نبّهَ على ذلك الخُضَري[4] في محاضراته بتأريخ الدولة العباسية[5].

وإذ ذاكَ، تناولتُ الماءَ بكلٍّ اطمئنانٍ. ودارتْ حول ذلك مذاكَراتٌ في الاجتماعِ والأدبِ، وشيءٌ من الصِّحَّة لابأس بها برهنَتْ لنا على ما للرّجُل من الاطّلاع رغم جهلنا له [11] ذي قبل، حيث كان بين ظُهْرانَيْنا. ولكنها سُنّة الله في خلقه، [﴿] ولن تجدَ لسنّةِ الله تبديـلاً [﴾][6]؛ نَغْمِط فضْل رجَالنا ولا نُعْنى بنبوغهمْ واطّلاعهِمْ (ومَنْدَل الهِنْدِ في

---

(1) : من الأمثال الشعرية. يُروى أن أبا أخزم الطائي كان له ابنٌ يقال له أخزم، وكان هذا الإبنُ عاقاً، فمات وترك بنين فوثبوا يوما على جدهم (أبي أخزم) فأدموه فقال :

إن بنيَّ ضرَّجوني بالدم　　　شنشنة أعرِفُها من أخزمِ

(البيت لأبي أخزم، وأخزم المذكور هو الإبن). يضرب في قربِ الشبه. أنظر مجمع الأمثال، المثل رقم 1933 ـ العقد الفريد. لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق عبد المجيد الترحيني دار الكتب العلمية. بيروت ط 3، 1407-1987 م 38/3. ويقول أبو جعفر المنصور (رجز) :

شنشنة أعرفها من أخزم　　　من يلق أبطال الرجال يكلم

ـ العقد الفريد 185/4. والشنشنة : العادة الغالبة ـ أمثال العرب : المفضّل بن محمد الضبي. قدم له د. إحسان عباس. دار الرائد العربي لبنان. الطبعة الأولى 1401 هـ / 1981 م. ـ البيان والتبيي، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة ط 1405,5 هـ 1985 م .1-331.

(2) : السّاباطُ : سقيفة بين حائطين أو دارين، تحتها ممرٌّ نافذ ج. سوابيط وسباطات ـ اللسان، (سبط).

(3) : في الأصل : فما.

(4) : محمد (الباجوري الخضري) من العلماء بالأدب وتاريخ الإسلام (1289 هـ ـ 1872 م / 1345 هـ ـ 1927 م) ـ معجم المطبوعات العربية ، 825/1. ـ أعلام الزركلي، 269/6.

(5) : «محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ». مطبعة الاستقامة. القاهرة، ط 7-1376 م 9-10.

(6) : سورة الأحزاب، آية رقم 62، وكذلك : سورة الفتح آية رقم 23.

أوطانه حَطَبُ)[1] . ثم استأذنّا الفقية في الخروج فأذنَ حاثّا علينا في الرجوع ليْلا يقصد العشاء، وألحّ بما لا مناص لنا منه. وحالا توجهنا إلى الأخ الأستاذ محمد المختار بعدما أبْردْنا [2] بفريضة الظهر عند الأخ الناظر. وأثناء الطريق [أدركتنا][3] العصر، فدخلنا مسجدَ باب دكّالة السابق، وأدّيناها جماعةً مع إمامه. ثم خرجنا آمِّينَ الأستاذَ بزاويته (مدرسته)، فنشطَ للقائنَا نشاطاً زائدا، وأخذ بيدنا، فأطلَعنا إلى مَشْرَبَةٍ[4] له بالمدرسة وأجلسنا في أحسن مواقعها ـ يكاد يحلّق في الجوّ فَرَحاً بنا برغم ولوعه بالدرس والتّفاني فيه، لايَثْنيه أيُّ صارفٍ عن البَطالة، وقد ذَهلَ عن ذلك محبَّةً في وفادَتنا ـ وحالا أحضر مشروب الشّاي، وألزمني بإقامته[5]، فامتثلْتُ ضرورةً أنّني في قبضته. وكان بالحضور، الشابُّ السابق :(أحمد شوقي)[6]. فناولت الأخ المختار الشّاي أوّلاً. ثم حاولتُ مناولَته الشّابَ ثانيا، فأبى فاستفسرته فقال : إننى من المقاطعينَ. وإذْذاكَ جذلَ[7] الصّديقُ، فإنه من الـمُحبِّذين لفكرة المقاطعة، الذائدين عن حياضها بكل ما لديه من جهد؛ بل من المبالغين [في ذلك][8] بتحريم شربه حتى أطلق عليه لقب : المحرِّم. وهو من الشّذوذ بالمكان. أما الفكرةُ فحسَنة نَنْصُرها بكل المستطاع، ونتمنّى لو يقْوى حزبها في [المعمور][9] الإسلامي على كل حال انتصاراً واستحسانا لا نقوى على إبراز علّته. فما كان أعلَقَه بالاستحسان عند رجال الاجتهاد والأصول. ثم تحدّثْنا مليا مع الفقيه فيما يهم أحوالنا وأحوال الإخوان بالرباط. فجعلنا في ذلك ما شاء الله، مستعرضين وادي أبي رقراق قصد الذكرى لتلك السُّويعات الحُلوة التي مرَّت مرورَ السَّحاب، (فسَنَةُ السّرور سِنَةٌ، وسنة الحُزنِ سَنَةٌ). وفي أثناء كل هذا، قدم لنا الأخ الأستاذُ طيباً (ماء الزّهر). لا أقول ما قاله الإخوان فيما بعد : ليس هو إلا ماءٌ مُطلقاً يرفع الحدث وحكم الخبث، حتى أفرغوا على رؤوسهم بإزالة أنبوبة المرشَّة تحقيقا لذلك. كلا.. فما كان باني الزاوية للطلبة إجابة [لفاتحهم][10] له أن يحوم حول هذا. وهناك عتبْتُ

---

(1) : أنظر : ـ الأمثال والحكم. للرازي (تتمة) ص 153، مثل رقم 658.

(2) : يقال أبردوا عنكم من الظهيرة، أي لا تسيروا حتى ينكسرَ حرُّها. وفي الحديث : «أبردوا بالظهر فإن شدة الحرِّ من فيْح جهنم» ـ اللسان (برد).

(3) : أرهقتنا في الأصل.

(4) : المشْرَبَةُ : المكان الذي يشرب منه. اللسان، (شرب).

(5) : أي بتحضيره وتهييئه.

(6) : سبقت ترجمته.

(7) : جذل : فرح : اللسان، (جذل).

(8) : في الأصل : لذلك.

(9) : في الأصل : العمور.

(10) : في الأصل لفاتحتهم.

على الأخ المختار لزيارته الرباط، وما عاج بحيّنا مما لا أرتاب أنه وطئ ترابه، وما هاجته أريحيّةُ الأخوّة لزيارتنا وإحياء ما كمُن في النِّياط[1] من روابط المودّة والإخاء مما دفعني لإنشاده قول الفاضل أبي سالم العياشي[2] يلوم تلميذاً له، وإن كانت قضيّتُنا التماسيةً : [طويل].

تمرُّ بداري مُعرِضاً متنكِّباً | كأنّيَ قد أعْقَرْتُ[م] ناقة صالحِ[3]
ولكنّي أبغي لك العُذرَ واضِحاً | وإن كان وجهُ العذرِ ليسَ بواضحِ [12]

ثم تهيأ الأخ للخروج معنا رجاء الالتقاء بزميلنا الصّديق محمد بن عثمان[4] العامل على بثّ الوعي في الشباب الناهض المتدفق حيويةً ونبوغاً بفضل ما يبثّهُ في نفسه من حُرِّية البحث والتنقيب في مشاكله مما شاهدنا منه جزءاً مُدهشاً. ثم خرجناْ وقد دعا الأخ المختار عربةً لنقلنا إلى حيث يوجَد الأخ. نعم ركبنا والأستاذُ يذكُر لنا من مزايا الأخ العثماني وأعماله ما زاد في إكبارنا له، وتمتين علائقنا به. قال محمد المختار: إن صديقَنا محمد بن عثمان يقوم في الظّرف الحاضر بدروس قيّمة، أخصُّ منها درسَه صحيح الإمام البخاري ليلاً ، الذي أقول حسب ما أعلم: إنه الدّ رس الوحيد هنا رواية ودراية وتحريرا في كِلاَ الناحيتين. هذا، ووقفَتْ بنا العربة بأبواب أبنية الأخ المذكور (بجليز)، فدخلنا باحثين عنه، وبكل أسف، لم نجده. فجلسنا ساعةً ريثما سكنتْ نفوسنا مُتناولين ماءً، ثم خرجنا. وبينما نحن بالباب، إذا بالفاضل، السيد عثمان أقبلَ في عربَة، فسلّمنا عليه سائلين عن نجْله، فأخبرَنا أنّه خرج صباحاً للبادية في أشْغالٍ، والغالبُ أنه ورد الآن.

---

(1) : يقال نياط القلب، وهو العرق الذي القلب متعلق به . اللسان (نيط).

(2) : عبد الله بن محمد بن أبي بكر : عالم ورحالة (1037 هـ - 1627 م/ 1090 هـ - 1679 م). نشر المثاني، 254/2. - صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد الصغير بن محمد بن عبد الله اليفرني المراكشي. ط حجرية د. ت، ص 191. - مناقب الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي، المطبعة العربيّة، البيضاء - ط 1357/1 هـ 149/2.

(م) : لم أجد بعد البحث الزائد فيما رجعت إليه من كتب اللغة أعقر بالهمز هنا جاء بالتضعيف [ويلتزق] البيت به في حال قراره مما لم يرد، بيد أن [الأمر] يتعلق بالرواية هل جاءت [أم] لا.

(3) : الشطر الثاني من هذا البيت مما يمثل به. ويقول من ينبّه على براءة ساحته : إني لم أعقر ناقة صالح. - التمثيل والمحاضرة في الحكم والمناظرة، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي. تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة. ط 1961 م.

(4) : محمد بن عثمان بن أبي بكر بن ابراهيم. ازداد بمدينة مراكش وبها درس ثم انتقل إلى مدينة الرباط. فإلى دولة مصر، وعاد بعد ذلك إلى مسقط رأسه أستاذاً بالجامعة اليوسفية، ثم رئيسا لها إلى أن توفي سنة 1945 م. من أشهر مؤلفاته : الجامعة اليوسفية...

وإذا ذاك كسرَنا[1] نخُطُّ الأرضَ خطا في مذكّرات نحو العلْم ودرْسه ببعض المدن كالرّباط وفاس ومرّاكش، وكيف كان الاتـجاه إليه؟ وهلْ من نُظُم تُـهيّءُ لنا نَشْئا[حيث][2] يقوم بأعباء الأمّة ويذُودُ عنها يَدَ العسْف، وكلّ ما يُساورها من أخطار. في هذه الأثناء، مرّ السيد عثمان في عربة مُنعطفاً إلى مَغْناه[3]. فوقَفَ[4] العربَة ورجا منّا الركوب معه، فركبنا تلبيةً لطلبه إلى داره، ووجدنا الأستاذ قد حضَر. فتبادلنا التّحايا مُتعانقين، واستغرب وُرودَنا مرّاكش المحبوبة. فإنّه كثُر ما وعَدْناه بالشُّخوص إلى تلك الحضرة وما ساعدتْنا الأقدارُ، ونفَذَ سهْمُ الحظّ إلا وقْته: تريدُ وأريدُ، ولا يكون إلا ما يريد[5].

فجلسنا في مدخل الدار على كراسيَ وطنية من[فَتيل][6] النَّخيل، نتحدَّثُ بُرهَةً بما يُسلّي. وبعدئذٍ حَصرَ علينا[7] لتناول العشاء معه، فأبَيْنا مُستسمِحينَهُ لمكان الوعد المضروب مع الفقيه الناظر. ثم عقدْنا موعداً نلتقي فيه غدَ الليلة الحاضرة، وقفلْنا بعد الوداع المؤقّت نقصد دار الفقيه، فتلقّانا بصدْرٍ رحْبٍ، ولسانٍ رطْبٍ كالعادة. فصعدْنا المشْرَبَة السّالف ذكرها. وحينما استقرّ بنا المجلسُ، جعل يسألنا: أين قطعتم هاته العشيَّةَ؟ وكيف كانت مرّاكُش في نظركم؟ فحدّثناه الحقيقةَ، ثم تناولنا ما قُدّر لنا من الطّعام خلال مذاكرات خفيفَة على طريقه (حْديثْ وْمَغْزَلْ)[8]، حرصاً على الزّمان؛ فإنه دُررٌ نفيسة تفوت [بفواتها][9].. أجل، فأثناء هذا، فطنتُ أن الرّجل لا يأكل السَّميذَ[10] كما نحنُ سوى نخالته. فاستفسرته، فأخبرني أن الطبيب [13] منعه من ذلك ومن كل ما به مادّة سكرية، حتى مشروب الشاي [فإنّما يتناوله بلا سكّر لمكان شيءٍ يسيرُ من ذلك الدّاء به] عافانا الله

---

(1) : كسر الرجل عن مراده أي صرفه. المعجم الوسيط. (كسر).

(2) : في الأصل : حين.

(3) : المغْنى : المنزل الذي غنيَ به أهلُه ثم ظعنوا عنه، جمعه : مغاني ، اللسان (غني).

(4) : وقف الدابة : أوقفها. المعجم الوسيط (وقف).

(5) : مما يتمثل به من التوراة ـ التمثيل والمحاضرة. ص 13.

(6) : في الأصل قتيل.

(7) : حصرَهُ يحصُره حَصْراً : حبسه عن السّفر. وحَصرَ عليه : منعه من شيء.

(8) : مثل شعبي مغربي. ـ مائة وألف مثل من الأمثال الشعبية المغربية، اختيار وتصنيف : محمد بن أحمد اشماعو، مطبعة المعارف، الرباط. الطبعة 1-1986 م. المجموعة الثانية ص 117، مثل رقم 1047.

(9) : لعل القصد : بفواته أي الضمير يعود هنا على الزمن.

(10) : السميذ : لباب الدقيق، والسميذ : نوع من الخبز يصنع منه ـ المعجم الوسيط، (سمد).

وإياه. ويظهر - والله أعلم - أن سبب هذا الداء الإكثار من الحلويات المسكَّرة، وبعض الخضر التي غلبت عليها المادة السُكّرية كالجزَر وما إليه. بل حدّثني أحد الزملاء الثقات أن بعض مهرَة الأطباء، أخبره أن سبب هذا الداء: قلّةُ التحرّك، وبالإعراض عن رياضة المشْي المُضَاعَة، رغم إفادتِها العضَلاَت نشاطاً، وكسبها قابليةً جديدة على الأعمال، وإذابة كلّ ما يُحاول التحجُّرَ من الفَضَلاتِ الداخلية التي تنعكس أحيانا لأمثال تلك الأضرار المؤلمة. لهذا، ترى رجال الطب والصحةَ كثيرا ما يحثُّون على استعمال تلك الرياضة لنتائجَ جمَّة. قالوا: [«] ينبغي للإنسان أن يعوِّدَ نَفْسَه ثلاثَ خصالٍ: 1) الأكل حتى لا تضيقَ أمعاؤُه، 2) المشي فلربَّـما احتاجه فوجَده، 3) الجماع، فإن البيرَ إذا لم تُنزَح ذهبَ ماؤُها [»][1] ويظهر لي، حسب ما أشاهد في إخواننا المسلمين من النُّحول، والذّبول، وأنواع من الآلام يقاسونها؛ أنه لا سببَ سوى الإعراض عن الرياضة التي تَكسبُ الذّات قوة ونشاطا. لهذا الحدّ يبلغُ بنا الجهل مبلغَه، فنسخر بمبادئ علمٍ من العلوم دُوِّن، ودُرِّس، ويُدرَّسُ في أرقى الكليات والجامعات التي كم أبرزت من رجال أقوياء. ولا تزال الصّحافة الحاضرة تُبين لنا عن أبطال بمختلف الأقطار سواء منها الأوربية أو الإسلامية كتركيا، ومصر، والعراق، وأفغانستان، والهند حتى ليخيَّل لك الرّجلُ في الصورة أنه عنترة[2] أو [عمـر]،[3] تُدهِشُ ملامحُه الرّائي إذ تربّت فيه الرّجولة بأكمل معانيها[من جرّاء][4] الدُّربة والعمل. في حين، يولَد فينا نحن ضد ذلك ما شاء الله. وأنت خبير أنه يوجد اليوم بألمانيا الدولة القويَّةُ بدهائها المدهش، مدارس جديدة تُدرِّبُ النَّشْأَ على المصارعة والملاكمة عن جدٍّ، حتى كأنها معارك دموية بساحات تلك المدارس، يعالجُ جرحَها أطباء اختصاصيون هُيئوا لذلك. فنشءٌ بهذه المتانة، قُلْ لي بربّك: كيف مُستقبله؟

---

(1) : الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس المبرد. تعليق محمد أبو ابراهيم والسيد شحاته، دار نهضة مصر - الفجالة 1376 هـ - 1956 م. 21/2. وفيه: قال بعض الحكماء - تشنيف الأسماع بأسماء الجماع وما يلائمه من مستلذات السّماع، لأحمد بن المامون البلغيثي. ج 1 مطبوع بالمطبعة الجديدة، فاس ط 1-1353 هـ، ج 2 : مخطوط الخزانة الصبيحية رقم 49/2.368.

(2) : عنترة بن معاوية بن شداد بن قراد من أشهر شعراء العصر الجاهلي توفي سنة 611 م أو بعدها بقليل. - الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني. شرح عبد الأمير علي امهنّا وسمير جابر. دار الفكر ودار الكتب العلمية ط 1، 1407 هـ - 1986 م. 237/8. - جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت أوائل ق4هـ) تحقيق محمد علي الهاشمي، مطابع جامعة محمد بن سعود 1401 هـ 1981 م. 9/2. - معجم الشعراء، ص 225.

(3) : في الأصل عمرو. ولعله يقصد عمر بن الخطاب.

(4) : في الأصل : جراء.

وا أسفاه على مستقبلِ تربية ناشئتنا: نُحولٌ، وذُبولٌ، وضَعفٌ: «أيا انهضي يا أمّةَ القـرآن»[1].
إثر هذا، خُضنا ميدان الشعر والشعراء، فتحدثنا عن طائفة منهم. فلم يلبث أن جَرّدَ ليَ شاعرُ الحمراء [2] وأوْرَدَ من إجادته وعلوّ شاعريته ما نعلمه منه وزيادة. ثم أنشدنا مُفرداً له رقيقا، سَبَبُه؛ أنه مرّ بسوقٍ مسقّفةٍ بالقصب، كما هو كثير بأسواق الحمراء، وقد نفذَ شعاعُ الشّمسِ من بين فُرَجِ السّقْفِ وارتَسَمَ في خَدٍّ أمْردٍ[3] ولفظُه - برغم أن له سابقا لم يستَحضِرْه الفقيه: [طويل].

جميل رأته الشمس فوق جمالها فهامتْ به وَجْداً وقبّلتِ الخَدّا [14]

إنه لتصويرٌ بديع. ثم مال بنا الحديث صوبَ شعراء الرباط كالفحل الجزولي؛[4] فأبدينا شيئا من شعوره كمطْلعِ قصيدته التي يرثي بها شاعر الرّقةِ، المؤرخ المرحوم محمد بوجندار:[5] [طويل]

حبيبي أبا جندارِ شَطَّ بك المثْوى وأصبحَ صفْوُ القولِ في إثْركُم لغْوَا

(1) : لازمة لنشيد إسلامي مطلعه:

كيف السبيل إلى انطلاق لساني وبراعتي عجزت عن التبيان
نحن انحرفنا على هدي الإيمان وتسابق الأقوام للميدان

هيا انهضي يا أمة القرآن.

(2) : محمد بن ابراهيم المراكشي المعروف بشاعر الحمراء (1315 هـ - 1897 م 1375 / هـ - 1955 م). - شاعر الحمراء في الغربال لأحمد الشرقاوي إقبال. د. ت، ص 11 وما بعدها. - الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، لمحمد بن تاويت التطواني 3 أجزاء. مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط 1403.1 هـ - 1983 م 988/3. - الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية 1912-1956، إبراهيم السولامي. مطبعة النجاح الدار البيضاء، د. ت، ص 259-260، له ديوان شعر «روض الزيتون» م خ م. وقد جُمع شعره وطُبع مؤخراً بتحقيق الدكتور أحمد شوقي بنبين.

(3) : مَرِدَ الغلام (بكسر الراء) مَراداً فهو أمرد. والمرَدُ: نقاءُ الخدّين من الشّعَر. اللسان (مرد).

(4) : من شعراء المغرب في العصر الحديث (1307 هـ / 1889 م - 1393 هـ 1973 / م). - الأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بلعباس للقباج. مطابع فضالة، المحمدية. ط 1400/2 هـ - 1979 م 87/1. - الشعر الوطني ص 229.. ذكريات من ربيع الحياة، لمحمد الجزولي. مطبعة الأمنية، الرباط 1971 م. (بعض أخباره).

(5) : محمد بن مصطفى بوجندار: شاعر ومؤرخ (1307 هـ / 1889 م - 1345 هـ / 1926 م). من أعلام الفكر، 107/2 - ذكريات من ربيع الحياة، من صفحة 64 إلى آخر الكتاب. - التأليف ونهضته، 239/1 - محمد بوجندار الشاعر الكاتب، لمحمد احميدة. منشورات عكاظ. ط 1-1993 م.

إلى أن قال:

فيا صاحبَ النّادي الذي أمَّ ربْعَهُ رئيسٌ ومرؤوسٌ ومَنْ بلغوا التَّقوى[1]

وكقصيدته التي دبَّجَها يراعُه الرّقيق يوم ختْم الشيخ شعيب الدكالي[2] صحيح البخاري بالمسجد الأعظم[3] التي مطلعها: [وافر].

رباطَ الفتحِ مأوى الفاتِحينــا بكَعبَتِه يطوفُ النّاسُ حينَا

هُو البلدُ الأمينُ ومَنْ بَنــاهُ عظيمٌ من مُلوكِ المسْلِمينـا

إلى المنصور[4] نِسْبَتُه وأعْظِم به نَسباً يزكّي النَّاسِبينَا[5]

وكقصيدة في الانتصار التُّركي: [طويل].

ضَراغِمَـةَ الإِسـلامِ أرْعَبْتُمُ العِدَا وأسْقَطتُمْ شَيْخاً[6] ورَاهُمْ تَرَصَّدَا

طعنْتُمْ به اليونان في القلبِ طَعْنَة تداعَى لها مِنْ جيشهم ما تشيّدا[7]

وقد أثبتها صاحبُ الأدب العربي في المغرب الأقصى[م]. وكشاعرِ الحمَاسَةِ حالاً، الفقيهُ

---

(1) : أُنظر: ـ ذكريات من ربيع الحياة (مع اختلاف في رواية الشطر الثاني من البيتالأول) ص 89-90. ـ من شعراء المغرب الأقصى وأدبائه المعاصرين، لعبد الله الجراري. تقديم وتحقيق: سعيد الفاضلي. رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب بالرباط 163/2-164.

(2) : أبو شعيب بن عبد الرحمان الدكالي، محدّث وإمام في علوم الحديث والسنّة. يُحيي بدروسه السلفية، ويبثُّ العلم الصحيح في أبناء الرباط مدة خمسة وعشرين عاما. ولد بالصديقات من دكالة عام 1295 هـ/ 1878 م، وتوفي عام 1356 هـ /1937 م. من أعلام الفكر المعاصر 269/2 وما بعدها. ـ المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي (العدد الأول من سلسلة شخصيات مغربية ط 1 مطبعة النجاح ـ الدار البيضاء 1396 هـ / 1976 م. ـ القول المحتَّم في لبس الخاتم. لعبد الله الجراري ص 33، هامش 1 (طبع عام 1350 هـ/1932 م، المطبعة الوطنية ـ الرباط). ـ الشيخ أبو شعيب الدكالي. عبد الله كنون. دعوة الحق ع 7 س 1969/12 ص 7-9.

(3) : يوجد هذا المسجد بالخرازين.

(4) : يعقوب المنصور الوحدّي. ت 595 هـ / 1199 م.

(5) : ذكريات من ربيع الحياه. ص 31 ، بعدها. قصيدة بعنوان «الرباط وختمة شيخ الإسلام».

(6) : شيخا: يعني به جورج لويد: رئيس وزارة انجلترا آنذاك.

(7) : البيتان هما مطلع لقصيدة طويلة (51 بيتا) تحمل عنوان: «ابتهاج المغرب بانتصار الأتراك». ذكريات من ربيع الحياة، ص 13. الأدب العربي، للقباج، 95/1.

(م) : الأديب الكاتب السيد محمد بن العباس القباج (ابن عباد المغرب الأقصى).

الناصريّ[1]. فكم له من قنابلَ فاتكةٍ تبعثُها شاعريته. منها شعره، وهو في الأدب العربي أيضا :[طويل].

أرَى دُولَ الإسلام عادَ سُرورُها بِعَوْدِ ربيع الفضْلِ بل زادَ نورُهَا

إلى أن يقول :

ولا غرْوَ، فالتَّوحيدُ وحّدَ أُمّـةً تَدينُ به حتَّى[ترقَّى][2] شُعورُها

ومنه في رثاء الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي :[كامل].

ما للمعارفِ تُرسِلُ النَّظَراتِ نحوَ الثَّرى وتَسلْسُلِ العَبَراتِ[3]

وبهذه المناسبة، ترامى الحديث إلى ذكر بعض المتطفّلين على الشِّعر والشّعور ممن حَسْبُهم تجريدُ كلماتٍ من القواميس وتلفيقها كقافية :(خبزاً وزيتوناً ومغفرة).

وقد كفَتْنا مجلة المغرب[4] مُؤنَة ذلك ونقده بسهام ابن عبّاد[5] المغربي، فشُكرا، شكراً.

وقد لذّ سمرُنا إلى الهزيع الأخير من اللّيل مستعرضين ذلك المفرَدَ الشّعريَّ الجامعَ من البلاغة والرّقة في البديع ما أدهش البلغاء ونصه :[كامل].

---

(1) : محمد بن اليمني الناصري من أدباء المغرب وشعرائه البارزين، ولد بالرباط وتوفي بالمدينة المنورة (1891 م - 1971 م). - من أعلام الفكر، 234/2. - الوافي بالأدب العربي في المغرب، 101/1. - الشعر الوطني، ص 263. له ديوان شعر قام بجمعه وتحقيقه عبد الحق بن طوجة.

(2) : في الأصل : ترقي.

(3) : هذا البيت هو مطلع من قصيدة تحمل عنوان : «رثاء المنفلوطي». (31). - الأدب العربي للقباج، 391/1. - شعر محمد بن اليمني الناصري، جمع وتحقيق عبد الحق بن طوجة. رسالة جامعية مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط 391/2.

(4) : مجلة المغرب هي المجلة التي نشر فيها محمد بن العباس القباج سلسلة مقالاته النقدية (الذعات بريئة) وأهم هذه المقالات ما بين 1933 و 1935 هي :

- أبحث عن شاعر : مجلة المغرب ع يناير 1933 : هل يسمع شعراؤنا ؟ مجلة المغرب، يوليوز 1934 م.
- أبحث عن شاعر : مجلة المغرب ع مايو 1933 : ليس هذا بعشك فأدرجي : مجلة المغرب، ع 5، أكتوبر 1934 م.
- الشنجيطي، ع 6 نونبر 1934 م.
- شعراء الشباب، ع 8 يناير - فبراير 1935 م.
- شاعر الشباب، ع 9 مارس 1935 م.

(5) : محمد بن العباس القباج : أديب وناقد. ولد بالرباط وبها توفي (1335 هـ - 1916 م/ 1400- 1979 م). - التأليف ونهضته، ص 219. - محمد بن العباس القباج : ملامح من حياته. لزين العابدين الكتاني. دعوة الحق ع 4، يوليوز 1982 م. - أحاديث عن الأدب المغربي، ص 85.

وإذا البَلاَبِلُ أفْصحتْ بلُغاتها فانْفِ البلابِلَ باحْتِساءِ البلابِلِ[1]

هكذا فليشْعُرِ الشّاعر، ولينْظِم النّاظِمُ، ناهيك به شعرا أحضَر ناسجُ بُرده جُموعاً ثلاثة متّفقَةَ اللفظ، في حين اختلفتْ فيه مفرداتُها وزناً ومعنىً: [15] فالبلابلُ الأول: جمْع بُلبُل للطير. والثاني جمع بَلْبالٍ للحُزن. والثّالث جمع بُلبُلةٍ للقدَح ـ الخمر. ويقال: إن البيت للثعالبي.[2] وهنا قُمنا للنّوم مع السلامة. فما كادت تدقُّ السّاعة (5,30) حتى استيقظتُ وأدّيتُ ما وجَبَ، وجعلتُ أطالع بعض الكتب. وأثناء ظرفٍ يسير، طلَعَ علينا الفقيهُ، فاستأنفنا الماضي. قال: إنه وقتما كان بالبيضاء، كان معه كاتب سلاويٌّ بالنِّظَارة. ومرّتْ ثلاثُ سنوات ولا يعلم له شاعرية ولا قافيةً إلا عند بناء مسجد القرية، فأنشد أبياتا لا بأس بها لم يستحضرها الفقيه. والذي أوقع الناظر في الغرابة، هو تلك المدّةُ الطويلة التي قطعها والكاتبَ، ولم يدْر له ولا مُفرداً.

ثم تحول الحديث بنا نحو البحر وركوبه ورياضة السّباحة ونتائجِها. فإذْ ذاك قصَّ عليَّ هاته الحكاية:

إن بعض الأمراء، قد كتب يعتب على بعض أصدقائه حيث كان لا يزوره، وبينهما بحور عريضة، فأجابه :[مجزوء البسيط].

---

(1) : البلابل الأولى جمع بُلبُل. الطائر المعروف، والثانية جمع بَلْبَلة وهي الهم، والثالثة جمع بُلبُلة وهو الإبريق. ـ اللآلئ والدرر أو أحسن ما سمعت. لأبي منصور الثعالبي (ت 429 هـ ـ 1038 م) شرحه وضبطه : عبد الأمير مهنّا دار الفكر اللبناني. ط 1-1990 م، ص 16. ـ الإكسير في علم التفسير، لسليمان الطوفي. د. ت. ص 254-315. ـ الكليات : معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (1094 هـ ـ 1683 م) قابله وأعده ووضع فهارسه : عدنان درويش ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة. ط 1-1412 ـ 1992 م، ص 307 . ـ نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار. شرح البديعة المزرية بالعقود الجوهرية. تأليف عبد الغني النابلسي. عالم الكتب ـ الطبعة الثالثة 1404 هـ 1984 م . ص 49.

(2) : البيت لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي : من أئمة اللغة والأدب من أهل نيسابور . اشتغل بالأدب والتاريخ (350/961-429/1038). وقد ورد في اللآلئ والدّرر سابق الذكر، أنظر ترجمته في : ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحيّ بن العماد الحنبلي. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت. د.ت، 246/3 ـ اللآلئ والدرر (المقدمة : من صفحة 5 إلى صفحة 20).

والبحرُ صعْبُ المَرام جدًّا لا جُعِلتْ حاجَتي إليْهِ[1]

أليسَ ماءً ونحنُ طينٌ فما عسى صَبْرنا عليه[م]

أُنظر إلى هذا الأخ كيف يلوم أخاه إذ لم يحضُر بشخصه، فأنّى بنا نحن الذين نبخل عن زملائنا وأقاربنا حتى بجَرّة قلمٍ، الأمرُ الذي لا نَفْنَدُ[2] معه إذا قُلنا بوجود أعمال ما هو أفظع وأمرُّ من العذْل والعتْبِ، وإلا فالعتب وحده مرآةٌ تُرينا من ورائها ما كَمُنَ في النّياطِ[3] من روابط المقَة[4] والإخاء. يقول الأديب :[كامل].

لولا محبَّتُكم لَما عتبتكُمْ [ولكنتمُ][5] عنْدي كبعْضِ النّاسِ[6]

وما علينا إلا أن نتسلّى بقول العاتب اللّبيب :[مجزوء الكامل].

عزَّ المدادُ بأرضكمْ فنَسيتمُ حَقّ الودادْ

أفطالَ عهْدُكمُ بنا أم قد بخلتمْ بالمدادْ [7]

وبما تحولنا إليه، حدّثتُ الفقيه الرجراجي بلطيفة الصّديقيْن اللّذيْن اهتما بالسِّباحة، فاقترح أحدهما على مُرافقه البُعد منه طلبا للسّتر. فأجاب بكل سرور، ثم سبَحَا جميعاً. وبعد لحظة صَعِد المأمورُ بالبُعد فشرَع يكْشفُ عن أخيه فلمْ يرَهُ، فأيقن أنه غَرِقَ، وأنشأ :[بسيط].

---

(1) : هذا البيت والذي يليه ينسبان لابن رشيق ولابن حمديس كذلك. ويُروى الشطر الأول من البيت الأول (البحر مرُّ المذاق صعبٌ). ـ نفح الطيب. 33/1. ـ الذخيره في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسّام الشنتريني (8 مجلدات) تحقيق : إحسان عباس دار الثقافة، بيروت 1399 هـ ـ 1977، 210/8. ـ حُسن الإشْعَارِ بمحاسن الأشْعَار، لأحمد الصبيحي. ص 21 خ ص، رقم 433.

(م) : وإن كان سبب البيتين لا يرتكز على هاته الحكاية كما في النفح. نعم لا مانع من وقوع الحكاية، وأدرج البيتان فيها على التمثيل.

(2) : فَندَ (بكسر النون) ينقد : أتى بالباطل.

(3) : سبق شرحها

(4) : المقةُ : المحبة. وَمقه يَمقُه : أحبّه ـ اللسان، (ومق).

(5) : في الأصل : ولاكنتم.

(6) : ينسب البيت للعباس بن الأحنف : ـ بهجة المجالس، 726/1. ـ وفيات الأعيان، 230/2.

(7) : وقريب من هذا المعنى قول الشاعر :

ما أُرجِّي من حبيبٍ ضَنَّ عنِّي بالمدادِ.

ـ العقد الفريد، 85/7 (غير منسوب).

يا بحرُ مالَكَ قد أتيْتَ بضدِّ مــــا	قــدْ قيـلَ فيكَ مُخبِّرا بعَجيبْ
اللّه أخبرَ أنّ فيـك حَياتنــــــا	ولأيِّ شيءٍ ماتَ فيكَ حَبيبْ [16]

قال: فلم يلبث أن طَفِقَ صديقُه على وجه الماء حيّاً... ويقْربُ من معنى البيْتيْن الأوّليْن ما أنشأه الحافظ أبو الوليد هشام الوقْشي[1] المهندسُ الحكيم، وقد عزم على ركوب البحر إلى الحجاز، فهاله ذلك وقال: [سريع].

لا أركــبُ البـحْرَ ولو أنّنــــي	ضربْتُ فيه بالعَصا فانفلقْ
ما أنْ رأت عيني [لأمواجه][2]	في فِرْقٍ إلاّ تَناهى الفرَقْ[3]

ولابن حمْديس الصِقلي[4] بأعلقَ من هذين: [مجتث].

لا أركبُ البحْرَ أخْشَى	عَـليَّ مِنْهُ المعاطِـبْ
طيـنٌ أنــا، وهْـو مــاءٌ	والطِّينُ في الماءِ ذائِـبْ[4]

---

(1) : هشام بن أحمد بن هشام الكناني (408 هـ - 1017 / 489 هـ - 1096 م). كاتب قاض، مهندس، أديب، له شعر جيد. من أهل طليطلة. وولى قضاء طلبيرة (من أعمال طليطلة). - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة البابي الحلبي. ط 1- 1384 هـ - 1964 م. 328/2 ترجمة رقم 2099. - المطرب من أشعار أهل المغرب، لابن دحية : عمر بن حسن (ت 633 هـ). تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد البدوي، مراجعة طه حسين، دار العلم للجميع، 1373 هـ 1955 م، بيروت - لبنان، ص 223. - معجم الأدباء، ياقوت الحموي. مراجعة وزارة المعارف العمومية، مكتبة البابي الحلبي. الطبعة الأخيرة د. ت. 286/19 ترجمة رقم 111.

(2) : في الأصل: أمواجه وهذه الرواية واردة، غير أن رواية نفح الطيب(لأمواجه) يكون الوزن فيها خاليا من علة أو زحاف.

(3) : أُنظر: - نفح الطيب، 377/3. - بغية الوعاة، 328/2. - نشر الأعلام، لمحمد بن علي دنية. م خ ص ١٠. والفِرْق: معناها: الموجة العالية من البحر. وتعني كذلك الهضبة. والفِرْق من كل شيء : القسم ينفصل منه. وهنا قد تعني الانقسام وتعني كذلك العلو والارتفاع. أما الفَرَق بتحريك الراء فهو الخوف. من فرق منه بالكسر فرَقًا: جزع. اللسان، (فرق). .تناهى الشيء: بلغ نهايته. يقال: تناهى الخطْب..اللسان، (نهي).

(4) : عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي. شاعر مبدع. رحل إلى الأندلس سنة 471 هـ فمدح المعتمد بن عباد فأجزل له عطاياه وانتقل إلى إفريقية سنة 484 هـ فمدح صاحبها يحيى بن تميم الصنهاجي ثم ابنه عليًا، فابنه الحسن سنة 516 هـ. توفي بجزيرة ميورقة. (ت 527 هـ/1133 م). وفيات الأعيان، 302/1. - المطرب لابن دحية، ص 54.

(5) : أُنظرهما في: - ديوان ابن حمديس. دار صادر، د. ت تصحيح إحسان عباس ص 534/533. - الرحلة الكبرى، لعبد القادر السودي، د.ت. 8/1. - نشر الأعلام، ص 9.

على أنّ المسلمين لأوّل أمرهم، كانوا[«] لا يُحبّون ركوبَ البحر. ولكن بعد أن فتحوا سوريةَ ومصرَ وإفريقية، اضْطَرّوا إلى استعمال الأساطيل البحرية. وبعد وفاة الرسول بخمس عشرة سنةً، غزا مُعاوية[1]، أميرُ الشام، جزيرةَ قُبرص. وفي سنة 669، غزا العرب جزيرة صقلّية. ومن ذلك الوقت، لم تَبرحْ سواحل سلطنة القسطنطينية عُرضةً للغارات البحرية الإسلامية. وكانت طوائفُ الأساطيل الإسلامية في بادئ الأمر، جمْعاً مُؤتَشَباً[2] من [الأفّاقين][3]، ومن النّصارى الذين أسلموا، ومن الشُذّاذ[4] من كل قوم. لكن المسلمين، فيما بعد، تعوّدوا ركوبَ البحر والغزو فيه طمَعاً في الغنائم [»] كما يقول الأميرُ في الغزوات. قال:[«] ومنهم من كان يغزو في البحر جهاداً في سبيل الله وابتِغاءِ الأجْرِ والثّواب. وصاروا يَروُونَ أحاديثَ عن الرسول معناها الحث على الجهاد في البحر، حتى بلغت بهم الحماسة إلى أن النساء صرن يغزون في البحر ومنهنّ: أم حرام[5]،امْرأةُ أحدِ الصَّحابةِ[6] التي ماتت في غَزاةٍ[7] بَحْريَّةٍ في قُبرص.

وقيل: إنه لما ذهب الأسطولُ الإسلامي يغزو القسطنطينية، كان أحدُ أولادِ الخليفة عمر حاضراً، فسألَ أميرَ البحر عن ذنوب الغزاة المجاهدين، فأجابه الأميرُ [بأنّ][8] آثامَهم معلّقةٌ

---

(1) : معاوية بن « أبي سفيان » صخر بن حرب، القرشي الأموي. مؤسّس الدولة الأموية في الشام، (20 ق م 603 م/ 60 هـ. 680 م). - تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن إسحاق اليعقوبي، طبعة النجف، 1385 هـ (3 أجزاء) 92/2 - البدء والتاريخ، لابن طاهر المقدسي. تحقيق كلمان هوار، صورة طبعة باريس 1899 م بغداد.5/6.

(2) : أشَبَ الأشياء أشْبا: جمعها وخلطها. إئْتشَبَ القوم: تجمّعوا. اللسان. (أشب).

(3) : في المخطوط: الإفاقين. وفي تاريخ غزوات العرب آتي الذكر، والذي نقل منه هذا النص نجد »الأفاقين«. والأفاق بتشديد الفاء : الذي يضرب في آفاق الأرض أي نواحيها متكسبا. اللسان. (أفق): - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط. شكيب أرسلان. دار الكتب العلمية، بيروت. د. ت، ص 108-109.

(4) : شُذّاذ الناس: متفرقوهم. جمع شاذ. اللسان، (شذذ).

(5) : أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، أسلمت وبايعت وهاجرت، وخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت في إمارة معاوية وخلافة عثمان، فلما وصلوا إلى جزيرة قبرص خرجت من البحر، فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت ودفنت هناك سنة 27 هـ. - تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. دار المعرفة بيروت. د. ت، 620/2. - أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام. عمر رضا كحالة. المطبعة الهاشمية، دمشق. ط 1379/2 هـ 1959 م، 253/1.

(6) : الصحابي هو: عبادة بن الصامت، المتوفى سنة 34 هـ/ 654 م.

(7) : الغزاة، من الغزو: وهي عمل سنة. أما الغزوة، فهي المرة الواحدة. - اللسان (غزو).

(8) : إضافة من كتاب: تاريخ غزوات العرب ص 109، ليحتفظ النص المنقول بسياقه كاملا.

في أعناقهم. فأجابه ابن عمر: والذي نفسي بيده: لقد تركوا آثامهم على الشاطئ. وعَزَوْا(م) إلى الرسول أنه قال: (1) إن الجهاد في البحر، فيه عشرة أمثال أجر الجهاد في البَرِّ[»](2) هـ من غزوات الأمير.

وهنا انحبس حديثنا وغادرنا البيت على أن نعودَ ليلا إن شاء الله، فتوجَّهنا نريد الأستاذ العثماني. نعم، قبل أن نَطْرقَ بابه، دخلنا مسجدا صغيرا بالمواسين حول سِمَاط عدول الشّهادة قصد ركعات. فيعلم الله كيف حُصُر المسجد بالغُبار والوسَخ. [17] أمّا تحتها فمُفزِعٌ. وبرغم كل هذا، هانَ المنظرُ في أعيُننا إلا ما كان من فظاعة الجيوش البقّية (3) التي أقبلتْ على غير هدىً تُريد سفك دماء المُسالمين عكس ما نعرفه عن عوائد الطبيعة.

وعند هذا المنظر، طار صوابُنا رعباً، وبالأخصّ: الصّديقُ (المحرِّمُ)(م) الذي بات فريسة لِهاته الحشرات سابقاً. فهزمنا فارّين تعلّقاً بالسّلامة. وأغرب من هذا أنّنا طيلة جلوسنا بالمسجد، والصّبيانُ تتوارد عليه بقصد الفطور فيه ووضع أزبال المأكولات تحت فرْشِهِ ولأمَنْ يرفعُ عَقيرَتَه بالنّظارة أو الوزارة، وبيوت الله تُمْتَهنُ ولا تجد من ينظّفها ويدفعُ أوساخها، في حين أن المكلّفَ مطلوبٌ بالنّظافة ظاهرا وباطناً، وبالأخصّ عند إرادة الصلاة ومواجهة الحقّ سبحانه. وكونُ المساجد بهذا الاعتبار ممّا يتصادم والنّظافةَ المبنيَّ عليْها دينُنا الإسلاميّ الحنيف. فإلى الله المشْتكَى من هذا الخِذلان الذي رُمينا به في كبِد معابِدنا المقدسة شرعا وطبعا.

فقرّرنا ألا نعودَ ثانيَ مرّة عكس ذلك العابد الذي يُظِلّه الله بظله يوم لا ظِلَّ إلا ظلُّه جزاءَ تعلُّق قلبه بالمساجد حتى يعود إليها. (4) وقد حُرِمْنا هذا، لكن لا عن طواعيةٍ ورغْبة، بل بدافع ما سلفَ، والذّنبُ كله على المُماثِلين.

(م) : نعم أجهدت نفسي كي أعثر على صحة هذا الغزو، فلم أرجع من وراء البحث بشيء. وحسبنا أن نقول ما قاله الصّادق المصدوق صلوات الله عليه : من كذب عليَّ مُتعمّداً فليتبوأ مقعده من النار.

(1) : رواه ابن ماجة «غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر...» - سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد (باب فضل غزو البحر)، 628/2 حديث رقم 2777.

(2) : تاريخ غزوات العرب، ص 109.

(3) : من البقّ، الحشرة المعروفة.

(م) : ولا غرو أن يبيت كذلك. فما هو إلاجزاء الرجال... ما أحلّ الله ورسوله.

(4) : إشارة إلى العبارة «ورجل قلبه معلّق بالمساجد...» الواردة في الحديث النبوي الذي مطلعه «سبعة يظلهم الله في ظله...» - الموطأ (كتاب الجامع) حديث رقم 121 ص 818 (طبعة دار الآفاق/ دار الرشاد). - الجامع الصغيرفي أحاديث البشير النذير، لجلال الدين بن أبي بكر السيوطي. دار الكتب العلمية. بيروت ط 1: 1410 هـ - 1990 م .ص 285 رقم 647. - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، 77/4.

أجل، فبحثنا على الأستاذ، وسرعان ما برز إلينا فرحاً مسروراً، وأدخلَنا إلى قبّة أنيقة على الطَّرْز[1] المرّاكشي الرقيق، وجعلَ يَعتِبُ علينا حيث لم نزرْه لأول مرّة. فاعتذرنا إليه بما نالنا من التّعب مما لم يُفدْنا معه سوى الخان. فحاول الإرسالَ في حقائبنا لتجيء. فاستسمحناه بكلّ جُهودنا إبقاءً على عاطفة النّاظر حتّى لا ينكسرَ خاطره. ثم دار حديثنا في معاهد قَضَّاها الشباب الغضّ هناك برباط الفتح. ولله درّ ابن الرّومي[2] إذ يقول من قطعة وطنية: [طويل].

وحَبَّبَ أوطانَ الرّجال إليهـمُ	مئاربُ قضّاها الشّبابُ هُنالكا[م]
فإن ذكَروا أوطانَهم ذكّرَتْهُمُ	عُهودَ الصِّبا فيها فحَنُّوا لذلكا[3]

مـمّا أذكى نار الوحشة في قلوبنا إلى مسقط الرّأس ضرورة أنّنا بالسَّقَب[م] من مُزايلته[4]. نعم، مالَتْ نفسي إلى ذكر ما كنتُ أحفظه لعبد الرّحمان الداخل[5] الأمويّ حين ذكر وطنه وأحسَّ بمرارة الغُربة، قال؛ كما في النفح : [18] [طويل].

تبدَّتْ لنا وسْط الرُّصافةِ نـخـلَـــةٌ	تناءتْ بأرضِ الغرْب عن بلَدِ النّخلِ
فقُلتُ: شبيهي في التغرُّبِ والنَّـوَى	وَطول ابْتعادي عن بَنِيَّ وعن أهْلـي
نشأْتِ بأرضٍ أنتِ فيها غريـبَــةٌ	فمثْلُكِ في الأقْصاءِ والمُنتأى مِثْلي

---

(1) : الطرز بفتح الطاء وكسرها: النّمط والشّكلُ. اللسان، (طرز).

(2) : علي بن العباس بن جريج، شاعر كبير، ولد ونشأ ببغداد ومات فيها مسموما (221 هـ - 836 م/ 283 هـ 896 م).- معجم الشعراء للمرزباني 145. - وفيات الأعيان، 212/3. - معاهد التنصيص، 108/1.

(م) : يقال :إن ابن الرومي، هو الذي كشف القناع عن علّة محبة الإنسان[لوطنه] بهاته القطعة التي مطلعها:

ولي وطنٌ آليت أن لا أبيعَه وألا أرى غيري له الدّهر مالكا

(3) : البيتان من قصيدة يمدح فيها سليمان بن عبد الله: - الديوان، شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنا. دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى 1411 هـ/ 1991 م 19/5. أما البيت: (ولي وطن..) المشار إليه في الهامش فليس مطلعا وقد تردد البيتان في كثير من المصادر نذكر منها: - زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني. (ت 453 هـ) شرح زكي مبارك، دار الجيل بيروت - ط 1972/4. 737/3. - ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي - القاهرة. ط 1400/1 هـ - 1980 م. 35/1.- فهرسة حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار، لمحمد بن المعطي السرغيني المراكشي (1245 هـ - 1296 هـ). تقديم وتحقيق: مارية البحصي. رسالة جامعية مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط. (3 أجزاء) 86/19 - 401/2.

(م) : غير واضحة.

(4) : مزايلته أي مفارقته. اللسان، (زيل).

(5) : مؤسّس الدولة الأموية (113 هـ / 731 م - 172 هـ / 788 م). النفح 155/1..

سَقتْكِ غوادي المُزنِ في المُنْتأى الذي   يَسُحُّ ويسْتمْري السِّماكيْن بالوَبْــلِ[1]

وذكر أيضاأبياتا بعث بها إلى أخته وهي بالشام كمافي المعجب لمحي الدين المراكشي[2] [خفيف].

أيها الرّاكب الميمِّمُ أرضِـــي	إقْرَ منْ بَعضيَ السّلامَ لبَعْضــي
إن جسمي كما علِمتَ بأرضٍ	وفُـؤادي وسـاكِـنـيــه بـأرضِ
قُـدِّر البيْنُ بينـنا فافتـرقْتـا	وطوَى البيْنُ عن جُفونيَ غُمْضي[3]
قد قضَى اللَّهُ بالفِراقِ عليْنا	فعسَى باجْتماعنا سوْفَ يَقضي[4]

والبيت الأخير هذا يدلُّ على أحلامٍ وأمانيَ بعيدة كان يجيشُ بها صدرُه، وتنطوي عليها نفسُه الوثّابة التي لم تقف عند حدّ. إذ كان يرمي إلى التغلب على الدولة العباسية التي اجتَثّتْ شَأفَةَ[5] الأمويين والقضاء عليهم بعد أن يوطِّدَ مُلكه بالأندلس. بل كان أبو جعفر المنصور[6] يتوقع شيئا من ذلك مُشفقاً. ورغم ذلك، كان يعترف له بمزاياه النادرة التي

---

(1) : وردت الأبيات في: ـ النفح، 54/3. مع بعض الاختلافات. ـ نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي، لكامل كيلاني. مطبعة المكتبة التجارية ـ مصر، ط 1، 1342 هـ ـ 1924 م. ص 42. وفيه: (حكوا أنه رأى نخلة منفردة في إحدى حدائق قرطبة، جلبوها من سوريا وذكرته بأرضه ووطنه..).

ـ سَحّ المطر يَسُحُّ (بضم السين) سحا وسُحوحاً: سال من فوق واشتد انصبابه. اللسان (سحح).

ـ يستمري : مَرَتِ الريحُ السّحابَ : أنزلت منه المطر. اللسان (مري).

ـ السّماكين : نجمان نيّران أحدهما السماك الأعزل والآخر السِّماك الرّامح. اللسان (سمك).

ـ الوبْل : المطر الشديد.. الضخم القطر. اللسان (وبل).

(2) : محيي الدين عبد الواحد بن علي بن تميم المراكشي، مؤرخ. ولد بمراكش وتعلم بفاس والأندلس ورحل إلى مصر.وتجول في كثير من بلدان المشرق (581 هـ ـ 1185 م/ 647 هـ ـ 1250 م). ـ هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي. طبعة استانبول. (1951 ـ 1955 م) منشورات مكتبة المثنى بغداد (أعادت طبعه بالأوفست). 635/1. ـ أعلام الزركلي، 176/4.

(3) : الغُمْضُ : النوم. ـ اللسان، (غمض).

(4) : وردت هذه الأبيات في النفح مع بعض الاختلافات: من (مني)، علمت (تراه)، ساكنيه (مالكيه)، الله (الدهر) ـ النفح، 38/3. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 8/1. ـ ديوان محمد المامي، م. خ ص 114. وتنسب كذلك لمعاوية بن صالح الحضرمي القاضي، ت: 168 هـ .

(5) : الشأفة : بالهمز وغير الهمز: الأصل. يقال: استأصل الله شأفته أي أصله. اللسان، (شأف).

(6) : عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بني العباس (95 هـ ـ 158 هـ). ـ الكامل في التاريخ، لابن الأثير. دار صادر بيروت،1385 هـ ـ 1965 م. 461/5. ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري. المطبعة الوهبية،1283 هـ. مصر (جزآن) 324/2. ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، لعلي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة مصر. ط 1367/2 هـ ـ 1948 م 128/4.

انفرد بها دون غيره. وكثيرا ما كان يقول: «لا تَعجَبوا لامتداد أمرنا مع طول مِراسه، وقُوّة أسبابه، فالشأن في أمر فتى قريش الأحْوَذيِّ [1] الفذّ في جميع شؤونه[»][2] إلى آخر كَلِمِهِ الذهبية في شأن هذا الفتى الطَّموح.

عقبَ هذا جعلتُ أقرأُ عليهم كلمة من صحيفة الزّهرة[3] التونسية، حتى إذا بلغت كلمة «صَحَفي»، وقفَني الأخ العثماني قائلا: أنت خبير أن فَعيلَة في النّسب يأتي على فَعَلي، فمقتضى هذا أن نقول صَحَفي، فقلت: نعم كطبيعة وطَبَعي. وخُضنا جميعاً حول الكلمة قائلين: يتأتّى هذا في النّسبة إلى الصحيفة. أمّا والكُتّابُ، يَعنونَ باللفظة الحِرْفَة؛ أيْ صاحبَ الصّحيفة لا النسبة إليها مجرّدةً، وذلك ما يقتضي كتْبَهُ بالألف بعد الحاء. على أن الصّحفي، من يخطئ في قراءة الصّحيفة والـمُصحَفُ والصَّحّافُ كذلك، كما لبعض المتأخرين من كتّاب اللغة، [قال][4]: الصّحافة عند المعاصرين: كتابة الجرائد، وعالم الصحافة: كتبة الجرائد. وعليه، فيقال في الكاتب صحافي، والأمر سهل.

بعد هذا، قصدنا زيارة إحدى المدارس؛ أعني مدرسة الفقيه الميقاتي أبي عبد الله محمد بن عبد الرَّازق الفاسي[5] بالمواسين. فدخلنا، فلم يلبث التّلاميذ أن قاموا عن آخرهم لتأدية التّحيَّة، فجلسنا هنيهةً طلبَ فيها الأستاذُ العثمانيُّ من الفقيه إحضارَ بعض التلاميذ قصد الرُّؤية والامتحان. فأحضر لنا تلميذا (يبدو عليه أنه ابنُ العاشرة). فاقترح عليَّ الأستاذُ العثماني أن أباحثه في العربية. فألقيتُ عليه قول الله تعالى ﴿ما هَذا بَشَراً﴾[6] فتجرّد يُعربُ [19] الآية الكريمة بهدوء وسكينة حتى أتى عليها إفراداً وتركيباً، وإعراباً، وبناء؛ مما

---

(1) : الأحوذيُّ : المشمِّرُ في الأمور والقاهر لها لا يشذ عليه منها شيء. اللسان، (حوذ).

(2) : أنظر كذلك: ـ نظرات في تاريخ الأدب.. ص 39.

(3) : جريدة يومية سياسية إخبارية. صدر أول عدد منها سنة 1307 هـ/ 1888 م.

(4) : في الأصل: وقال.

(5) : فقيه ورياضي. ولد بمراكش يوم الإثنين 18 رمضان عام 1324 هـ/ 1906 م، ولا يزال على قيد الحياة. ـ إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلّة من علماء المغرب المعاصرين. محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. ط 1-1412 هـ ـ 1992 م، ص 269.

(6) : سورة يوسف آية رقم 31.

بـمَجامعنا . وفوق هذا، أنه كان يرتكبُ الاستدلال على كل جزئية من خُلاصَة[1] ابن مالك[2]، أخذ ومقدّمة الأستاذ، مما زادنا هُياماً بثباته وذكائه . فإن الخوض في أمثال هذه الآيِ وإعرابها بعيدُ المرام على المبتدئين. ثم خرجنا مُودِّعين الأخ العثماني إلى اللقاء لدى الساعة الثانية عشرة . وَصَحِبنا الأخ السيد إبراهيم[3] صنْوُ الأستاذ المختار إلى مدرسته بزنقة السمرقندي (أبي حفص عمر السمرقندي)[م] المتوفي سنة ست وسبعين وسبعمائة 776 . كذا في رخامة شهدناها، وبُنيت عليه قبّةٌ صغيرة بأول الدّرب المنسوبُ إليه الموضعُ المعروفُ بثلاثة فحول قرب ضريح سيدي عبدالعزيزالتّبّاع[4] . أجل، فدخلنا المدرسةَ وسرعان ما قام تلميذُ الأستاذ للسّلام علينا بتُؤدةٍ وأدبٍ بالنّسبة لسنِّهم (فما هو إلا التربيةُ والتهذيبُ، وأكْرِم بهما) . ثم طلبنا من زميلنا الأستاذ إبراهيم الوضوء، فهيأ لنا ماء وتطهّرنا وخرجنا جميعاً رجاء رُؤية بعض الأسواق . وبينما نحن نمشي بين أبوابها، وإذا هي تُرقِص[5] الغريبَ مِثلي (ولا غرابة)

---

(1) : الخلاصة : اشتهرت بألفية ابن مالك آتي الترجمة.

(2) : محمد بن عبد الله الطائي الجياني.نحوي. ولد بجيان سنة 600 هـ/1204 م، وتوفي بدمشق سنة 672 هـ/1274 م. ـ طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي. عبد الوهاب بن علي. المطبعة الحسينية المصرية، ط 1324/1 هـ. 28/5. ـ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (680 هـ ـ 1281 م / 743 هـ ـ 1342 م). تحقيق عبد المجيد دياب. ط 1-1406 هـ ـ 1986 م. شركة الطباعة العربية السعودية. ص 320 ترجمة رقم 191. ـ معجم المطبوعات المغربية، لادريس بن الماحي الإدريسي. د. ت، ص 315.

(3) : إبراهيم بن علي الإلغي (أخ المختار السوسي). شاعر وأديب، لجأ إلى تطوان فرارا من مضايقات الفرنسيين. ولد سنة(1328 هـ ـ 1910 م/ 1406 هـ ـ 1973 م). ـ المعسول، لمحمد المختار السوسي. مطبعة النجاح، الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المحمدية (1960-> 1963 م). الجزء الثاني، ص 282 وما بعدها. ـ التأليف ونهضته، 275/2. ـ الشاعر الوزير محمد بن موسى: دراسة في شعره، لمحمد المنتصر الريسوني. منشورات عكاظ، 1416 هـ ـ 1994 م. ص 49 هامش رقم 102.

(م) : أخبرني بعض المطّلعين من الإخوان، أن الفقيه المؤرخ القاضي السيد محمد بن إبراهيم قال في تأريخه عن السمرقندي المذكور : إنه لم يعرف له تأريخ.

(4) : أحد الرجال السبعة بمراكش . توفي سنة 914 هـ. ـ ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، لمحمد المهدي الفاسي(ت 1109 هـ). تحقيق وتعليق: عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد. مطبعة محمد الخامس فاس. ط 1/ 1989 م. ص 35 رقم 2. ـ دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، لمحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني. تحقيق محمد حجي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط 1397 هـ ـ 1977 م. ص 136، ترجمة رقم 145. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 413/7 ترجمة رقم 1259.

(5) : أرقص في سيره: اهتز وتحرك. اللسان، (رقص).

وقتما يقعُ النظر على الصّنع البديع في البنادق والسيوف، حتى هزّ ذلك المنظرُ أريحيّتي، فتعلّقتْ روحي، ونزعَ طموحي لحُسامٍ، فأخذتُه من صانعه على أن أضعَه في بيتي أثراً.. نعم آليت أن لا أضعه إلا منكّسا [1] ريثما يفتحُ اللّه علينا في ميدان القوة والسلاح الحديث الذي ترامت الأممُ المعاصرة لاختراع المدمِّرات منه، بما يقفُ العقل دونه دَهِشاً.

ومن الصنائع التي شهدناها: صُنع المَناطِق[2] الجميلة والسّجّادات الرفيعة، وأَرْحاءِ[3] الدّقيق والحِنّاءِ، وأكياس الجلد المطروزة بالحرير، وأطْباقِ الدَّوْمِ[4] الأنيقة الصنع.

ومن المصنوعات الغريبة التي لَفَتتْ أنظارَنا، صنعُ المزمار المعروف[عندنا][5] (بالغَيْطةِ)، وناهيهك به في دقة الصنع باليد (لا أننا نقول بالمزمار ولا بغيره).

ومنها: الحياكة والنّسجُ الوطنيان. والحدادة، وياما أكثرها حتى أنني سألت عن الشبّاك بكم ثمن يساوي الكيلو، فقيل: فرنكا ونصفا، رغم أنني اشتريته في الرباط بأربعة فرنكات في الأيام نفسها. فبين الثمنين بون كما ترى.

ومنها صناعة الفوانيس الجيّدة. وممّا أدخل علينا السّرورَ فيها، استقلالُ المسلمين بصنعها، بينما هي في الرباط لليهود خاصّةً. ومنها أكْيارُ النّفخ التي انفرد المسلمون بها أيضا، في حين وقعتِ المشاركة فيها بين المسلمين واليهود بالرباط مع الأقلية في ناحية المسلمين. [20] ومنها صناعة الفخار: ما شئت من قُدور، وبرّادات[6]، وكيزان، وقناديلَ وو إلخ.. حتى أنه غلب على أهلها الشرب في آنيتهم. فقلّ أن تجدَ كوزاً وإناءً غربياً أجنبيّاً. ولَنعمَ العمل حيثُ تروجُ البضاعات اليدوية، و المصنوعات الوطنية. و قد حازوا إعجاب الزائرين فيما بلغوا إليه من التحسين في صنع البرادات المائية، إذ جعلوا يَنقشونها بألوان الصِّبْغِ[7] حتى إنها تأخذ بلُبِّ الرّائي إن لم يكن اختياريا فاضطراريا، مما دفعني لاشتراء واحدة بكوزها الأنيقِ ترْخيماً[8] مثلها، لكن لا بقصْدِ الشّرب، بل على نية النّظر فحسب، حتى أنّني

---

(1) : النّكس : قلب الشيء على رأسه. والنِّكس من الرجال : المقصِّر عن غاية النجدة. اللسان، (نكس).

(2) : المناطق : واحدها منطق وسمي كذلك النطاق: وهو كل ما يشد به وسط الإنسان. اللسان، (نطق).

(3) : جمع رحى.

(4) : شجر صغير من الفصيلة النخلية.

(5) : في الأصل : عند.

(6) : آنية من الفخار للماء.

(7) : الصبغ : ما يصبغ به. اللسان، (صبغ).

(8) : رخّمَ البيتَ ترخيما : غطّى أرضَه بالرخام. والقصد هنا: الزخرفة. اللسان، (رخم).

باسطتُ بعض الإخوان قائلا : فلَكُم ها هنا : سِقاية[1] (شَرْبٌ وشُفْ)، وأنا أصحبها معي إلى المسقط .

ثم السِّقاية المشارُ إليها . من عجيب الآثار الخالدة . بتلك الديار ، يدُلّك دلالة قاطعة على دقيقِ نقْشها وإحْكام رسْمِه[2] المُدهش، أنّه [من][3] خشب النّخل كما يقولون ، و أنت خبير أنه يصعب قبول ذلك التّرخيمِ لولا تلك الأيدي الكريمة :

تلكَ آثارُنا تدُلُّ علَينا   فانظروا بَعدَنا الى الآثارِ

و منها : صناعات النّحاس ، و يا ما أرقاها بأنواعها . و منها : النِّجارة وغيرُها من الصّناعات التي يمكن على الإجمال أن تقوم بضروريات الشَّعبِ المرّاكشي، وبعض الكماليات .

أما الخضرُ والفواكه، فحدِّثْ عن البحرِ ولا حرجَ. فأكْرِمْ به من بلدٍ نقَشَ أهلُه في نِياطِ قلوبنا محبَّتَهُ، إذ كانوا أهل وَداعَةٍ، ولُيونة، وحِلْم، وأُلْفة، خصوصاً للغريب . آيةُ هذا، أنه بينما نحن نمرُّ ببعض الأسواق كاشفين عن رجُلٍ بالعطّارين، إلى أن وقفْنا بدكّان رجلين يشتغلان بصُنع الرّوابِز (المنافيخ)، فسألناهما، فلا تسأل عن مقابلتهما لنا ما شئت من تسْييدٍ أثناء كل كلمة حتى اهتمّا[4] أن يذهبا معنا للمحلّ المراد، تاركين الشّغلَ لولا تعفُّفنا، وآخر الأمر[ناولنا][5] أحدهُما كأساً من القهوة قائلا : تفضّلوا، وهو يكاد يحلِّق في الجوِّ فرَحاً بنا فقلت :[وافر] .

هيَ الأخْلاقُ تُعلي من تشاءُ   فطِبْ تفْساً وإلاَّ فالثَّواءُ

فانثَنَيْنا راجعين إلى الأخ العثماني وفاءً بالوعد السّالف لدى ساعته، غير أنه ما راج مُفيدٌ سوى شيء من المزْحِ بادَرَ به الأخُ العثمانيُّ الصّديقَ المقاطعَ للشّاي، وبالحضور معارضُه : السيد إبراهيم السّوسي[6] . وإثر هذا طلبنا من الأخ الوُضوءَ، فأجاب بكل انشراح . فتطهّرنا وأدّينا ما وجبَ. وخرجنا صُحبة الأستاذ المختار، فاقترح علينا أن نُرافقه نحو المدرسة رجاءَ إعطاءِ برنامج النّيابةِ عنه حتى لا ينالَ تلك العشيّة بطالةٌ وفوْضى لما له من الحرارة الغريزية

---

(1) : السقاية : الإناء يسقى به.

(2) : الضمير يعود هنا على الكوز.

(3) : في الأصل : على.

(4) : اهتم بالأمر : عني بالقيام به.

(5) : في الأصل : ناولهما.

(6) : سبقت ترجمته.

في بثّ العلم. ثم خرجنا باحثين عن عربة، فامتطينا صهوتنا آمّينَ (الحوض): صهريج المنارة،[21] ذلك الحوض الذي يُقدّر بـ[ ][1] وبه قصر رفيع، وغُرفة بديعة، تُطلُّ على قعْره البالغ نحو متر وثمانين، 1,80. ولتدفُّق مياهه وخَريرها وصفائها، تاقت النّفْسُ للسّباحَة لولا أنها ممنوعة، في حين كانَتْ قبلَه مُباحة حتّى غرق به بعض الصّبيان ضحية الجهل بالسِّباحة. وقد سلفتِ الإشارةُ إليها والحثّ على تعلُّمها.

وهذا القصرُ هو الذي نُقل نقشه لضريح فخر المغرب والمغاربة، أبي القاسم عبد الرحمان بن الخطيب السُّهيلي[2]، والذي قام بذلك عند بناء القُبّة[3] هو السلطان محمد بن عبد الرَّحمان العلوي[4].

وبينما نحن على ظهر العربة سابحين في مُذاكراتٍ مفيدة، إذ طرقْنا حولها مسألة النفي بعد الأفعال الأربعة الملْحَقة ب «كان» في العمل. قال الأستاذ المختار: إنه ـ يعني النّفي في ماضي تلك الأفعال ـ لا يكون إلا ب «ما». أمّا (لا) فلا، فأجبناه أنه يكون حتى بلا فيما نعلم. فالمحظور دخول (لا) عليه : هو غيرُ ماضي هذه الأفعال عند عدم التّكرار. ثم قال الأستاذ : راجعوا المسألة.

أجل، فقد بحثنا بعد، فألفيْتُ أنّ تلك الأفعال : ما زال، وماانفكّ، و مافتِىء، و ما برِحَ لا تقبلُ بلفظ الماضي سوى النّفي ب «ما» أو «لا» خلاف ما يُستفاد من عبارة ابنِ مالك[5].

---

(1) : بياض في الأصل.

(2) : أبو القاسم (ويكنى كذلك بأبى زيد) عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي الخثعمي المالقي.أحد الرجال السبعة ولد سنة 508 هـ ـ 1114 م بمالقة وتوفي بمراكش سنة 581 هـ ـ 1185 م. ـ نكت الهيمان في نكت العميان، لصلاح الدين الصفدي. المطبعة الجمالية، القاهرة 1911 م. ص 187. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 60/8 ترجمة رقم 1082. ـ التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام، لعبد الرحمان السهيلي ت 581 هـ) تحقيق ودراسة: عبد الله محمد علي النقراط. منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، 1992 م (المقدمة) 16 وما بعدها.

(3) : أُنظر ما يتعلق ببناء القبة: ـ الإعلام بمن حل مراكش، 337/6.

(4) : السلطان الحادي عشر في سلسلة ملوك الدولة العلوية توفي سنة 1290 هـ ـ 1873 م بمراكش. ـ الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، لعبد الرحمان بن زيدان. المطبعة الاقتصادية بالرباط لصاحبها مصطفى بن عبد الله، 1356 هـ ـ 1937 م. ص 89. ـ الاستقصا، 80/9 إلى ص 127. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 331/6، ترجمة رقم 846.

(5) : لعله يشير إلى نظمه في هذه الأفعال و هو قوله :

ككان ظل بات أضحى أصبحا ... أمسى و صار ليس، زال برحا

فتىء، و انفكّ، و هذي الأربعة ... لشبهِ نفْي، و لنفيٍ، مُتبعَة

ـ شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك. دار الفكر ط 1399/6 هـ ـ 1979 م، 2611/1 .

قال العلاّمَةُ ابنُ حمدون[1] في الحاشية[2] بعد هذا الإشكال: مع أنهم نصُّوا على أنَّها إن كانت بلفظ الماضي لا يكون النافي إلا »ما « أو »لا « . وإن كانت بلفظ المُضارِع نُفيَتْ بجميع الأدوات . فأكْرِمْ بالمذاكَرة ونتائجها . ولله درُّ أمِّ الدَّرداء[3] إذ تقول : [«] طلبتُ العلمَ في كلِّ شيءٍ ، فلم أجد أَشْفى إليَّ مِن مُذاكرة العلماء [»][4] . يقول الأديب المذاكر: [طويل] .

ومن لمْ يذاكرْ ذا العُلوم بعلْمِه	ولم يسْتفد علْماً نَسَا[5] ما تعلَّمَا
فكمْ جامعٍ للكُتْبِ في كلِّ مذْهبٍ	يزيدُ مع الأيَّامِ في جهْله عمَى[6]

لا سيما مع إخوان الصَّفا والإنصاف كهؤلاء الذين يَنشُدون الحقيقة حيثما حلَتْ، لا يعمل فيهم حبُّ النفس والظهور . ومن هناك قفلْنا راجعين . وفي هذا الظرف، حدَّثنا الفقيه المختار، أنهم وقتما زارهم أستاذنا العلامة : محمد المدني بن الحُسني[7] واسط ذي الحجة عام 1352 [هـ] وذهبوا لأميزميز، تلك القريةُ التي تبعُد عن الحمراء بنحو ستّين كيلو متر ونّيف ، ونزلوا عند قاضيها أبي بكر المسفيوي، جادتْ قريحتُهم بمُساجلةٍ ذات

---

(1) : حمدون بن عبد الرحمان بن حمدون بن عبد الرحمان الشهير بابن الحاج السلمي الفاسي. مفسر ومحدث وصوفي. ولد سنة 1174 هـ، وتوفي عام 1232 هـ. ـ سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر بن ادريس الكتاني. ط حجرية 1316 هـ، 3/ 4 - 5.

(2) : حاشية أبي العباس أحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج على شرح عبد الرحمان المكودي. دار الرشاد الحديثة. ط 1414/1 هـ ـ 1993 م، 155/1.

(3) : هُجيمة بنت حيي الوصابية، فقيهة ومحدثة و تابعية. كانت تصلي في صفوف الرجال. نشأت بدمشق. توفيت بعد 81 هـ/ 700 م. ـ خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني (ت بعد 923 هـ). تحقيق واعتناء: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ حلب د. ت. ص 498. ـ تهذيب التهذيب، لأبي العباس أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ ـ 148 م). دار صادر ـ بيروت. مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن، الهند 1325 هـ ـ 1326 هـ ـ 1327 هـ. ص 12 ـ ص 456. ـ أعلام النساء، ص 1581.

(4) : تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف المزّي. تحقيق: بشار عوّاد معروف. مؤسسة الرسالة، 4113 هـ/ 1992 م،ج 35، ص 355.

(5) : نسا هنا لغة وليست ضرورة شعرية. يقول ابن مالك:

والكسرَ فتحاً رُدَّ واليا ألقا لطيِّءٍ كخَفيَ ارْدُدْهُ خَفا

(6) : ـ روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، لأبي عبد الله بن الأزرق. تقديم وتحقيق سعيدة العلمي، إشراف: عبد القادر زمامة، رسالة جامعية مرقونة بجامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب بفاس. السنة الجامعية 1406 هـ ـ 1986 م/1407 هـ ـ 1987 م. 227/4. (بدون نسبة). وفيه: جمعه بدل جهله. (طبعت مؤخراً)

(7) : سبقت ترجمته.

قافية زائية على« ميز ميز » . نعم طلبت منهم نسخة، فلم أجدْها بين أيديهم . بيد أنه علِقَ بذهنى شطرٌ من أشطارها على ما فيه : (كدرابيل الدَّرقاويِّ المهزُوز) .

وميزميز هاته، قد زُرناها والحمد لله، وسترى أثَر الزيارة بعْدُ في المساجلة : « أحلى المشاهد » . [22] فدخلنا مراكش، والعشاء على الأبواب . فتواعدنا مع الأخ المختار، ودخلنا مسجد (قاعة ابنِ ناهضٍ) لأداء الفريضة، حيث كان إزاء المنزل الذي نؤُمُّه . ثم طرقنا بيت الفقيه الناظر، فقابَلَنا بكُلِّ انشراح، وهمَّ بإحضار العشاء فاستسمحناه، فأجاب طالبا مشروب الشاي . وشرعنا في الحديث، فألقينا على بساط المجلس تَرجمة رحّالة المغرب (ابن بطوطة) الطَّنجي اللَّوَاتِيِّ نسبة إلى لواتة، قرية قُربَ صفرو . وذكرنا من قوة ثَباته واقتحامه الأخطار ما أدْهَشَ بالأخصِّ رجالَ العصرِ حتّى كان مرجعَهُم تاريخياً، وجغرافياً، وأدبيّاً . وبعبارة [كان][1] خِرِّيتَهم الأكبر في مناحيَ كثيرةٍ من الكُرة الأرضية . وقد تُرجمَت رحلتُه لغير ما لغة، ابتداء من أول القرن التاسع عشر . فكم حاضَروا بها وسامَروا، مُستفيدين ومُفيدينَ . فللرّجُلِ اليدُ البيضاءُ حتّى على أوربا نفسها كما يشهد بذلك المحنَّكون من رجالها، والمنْصِفونَ من مُستشرقيها .

وممن حاضروا بحياة هذا الرجل، رئيسُ جمعية شمال إفريقيا بفرنسا الأستاذ محمد الفاسي[2] خرِّيجُ الأدب الفرنسي الذي وُظِّف أخيراً مدرِّساً بإحدى المدارس البيضاوية .

وفي 13 جمادى الثانية عام 1353، بمسرح سلا من باب الخبّاز، ألقى محاضرةً أتى فيها بحياة الرحَّالة، رادّاً بعض الانتقادات الواقعة في غير مركزها، موافقا على ما صادف، عارضا أفكاره بالنَّقد لبعض اتجاهات ابن خلدون التي لا تتَّفقُ وروحَ المجتمع . ثم، بكل أسف، إنَّ هذا الأستاذَ الفاسيَّ، تعذَّر عليه الحضورُ بنفسه، مما دفع المكلَّفينَ للنِّيابة عنه اغتناماً للفرصة، فوقع اختيارُ شباب النّادي الأدبي السلاويّ[3] على أحد نبغائه : السيِّد عمر عوّاد[4] .

---

(1) : فكان في الأصل.

(2) : أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد. باحث ومؤلف مكثر. (ولد سنة 1908 م، وتوفي يوم الإثنين 21 دجنبر 1991 م)- معجم المطبوعات المغربية، ص 271 رقم 623. - التأليف ونهضته، 206/1. - الكشاف البيبليوغرافي لمدينة فاس، ص 103.

- MUHAMMAD ALFASI . par: Brahim boutaleb. Hesperis TAMUDA. Vol XXX - Fascicule1 .1992 P : 5..

(3) : أنشئ هذا النادي الأدبي سنة 1927 م. أنظرما يتعلق بإنشائه وأعضائه ونشاطاته :. ذكريات ومذكرات، لأحمد معنينو. الجزء الأول (1920 - 1931 م)، مطبعة سبارطيل، طنجة 1991 م. 109/1 وما بعدها.

(4) : كان كاتبا عاما للنادي الأدبى السلاوي ، ثم قاضيا في المحكمة العليا ثم موظفا ساميا في العدلية... لا يزال على قيد الحياة.

فقام بالنيابة كما يجبُ. وطَرقَ المُحاضِرُ في آخر كلماته مسألةً يَلزَمُ كل حرٍّ مُنصفٍ أن يتقبّلها بقَبولٍ حسَنٍ، ويُعيرَ سمعَه إليها بضمير رحْب وهي: إننا معشر المسلمين نُرسلُ ألسنتنا مُطلقةً بالقدْح والثّلْب[1] لبعض الرّجال من المستشرقين وهم يُقرّونَ بالفضل للإسلام، ويعتبرون رجالَه، بل يُشيدون بذكْر أبطاله وفنِّيِّيه علماً وشجاعةً، ويَنشُرون ما عثروا عليه من المخطوطات حتى كم من أيادي علينا في هذا الميدان، والحقُّ فوق كل شيء، والإنصافُ من شيَم الأشراف. والجادّة كما ينشده العاقل، أنّ ما يُذمّ نذمّه، وما يُكرّم نكرّمُه ونحبّذه، وغير هذا لا نقبله، وليس من العدل والإنصاف في شيء. وهي كلمة من المُحاضِر ذهبية تُشكر له. وأثناء هاته المذاكرة، أخبرني الفقيه عن بعض الرحّالين من المغرب كفاس والرباط وغيرهما، ذهبوا من المغرب إلى مصر، والحجاز، والعراق، والشّام وحتى إلى الهند. وكأنّ السيّدَ يقول: فليس ا بن بطوطة بغريب في رحلته، فكمْ له من نظير.[23] وكثيرا ما يرتكب الفقيه هذا إطلاقا لحرية التفكير. وهذا ما يُرشدُك لنُبله والارتفاع بنفْسه عن سفاسف التّقليد الأعمى، نعم، أجبته أنهم رحلوا ولا كابْنِ بطوطةَ «ماءٌ ولا كَصَدَّى»[2]، بل لا نسبة، بل لا شيء البتّة. فأين همْ من رجُلٍ قلّبه الدهر تقلُّبَ الحرْباء، فطوراً قاضيا، وطورا مُفتياً، وآونة رئيساً، وتارة مُدرِّسا. وهو يتقلّب في المعارف والفنون كيف شاءت له الإرادة حتى أتانا بالعجَب العُجاب، مما أدهَشَ علماء الشّرق والغرب في كثير من الأخبار والحَوادث كُنّا نحْسَبُها رابعَ المستحيلات[3] ، ونميل بالرجل لما لا يليق حتى فاجأنا العلمُ الحديثُ، وصدّق ما كنّا نرتابُ فيه ونُكذّبه، ونكشف عن الحجاب. [كامل]

---

(1) : ثَلَبَهُ : لامه وعابه وصرح فيه بالعيب. اللسان ، (ثلب).

(2) : ماء لا كصدى أو كصداء (بالمد). والصداء: ركية(البئر التي تحفر)، لم يكن ماء أعذب من مائها. وينسب المثل لقذُورَ بنت قيس بن خالد الشيباني زوجة لقيط بن زرارة. فتزوجها رجل فقال لها يوما: أنا أجمل أم لقيط ؟ فقال : (المثل). ويضرب للشيء الذي فيه فضل، وغيره أفضل منه. ـ مجمع الأمثال، ج 2 مثل رقم 3842.. الكامل للمبرد ،9/1. ـ لسان العرب، (صداً).

(3) : أما المستحيلات الثلاثة فهي كما في هذا البيت الشعري، (بسيط).

الجودُ والغول والعنقاء ثالثة ... أسماءُ أشياءٍ لم توجد ولم تكن

ـ حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين الدميري. دار القاموس الحديث، بيروت (جزآن) د. ت 143/2 (غير منسوب) وفي ص 17 منه : الغول والخل والعنقاء ثالثة (البيت).

وورد في بدائع الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي. المكتبة الثقافية ـ بيروت. د. ت، ص 65 :

إني اخْتَبَرْتُ بني الزمان فما بهم ... خِلٌّ وفيٌّ للنوائب أصطفي

فعلمت أن المستحيلَ ثلاثة ... الغول والعنقاء والخل الوفي

حلف الزّمانُ لياتينَّ بمثْلهِ إنَّ الزّمانَ بشبْهِه لبَخيـلُ [1]

عَقبَ هذا، أخبرَنا النّاظرُ أنه رأى في الأهرام[2] مقالاً لبعض الأطباء ذكر فيه اكتشافه دواءً نافعا لداء السرطان الذي أعْيَى مَهرَة أطبَّاء أوربّا وبالأخص الأنجليز. نعم، عثروا على ما يخفّف وطأته فإنه الدّاء الفاتك الذي قلّما يسْلَمُ صاحبُه وهو: لديغُ الأفعى للدّاء والورَم. قال الفقيه الناظر: هنا وقعْتُ في إشكال: تلدغُه الحيّةُ ويعيش، قال: ويبدو لي أنّ الحيّةَ لا تُرسَلُ على الداء إلا بعد نزع ما بأنيابها من السم، حيث يبقى نزر يسير لا يتجاوز الداء. قال: وذكر صاحب المقال أن بعض المبْتلين بالدّاء المذكور، وكان برأسه بعد أنْ مرّ تحتَ العملية، عَميَ بصرُه. (وهذا يُبعد ما فهِمهُ الفقيه، إذ السّمُّ لا يزال كما هو بقوّته). نعمْ أبديتُ فكري قائلا: إنَّ ذلك الورمَ يبلغ من الكبَر والعظَم ما يُفزعُ رائيه عافانا الله جميعا، وكل هذا دليل على كثرة الدّم والصّديد وغيرهما من (الميكروبات). وعليه، لا يبعُد أن سُمَّ تلك الحية، يتّفقُ وقوّةَ الميكروبات. فيتاصدمان حتى تُنْهَك قوّةُ السمِّ ومادّة مفْعوله. والعجبُ، أن الطّبيبَ أرسل المقال إرسالا من غير تعرض لكيفية الاستعمال. والغالب أن الصّحافة ستذهب في ذلك كلَّ مذهب (وعند الصَّباحِ يَحْمدُ القَوْمُ السُّرَى)(م) ثم انقطع سمرُنا، فنمْنا. وإلى مثلِ السّاعةِ السّابقَة صباحاً، صعدَ إلينا الفقيهُ وما زالت لذّةُ اللّيلة تُعاودُنا. فمضيْنا في الحديث: وكان تاريخيّاً عن بعض الدّول الإسلامية المغربية كلمتونة والموحدين. بمعنى أن تلك الدول مع ما كان لها من قوة وعظَمَة، وما خلّدَتْهُ من الآثار المشهودة وما خلّفَتْه من الرّجال؛ لم تكن تتسع أنظارُها أحيانا إلا للمصالح الشّخصية بدافع المؤثّرات التي كانت تُحيط بها الدولة، عاملةً على تحطيمها بشتى الوسائل. فأ ول شيء تهتم به: الاستيلاء على الملك وآرائه، بحيثُ يصبحُ آلةً تُدار بأدنى مُحرِّكٍ،[24] وبعبارة يغْدو الملكُ منفعلاً للإحساس بالرّمز والإشارة رغبة في تنفيذ لُباناتهم[3] الشخصية، والفوز بأوْطارهم[4] المادّية، لا عليهم أسعدَت الأمّةُ أمْ شقيَتْ، لحدّ إذا شعر البعض معه بميل

(1) : البيت لأبي تمام وفيه (هيهات). ـ الديوان بشرح الخطيب التبريزي. تحقيق محمد عبد عزام. دار المعارف. 1965م، 102/4. ـ الذخيرة لابن بسام، المجلد الثامن، ص 562. ـ توشيح الديباج وحلية الابتهاج، لبدر الدين القرافي (ت 946 هـ ـ 1533 م). حققه أحمد الشتيوي. دار الغرب الإسلامي. ص 217.

(2) : جريدة الأهرام المصرية.

(م) : مثل عربي.

(3) : اللُّبانةُ : الحاجة من غير فاقة، ولكن من همة. اللسان (لبن).

(4) : الوطَرُ : الأرب. وكل حاجة كان لصاحبها فيها همة، فهي وطره. اللسان، (وطر).

الملك عن ميوله، يترامى كادحاً في عرقلة المصالح العامّة والوقوف حَجر عثْرةٍ في سير الأعمال، الأمر الذي ينشأ عنه خرابُ الملك وإبادتُه. وأنت خبيرٌ بقضية الوزير الخائن أبي سعيد بن جامع[1] الذي كان يَحْبِسُ رسائل الاستنجاد الواردة عن الناصر بن يعقوب المنصور الموحدي[2] من طرف المسلمين خيانةً منه وغدراً، حتى تولّدَ من جرّاءِ ذلك شُبوب نار الحرب الفظيعة الماحقَة (العقاب)[3] التّي كانت سنة 609 مما كادتْ له جيوش المسلمين أن تُسْتَأْصَلَ لولا حمايةُ اللّه لتلك البقاع ورجالِها الأبطالِ على يد الدولة المرينية. هذا بالمغرب، كما ترى، وأنت خبيرٌ بقضية هرْثمة بن أعْيُن[4] القائد المُحَنّكُ الذي سكّن بدهائه الفتَنَ العلوية أيام المأمون[5] بعد خلْع أخيه محمد الأمين[6] مما كانت جائزته أن أُمِرَ به فوُجِئَ[7] عنقُه، وديسَ بطنُه. وتقدّم الفضل بن سهل[8] إلى الأعوان بالتّغليظ والتّشديد، فمكث في السجن أياما، ثم دسّوا إليه من قتله وأشاعوا موته.

---

(1) : عثمان بن عبد الله بن ابراهيم بن جامع: من كبار وزراء المستنصر الموحدي. مات 620 هـ/ 1223 م. ـ نفح الطيب، 155/2. ـ الإعلام للمراكشي، 7/9.

(2) : أ بو عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور: الخليفة الموحدي. بويع سنة 595 هـ/1198 م، وتوفي سنة 610 هـ/ 1213 م. ـ الأنيس المطرب، ص 231. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 167/4 ترجمة رقم 535. ـ الاستقصا، 214/2 وما بعدها.

وقد جاء في كتاب: HISTOIRE du Maroc ، من تأليف مجموع، طبعة باريس 1990 م. أن فترة حكمه تمتد ما بين 595 و 613. أي أنه أضاف ثلاث سنوات على تاريخ الوفاة وهذا بخلاف ما أجمعت عليه المصادر العربية.

(3) : وقعة العقاب. أنظر: ـ الاستقصا، 220/2 وما بعدها. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 272/10.

(4) : هرثمة بن أعين، من القادة الشجعان. عزل سنة 180 هـ وتوفي سنة 200 هـ/816 م. ـ البيان المغرب، 89/1. ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين يوسف بن تغرى بردي الأتابكي. مطبعة دار الكتب القاهرة. ط 1347/1 هـ ـ 1929 م -> 1375 هـ ـ 1956 م. 88/2.

(5) : عبد الله المامون بن هارون الرشيد. سابع خلفاء بني العباس (170 هـ/ 786 م ـ 218 هـ/833 م). ـ الكامل في التاريخ، 428/6. ـ فوات الوفيات، 235/2. ـ تاريخ بغداد، 183/10.

(6) : .بويع له سنة 193 هـ/808 م، ومات مقتولا سنة 198 هـ/813 م. ـ تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. دار القاموس الحديث، بيروت. 124/10. ـ النزهة السَّنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية. تأليف: الحسن بن حسين بن أحمد المعروف بابن الطولوني (836 هـ ـ 923 هـ) تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي عالم الكتب، بيروت. ط 1408/1 هـ ـ 1988 م. ص 83.

(7) : وُجِئَ: ضرب. اللسان (وجأ).

(8) : وزير المأمون. يلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة) (154 هـ ـ 771 م/202 هـ ـ 818 م). ـ الكامل لابن الأثير، 85/5. ـ تاريخ بغداد، 339/12. ـ العقد الفريد، 110/1 ـ 111- 303/4 ـ 252/6.

هكذا ذهب هذا القائد العظيم من غير جناية، ضحيَّة خُبْث البطانة. ثم وقعت فِتَنٌ هاج الجند من أجلها بسبب قتل هرثمة، وقتلوا، ونهبوا، وفسقوا. كل ذلك والمامون في مَرْوَ[1] لا يصلُ إليه شيء من أخبار حاضرة الخلافة. وقد حجَبَهُ الفضْل بن سهل فلا يوصِلُ إليه إلاّ ما يشتهي. فكانت القضية الشّرقية ذات علاقة بخيانة أبي سعيد بن جامع .[مجزوء الرجز].

خليفةٌ في قفَصٍ	بين وَصِيفٍ وبُغَا

يَقولُ ما [قالا] له	كـما تقول البَبَّغا[2]

فقبَّح اللهُ الأغراضَ. ومن هذه المنافذ القاتلة، يتسرَّب الخَوَر للعدل، ويَسري الخرابُ للدّولة برغم أنفها. وبطبيعة الحال، يقْوى هذا الداء وَيعْظُم إلى درجة ما يُرى واقعا. ف ﴿ لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ﴾ [3]. وهذا ما يَتْرُكُ تاريخنا المغربي يخجل أمام غيره (وإن كنّا سَواء في البضاعَة).

وإثْرَ هذا اشتغلنا بكُتّاب التاريخ بمغربنا في العصر الحاضر، فذكرتُ للفقيه بعض المؤرِّخين: كالفقيه محمد بن علي دنية[4] (بيت العلم والفضل بالرباط)، فلهُ كتابةٌ قيِّمةٌ في تاريخ الرباط، بلغ في تراجم رجاله إلى 1340 أسْماها: « مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط »[5]: كتابٌ مفيدٌ يُشكر كاتبه على قيامه بهذا الواجب التّاريخي نحو بلاده. وقد اقترح عليَّ المؤلِّفُ أن أتـمِّمَ مجالسَهُ حيث لم يبْقَ له وقت [25] يسمح له بالإتمام، ذلك ما آمُلُ من المولى المعونة عليه[6]. ومن مؤرِّخي الرباط أيضا: الأستاذ المرحوم

---

(1) : من مدن خراسان .. معجم البلدان. ياقوت الحموي. دار صادر/ دار بيروت. 1399 هـ/ 1979 م، 112/5.

(2) : ورد البيتان في كثير من المصادر بدون نسبة مع بعض الاختلاف في الرواية: يقول ما قالا له. ـ تاريخ الخلفاء، ص 358. ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) دار الكتب العلمية ـ بيروت ط 1413/1 هـ ـ 1992 م. عبد الرحمان بن محمد الإشبيلي التونسي البلدة، المتوفى بالقاهرة عام 808 هـ ـ 1406 م. 52/1. ـ مروج الذهب، 60/4 ـ 61.

(3) : سورة الروم، آية رقم 4.

(4) : من أجلة علماء الرباط. توفي سنة 1358 هـ/ 1939 م. ـ من أعلام الفكر، 182/2.. التأليف ونهضته، 195/1.

(5) : طبع الكتاب بمطابع الإتقان، الرباط. 1406 هـ/ 1986 م.

(6) : إذا كان الأمر يتعلق هنا بالواجب التاريخي نحو الوطن، فكل مؤلفات عبد الله الجراري تدخل في هذا المجال. أما إذا تعلق الأمر بما يحيط بعنوان كتاب: مجالس الانبساط، فيمكن أن ندخل هنا ما كتبه الجراري، ككتاب: « من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين » وكتاب « ورقات في أولياء الرباط ومساجده وزواياه » وسلسلة شخصيات مغربية(وعددها ستة)...

الشّاعر أبو جندار[1]، فلَهُ على الرّباط كتابةٌ بعد مقدّمة طُبعت أسْماها :[«] مقدّمة الفتح[»][2]، زُيِّنتْ بترجمةِ المؤلِّف، بقلم الفحْل الجزولي[3]. وله على شالّة تأليفٌ مطبوع سمَّاه : « شالّة وآثارها »[4]. وله غير ما ذُكرَ من الآثارِ، ومن يُنكرِ آثارَه الخالدَة ؟ وقد رأيتُ شيئاً من مرْثيةٍ[5] زميله الجزولي تُسفِر عن ذلك.

ومن مؤرّخي جارتنا سَلاَ الشّقيقة، الفقيهُ أبو عبد الله محمد بن علي الدّكالي السّلاوي[6] لهُ : الإتحافُ الوجيزُ، وله : إتْحافُ أشْرف الملاَ[7]؛ نظمٌ طويلٌ في الرّباط وسَلاَ ، وله كتاباتٌ مفيدةٌ نظماً ونثراً[8]، لعلَّ الدّهرَ يُنجزُ إبرازَها فنستَفيد.

ومن مؤرّخي مكناسة الزيتون، نقيبُ الأشرافِ العلويّين السيّد عبد الرَّحمانِ بن زَيْدان،[9] وناهيك بكتابهِ : « إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس »[10].

---

(1) : محمد بن مصطفى بوجندار شاعر ومؤرخ (1307 هـ / 1889 م ـ 1345 هـ ـ 1926 م). ـ من أعلام الفكر، 207/2. ـ ذكريات من ربيع الحياة. من ص 64 إلى آخر الكتاب. ـ التأليف ونهضته، 236/1. ـ محمد بوجندار الشاعر الكاتب، ص 21 -> 43.

(2) : مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح. طبع بمطبعة الجريدة الرسمية الرباط، 1325 هـ/1926 م.

(3) : سبقت ترجمته.

(4) : مطبعة الجريدة الرسمية، الرباط 1922 م.

(5) : مطلعها : حبيبي أبا جندار شط بك المثوى   وأصبح صفو القول في إثركم لغوا

مقدمة : ـ مقدمة الفتح. ـ ذكريات من ربيع الحياة ، ص 89.

(6) : من عدول سلا ومؤرخيها (1285 هـ / 1868 م ـ 1364 هـ / 1945 م). ـ الإتحاف الوجيز « تاريخ العدوتين » تأليف : محمد بن علي الدكالي. تحقيق : مصطفى بوشعراء. منشورات الخزانة الصبيحية سلا، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1406/1 هـ / 1986 م، مقدمة المحقق. ـ العلامة المؤرخ، الفقيه السيد محمد علي الدكالي : محمد بن عبد الله الغربي. جريدة السعادة، ع 6470 سنة 1364 هـ / 1945 م.

(7) : أرجوزة في التعريف بالعدوتين : الرباط وسلا. تقع في ثلاثة آلاف بيت، وتوجد منها نسخ مخطوطة متعددة.

(8) : أُنظر هذه المؤلفات المطبوعة والمخطوطة، الموجودة والمفقودة في مقدمة تحقيق «الإتحاف» صفحات : 6-7-8.

(9) : من علماء مكناس ومؤرخيها (1290 هـ / 1873 م ـ 1365 هـ / 1946 م). ـ الأدب العربي في المغرب الأقصى. 81/1. ـ التأليف ونهضته، 244/2. ـ الوافي بالأدب العربي، 937/3.

(10) : آخر طبعاته كانت تحت عنوان « إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس » (5 أجزاء) قدم له: عبد الهادي التازي، مطابع إيديال، الدار البيضاء. ط 1410/2 هـ/ 1990 م.

ومن مؤرِّخي الحمراء المحبوبة، المطّلعُ : القاضي العباس بن ابراهيم المراكشي.[1] فلهُ مؤلَفٌ في تاريخ المغرب، جليل الفائدة. يقع في ثمانية[2] مجلّدات[م] يجدُر بالمغاربة أن يسعوا جهدهم في الحصول عليه، والسَّعيِ في طبْع ما بقي من أجزائه لغزارة مادته، وجَمٍّ فوائده.

ومن مُؤرِّخي الحضْرة المراكشية أيضا؛ الأستاذ المختار[3] وأحْرِ به أن يكونَ في المقدّمة. والسيد محمد بن الموقّت[4]، صاحب الرّحلة المراكشية[5]... والسّعادة الأبدية[6].

ومن مؤرخي آسفي؛ الغيور محمد الكانوني[7]، له فيها كتاب أسماه: «آسفي وما إليه قديما وحديثا»[8]. فقد ضمَّنه جهات الجنوب كمرّاكش[9]، والجديدة[10]، والصّويرة[11]، وهو اليوم تحت الطبع.

أما الجديدة، فقد حدثني المؤرخ المذكور: أنه يعلم شيئا فيها للعلاّمة[12] الرّافِعي[م].

ومن مؤرّخي الدار البيضاء في العصر الحاضر، السيد الهاشمي المعروفي، وسواهم [ممن][13] هُيِّئوا لأداء أمانة التأريخ والعناية بتسجيل حوادثه. وقد أخبرني الفقيهُ النّاظر، الحاج أحمد

---

(1) : قاضي ومؤرخ (1294 هـ/ 1378 هـ / 1959 م).

(2) : طبع في 10 مجلدات بالمطبعة الملكية ما بين 1974 م و 1983 م، بتحقيق عبد الوهاب بنمنصور.

(م) : طبع منها خمسة مجلدات.

(3) : أي المختار السوسي، (سبقت ترجمته).

(4) : كاتب، له مؤلفات في التاريخ والأدب والنقد. توفي سنة 1369 هـ ـ 1949 م بمراكش.
ـ التأليف ونهضته، 215/1.

(5) : طبع بمطبعة الحلبي 1351 هـ (3 أجزاء في مجلد).

(6) : «السعادة الأبدية في التعريف برجال الحضرة المراكشية» طبع على الحجر بفاس.

(7) : من المعنيين بالتاريخ والتراجم. ولد سنة 1311 هـ ـ 1893 م، وتوفي بالدار البيضاء سنة 1357 هـ ـ 1938 م .. التأليف ونهضته، 91/1. ـ ذكريات السوسي، ص 37. ـ جواهر الكمال (خاتمة مؤلفاته)، 149/1 وما بعدها.

(8) : مطبوع في 180 صفحة دون ذكر للمطبعة ولا تاريخ الطبع.

(9) : من صفحة 59 إلى صفحة 65.

(10) : من صفحة 46 إلى صفحة 50.

(11) : من صفحة 54 إلى صفحة 56.

(12) : محمد (فتحا) بن أحمد الرافعي الدكالي، ت 1360 هـ/ 1941 م. ـ إسعاف الإخوان، ص 98 هامش رقم 1.

(م) : لكن لم نعثر على شيء من ذلك.

(13) : في الأصل: مما.

بن الحاج الرباطي[1] أنّ له كِتابةً في تاريخ الصويرة أسماها: «الشُموسُ المنيرةُ في أخبار الصّويرة»[2]، يتضمَّنُ بناءها ووصْفَها، وحوادِثها وغير ذلك. كان اقترحه عليه بعض وُلاتها وقتما كان مُوظَّفاً بها.

نعم، طلبتُ بكل إلحاح منه الاطّلاع عليه، ومن سوء الحظّ لم يوجد تحت يده، بل دفعها للنّسخ، وعزمُه قويٌّ في طبعها نشراً للفائدة.

قال، وقد تعرّضتُ للوليِّ السيّد (مَكْدولْ)[3] الرجراجي دفين الصويرة، وهو رجل نَسبَهُ بعضُ سائحي الأنجليز[4] إلى أمّته في رحلةٍ له. نعمْ، بيَّنتُ ثمَّةَ وجْهَ الخطأ والبُعْد بأدلّةٍ صارمة، أوضحْتُ المَيْنَ المدسوسَ أثناءها. وإن تعجبْ فعجبٌ أنّ بعض الشيوخ من أهل العلم، يَنسُب الرّجلَ إلى جنس البرتغال في بعض دروسه. قال السيد الرجراجي: [26] وقد لمحت لهذا أيضا بالردّ. فقد ذكر لي المؤرخ الكانوني أن الصّالح (مكدول) ترجمه السيد ابراهيم الدّكّالي[5]، ثم الفاسي في كتابه: «سلسلة الذهب المنقود، في ذكر أعلامٍ من الأسلاف والجُدود»[6]، قال: إن سيدي (مكدول)، هو إبن عبد الجليل الرجراجي، من

---

(1): من أدباء الرباط. كان ناظرا بمدينة الصويرة ثم بمراكش وبالرباط، وبوجدة. توفي سنة 1374 هـ الموافق 1955 م.- التأليف ونهضته، 28/1. - من أعلام الفكر، 9/2.

(2): طبع بالمطبعة الوطنية بالرباط سنة 1354 هـ/1935 م تحت عنوان: «الشموس المنيرة في تاريخ الصويرة».

(3): في كتاب: الشموس المنيرة ص 35 ما يأتي: «... وأما سيدي مكدول بالكاف المعقودة، دفين الصويرة، فمن أحفاد سيدي واسمين.. وكان من الجلة الأخيار على أثرسلفه الصالح في العلم والفضل. ولم نقف على زمن وفاته...». وضريحه بمدخل الصويرة من الجهة الجنوبية الغربية عند مصب وادي القصب. ويروي محمد بن سعيد الصديقي في حديثه عن تسمية الصويرة بـ «مكدور» من أن ذلك «تحريف من تسميتها باسم صالحها مكدول الذي تحول بتوالي السنين والأعوام إلى مكدور». - إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة، لمحمد بن سعيد الصدّيقي. مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء د. ت. ص 19.

(4): أنظرالرد على هذا الزعم ؛ أي نسبة سيدي مكدول إلى أحد سائحي الإنجليز وقصة هذا السائح الذي يسمى مكدونال في: - الشموس المنيرة، ص 55 هامش رقم 1.

(5): أبو العباس، أحمد بن محمد بن ابراهيم الخياط الدكالي ثم الفاسي، توفي بعد 1160 هـ - 1747 م. - دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة. دار الكتاب العربي - البيضاء. ج 1، ط 1960:2 م. - ج 2، ط 2: 1965 م. 117/1. - المصادر العربية لتاريخ المغرب، لمحمد المنوني. منشورات كلية الآداب بالرباط. 46/2 رقم 758.

(6): م خ ع 4240 د (ضمن مجموع). أنظر الصفحات التي يتحدث فيها عن رجراجة (نسخة غير مرقمة).

حفدة سيدي واسْمين[1] ، أحد الرجال السَّبعة[2] برجراجة، كان من أهل العلم والفضل والصلاح. ولكن يا للأسف، كيف يصلُ بنا الجهلُ بالتاريخ لحدٍّ نَعمَدُ فيه [لسَارِيَة] [3] من رجالنا، وفاضلٍ من أُمّتنا، ونُخرجه من الملّةِ بالمرّة. والضّارُّ المؤلمُ هو سريان الداء بسبب التقليد الأعمى والجمود، وليس بعد العيان بيان.

فشكراً للسيّد الرجراجي على قيامه بهذا الواجب نحو تلك الجزيرة. ثم حدّثني أن كاتب الباشا هناك، له كتابة على البلدة نفسها دَفعهُ إليها أنْ سمع بجرَّةِ قلمي نحوَها. عند ذاك، تضاعفت بشارتي وبادرْتُه : أريدُ توحيد الخطّة في هذا المجهود وإضافةِ ما فات هنا لذاك والعكس. ومن نتيجة ذلك، تَبرزُ دُرَّة [نفيسَة][4]، وذخيرة منقَّحةٌ. قال الفقيه: لقد حاولت هذا وما حظيتُ من ورائه بسوى الحرمانَ. وفي عزمي أن أستعينَ عليه بالمادّة إن يسّر الله.

وهكذا يجب على كل من فيهم أهلية للبحث في الفنون التاريخية، أن يكتبوا عن تاريخ بلادهم حسب المستطاع كي يتسنّى جمع فذْلكة[5] واسعة عن المغرب الذي لا يزال شرفُه وفضلُه في خبر التَّفرقةِ التي يَعْسُر توحيدُها ما دُمنا لم نُعنَ بضمِّها وتلفيقها على

---

(1) : مقدم ورئيس رجال رجراجة السبعة.. السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول، لعبد الله الرجراجي السعيدي. مطبوعات معهد الشعبي الإسلامي بالصويرة، ط 1407/1 هـ - 1987 م. ص 3.

(2) : وهم : 1) سيدي واسمين. (مدفون بجبل الحديد). 2) سيدي أبو بكر الشماس في زاوية أقرمود. 3) صالح بن أبي بكر الشماس. 4) عبد الله الملقب بأدناس.5) سيدي عيسى بوخابية.6) سيدي يعلى بن واطل. 7) سيدي سعيد بن يبقى. أنظر: - سلسلة الذهب المنقود. (في حديثه عن رجال رجراجة) م خ ع، 4240 د. غير مرقم. - الارتجال في مناقب ومشاهد سبعة رجال ومن اشتهر في مراكش أو دخلها من مشاهير صلحاء الرجال. قطعة منه بالخزانة الحسنية رقم 194. لأبي عبد الله محمد الأمين بن عبد الله الحجاجي الجعفري الحسني المعروف بالصحراوي الشنجيطي المراكشي. توفي حوالي 1295 هـ 1878 م. - بادرة الإستعجال في مناقب سبعة رجال. لأبي عبد الله محمد الغالي بن المكي بن سليمان الفاسي، توفي سنة 1317 هـ - 1899 م. م خ ع 4509 د . - إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال. عباس بن ابراهيم المراكشي. خ ع فيلم 866. - حول رجالات رجراجة وعلاقتهم بصوفية مراكش. حسن جلاب (بحث: منشور ضمن أعمال الملتقى الأول لمدينة أسفي المطبوع تحت عنوان: أسفي، دراسات تاريخية وحضارية) شركة بابل للطباعة الرباط. 1989 م ص 157.

(3) : السارية : العمود من الخشب. وقد يكون القصد: لسرية؛ من سرو (بضم الراء وفح الواو) ، سراوة وسروا: شرف. اللسان (سري).

(4) : في الأصل : نفسية.

(5) : الفذلكة : مجمل ما فصل. المعجم الوسيط (فذلك).

وتيرة هذا البرنامج وهو: كل من يكتب في دائرته (والذَّودُ إلى الذَّودِ إبِل)[1]. وهنا انتهى الحديث، وخرجنا قاصدين الأخ العثماني بالمواسين، فالفيناه ينتظر. وبينما استقر المجلس بنا، أتى السيد إبراهيم الإلغي، وقد تخلَّفَ عن ميعادٍ عقدَهُ معنا ليلة اليوم. نعم، قدَّم عُذرَه وهو بلسان حاله يقول: [بسيط].

عُذري وإنْ لم أجدْ في الحُبِّ من عذَرا   حكَى جبينَ ذواتِ الحُسنِ والغُرَرا

فقبِلنا عُذره بكل انشراح مُنشدين قول الأديب(م)[بسيط].

اِقبلْ معاذيرَ من يأتيكَ مُعتذراً   إن بَرَّ عندك فيما قالَ أوفجَرا[2]

فقد أطاعكَ من يأْتيك مُعتذراً   وقد أجَلَّك من يَعصيك مُستَتِرَا(م)[27]

ثم خرجنا، وامتطينا عربةً متوجِّهين إلى « الحارثي »: بستانٌ ناضر عمومي خارج باب دكالة. وأثناء السير كنت أبحث عن جميع ما يَلفت النظر. وعند بلوغ الحارثي، واجهني بناءٌ مرتفع، فسألتُ الإخوان عنه، فقيل لي إنه ملْهًى - أو صُورٌ متحرّكة - (سينما). وعقب ذلك، أبصرنا أبنيةً كثيرةً وأقواساً من الخشب وغيره. فقلت ما هذا ؟ قالوا: إنَّ ما تراه هو مركز لمعرض سنوي فلاحي أو تجاري كما أخبرني غيرهم. وما زلنا على هذا الحال، حتى بلغْنا مقعداً أنيقاً مُبوَّبَ الجهات الأربع، تَهُبُّ فيه نسماتٌ رقيقة (والجوُّ حارٌّ ضرورة أنه أوائل الخريف) كان أسَّسَهُ الباشا التّهامي المزْواري[3] بقصد ترويح النفس. وكان مع الإخوان مجلّة الرّسالة: الصحيفة المصرية. ففتحها الأستاذ العثماني، ولم يقع بصرُه إلا على مقالٍ افتتاحي في السّيرة النبوية، ترجمته: « كان صلّى الله عليه وسلم مُتواصلَ الأحْزانِ »[4].

---

(1): الذَّودُ: القليل من الإبل. يضرب في اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدي الكثير.- مجمع الأمثال، مثل رقم 1456.

(م) : يقال إنه ابن وهب.

(2) : البيتان للشافعي : - شعر الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (ت 204 هـ). تحقيق مجاهد مصطفى بهجت، دار الكتب للطباعة والنشر الموصل - العراق 1406 هـ - 1986 م. ص 274.

(م) : قال بعض الأكابر: من حفظهما لم يحاسبه الله تعالى. ويظهر من الحفظ الجري على مقتضاه، والتخلق بذلك، كما قيل في حديث أن لله تسعة وتسعين اسما. مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة. فالمراد حفظها، وسؤاله سبحانه بكل مدلولاتها كما ورت بذلك السنة والحديث في الصحيح عن جابر بن عبد الله، وأخرجه أحمد أيضا، وصححه ابن حبان.

(3) : التهامي بن محمد المزواري الكلاوي باشا مراكش،توفي سنة 1375 هـ-1956 م - أعلام الزركلي، 89/2 معلمة المغرب (ترجم له - أحمد شوقي بنبين) ج 2 ص 619. مطابع سلا 1410 هـ 1989 م.

(4) : الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي. تحقيق وتعليق : سعيد بن عباس الجليمي. مؤسسة الكتب الثقافية. ط 1422/1 هـ - 1992 م، ص 184، رقم 226.

فحيناً، ألْقى الصّحيفة من يده وقال: كلاّ، ما كان صلى الله عليه وسلم بهذه المثابة، بل كان دائم البِشْر والتّبَسُّمِ، وذاك ما تقتضيه أخلاقُه الكريمةُ؛ وإلا فالحُزْن بعيد عنه كل البُعد.

نعم، أجبتُ أنا والأخ السيد محمد بن عبد الرّازق: إن ذلك واقع لا محالة، بيد أن هناك أجوبةً تجمع بين المقاميْن، فأبى إلا قليلا. فقد جاء عن عليّ[1] رضي الله عنه، أنه صلى الله عليه وسلم: «كان دائم البِشْرِ»[2]، وجاء عن هند[3] أنه عليه السلام كان متواصلَ الأحْزان[4]. ووجْهُ الجمع بين الخبريْن؛ أنه كان متواصل الأحزان باطناً، ودائم البِشْر ظاهراً تأليفا للناس، إذْ لا منافاةَ بين كثْرةِ الحُزن الّذي هو من كيفياتِ الباطن، وبيْن كثرة التّبسُّم والبِشْرِ اللّذيْن هما من أحْوال الظّاهر؛ بل لا منافاة بين حُزنه الّذي هو أثَرٌ من آثار الخوْف، وبين فَرَحه باللّه وتنعّم قلْبه بذكره. كما لا مُنافاة في الجمْع بين الخوْف والرّجاء. وأبْعد من قال: إنّ المعْنى أنّ تبَسُّمَه أكثرُ من ضحكه، بخلافِ سائرِ النّاس فإنّ ضحكَهم أكثرُ، فلا يُنافي ما قيل من أنّه مُتواصل الأحزان[5] (من جَسُّوس على الشّمائل بنوع [من الـ]تصرّف).

نعمْ، أقفُ هنا مُلاحظاً أثناء هذا الجمْع: أنّه صلى الله عليه وسلم، كان مُتَواصِلَ الأحزانِ باطناً. فمِن أين لهذا الرّاوي الاطّلاع على ذلك: أخَبَرٌ منه عليه السّلام؟ أم آيات تبدو على وجهِه تُشعِر الرّائي بذلك؟ وعليه، فلم يبْق تواصُل الأحزانِ من الباطن؛ بل يصبحُ من الظّاهر، وتنفكُّ جهَة الجمْع. أو جواب آخر، أن مُثَافنيه[6] عليه السّلام وملازميه، يعلمون منه ما لمْ يُدركْه الغيرُ. وتمشي القضيّةُ حسب هذا [بما] لا ما يُعَكِّرُ صفوَها، فلا أطيلُ.

---

(1): علي بن أبي طالب بن عبد المطلب (ابن عم الرسول (ص)). ولد بمكة سنة 23 ق. هـ وتوفي سنة 40 هـ ـ النزهة السنية، ص 44. ـ طبقات ابن سعد، 19/3. ـ مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصبهاني. شرح وتحقيق أحمد صقر دار إحياء الكتب العربية 1368 هـ ـ 1949 م. ص 24.

(2): ونصه: «قال الحسين بن علي: سألت أبي عن سيرة رسول الله (ص) في جلسائه فقال: كان رسول الله (ص) دائم البشر...» ـ الشمائل المحمدية، ص 290-291 حديث رقم 352.

(3): هند بن أبي هالة.

(4): وسياقه: «.. سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافا، قلت: صف لي منطق رسول الله(ص). قال: كان.. الحديث». ـ شمائل الترمذي، ص 184 رقم 226. ـ تهذيب الكمال، 214/1.

(5): أُنظر: ـ الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية، لمحمد بن قاسم جسوس. مطبعة علي صبيح وأولاده 1346 هـ ـ 1347 هـ (جزآن). طبع بهامش كتاب: جمع الوسائل في شرح الشمائل للقاري ملا علي، 21/2.

(6): مُثافِنيه: ثاقنَ الرَّجُلَ: لازمه حتى عرف باطِنَ أمْره. ـ اللسان، (ثفن).

ثم دار حَديثُنا حولَ النّشريات من مجلاّتٍ وجرائدَ وسائرِ الصُّحف، ذاكرينَ افْتقارَ الشّعب المغربيَ إليها. قال الأستاذُ العثماني: ولي أمَلٌ وطيدٌ في إنشاء مجلّةٍ بهذا البلد المرّاكشيَ نُعربُ فيها عما يختلج بضمائرنا وتُكنُّه من ألوانِ القضايا [28] والأحداثِ وكلّ ما ترمي إليه النّفوس من أدبٍ وأخلاقٍ ومُجابهة أصْحاب الدّعاوَى العريضةِ التي ملأتِ الفضاء وقاحةً وجهْلا (والجَهْلُ أَوْلَى بالّذي لمْ يَصْدُقِ)[1].

أجلْ، راج إثر هذا: أنّه من المُمكن أن لا تُساعد على فتح هذا الباب ولا سيما في الظّرف الحاضر الّذي وقفَتْ فيه جبْهةٌ قويّةٌ ضدَّ النّشْرِ والنّشَراتِ، وبالأخصّ هذه الديار التي تُمثّلُ المغرب أجْلَى تمثيلٍ. فأنّى لها أنْ تحظَى بذلك ؟

وحوّلنا الاتجاهَ [إلى][2] ما تجود به القرائحُ أن يوضَعَ في قالبِ (توْليفاتٍ) أدبيّةٍ علميةٍ فُكاهية ذات مغْزى عالي يُمكن إصدارُها أسبوعياً، وتكون جَمّةَ الفائدةِ، أكثرَ من فكرةِ المجلّة التي تغلُبُ عليها - إن تيسّرتْ - كونها شهريةً.

وبعد هذا فكّرنا في الوسيلة إن لمْ نقُل المقْصَدَ ألا وهيَ المطبعَةُ. قال الأستاذ العثماني: يُقدّرُ إحضارُ المطبعَةِ وجلْبها من الطّرز العالي، والمُساعِد على إخراج أنواع المطبوعات كبيرِها وصغيرِها حتّى في أشكال الحُروف، رقيقها وغليظِها: بمائة ألف فرنْكٍ حسب ما أعلمُ. قال: وأنا أتبرّع بعشَرة آلاف فرنك 10،000. كما أظنُّ من الشّيخ أبي شعيبٍ الدكّالي أنه يتبرّع بربُعِ القدْر 25،000 فرنكا. ثم بعد جهْد جهيد يُمكن الحُصول على خمسة آلاف فرنك 5000 من الشّعْب المراكشي لأمرين :

1) فقر الشّعْب.

2) جهله بالهدَف النّاهض بالأمة إلى المستوى اللاّئق.

وليس هناك عاقلٌ يُنكر ما للصّحافة من النّتائج الدينية والأدبية والاقتصادية. ففوائدُها غزيرةٌ. لذلك نشاهد كَثْرتها لدى الأمم المتمدّنة حتى صارت تُعدُّ بعشرات الأُلوف. وتنوّعت إلى أنواعٍ وصُنوف. نعَمْ، نُلْمعُ[3] ببعض تلك الأثْمارِ الّتي تَروقُ. [و] من فوائدها وثمارِها :

1) إطْلاع قارئها على غرائب الحَوادثِ الكَوْنية. وفي ذلك من الاعْتبار واتّساع دائرة الفكْرة ما لا يخْفى.

---

(1) : عجزُ بيت من القصيدة الشمقمقية لابن الونّان. وصدره : وكُنْ له روايةً كالأصمعي (البيت).

(2) : في الأصل وإلى. ويقصد الكاتب من هذه الفكرة اقتراح بديل ممكن، أو إيجاد صيغة أخرى لتحقيق ما يمكن أن يحقق بواسطة الصحف إذا كان أمر إخراجها متعذرا.

(3) : ألْمعتِ الأرضُ : صارت فيها لمعةٌ من النّبت وكثُر فيها الكلأُ. - اللسان، (لمع).

2) والاطّلاع على الوقائع في شتّى المناحي، فيحترس القارئُ من الوقوعِ فيها؛ إذ يزْدادُ تبصّراً في العواقب.

3) والاطّلاع على سياسة الدُّول في ممالكها وشُعوبها في تدبير شؤون رعاياها. فإنْ كان المطّلعُ من رجال السّياسة، يكون قد حَظِيَ بالضّالّةِ التي يَنشُدها، وإن لم يكن من السياسيين، فيستفيد بقياس التمثيل فوائد جمّة.

4) إطلاعه على المسائل التّاريخية التي تستسيغها النفس،وتعمل على توسيع دائرة العقل، وتؤهله أن يحكم على كثير من مستقبل الحوادث قياساً على الماضي.

5) إطلاع القارئ على أحوال التّجارة التي عليها مدارُ معيشة الجمِّ الغفير من النوع الإنساني. فإن كان من أهْلها؛ فقد أصاب مرماه. وإن لم يكن منهم فلا يفوته، إفادة المشتغلين بها، ونصح مواطنيه لما يعود عليهم بالنّجاح.

6) حثّ القادرين على فعل الخير وعمل البرّ. فإن الجرائد تنشُر خبر إحسان فلان للمحتاجين، أو تعمير فلان [29] مأوى المساكين، أو مسجدٍ للمتعبّدين، أو مكتبٍ للطّالبين، فتنبعث نفسُ من يريد اللّهُ به خيرا لمجاراة أولئك، والسّيرِ على منْوالهم. ولولا النّشرُ وما تطلُعُ به الصُّحفُ لا انقضى عُمُرُ كثيرٍ من القادرين على فعل الخير دون أن يخطرَ لهم على بال، ومنها ومنها... أُنظر الجزء الأول من « رياض طرابلس الشّام من إنشاء مُحرِّرها في أوّل عام »[1] ص 5؛ فقد أثبتَ هناك ما يَنيفُ على السّبعة عشر فائدة. وإثر هاته المذاكرة، حضَرَ الإخوان؛ الأستاذ المختار، والسيد عبد الجليل[2]، والسيد أحمد بن فاضل[3]. فتعارفْنا مع الأخيرِ، ثم وجّهتُ اللّومَ إلى السيد عبد الجليل حيثُ زارَ مسقط رأسنا في السّنةِ قبل هذه، وما سلّمَ حَتّى ودّعَ. والغريبُ أنّني ما حضرتُ وداعَه (وهذه أيضاً).

وبعد هذا، شرعوا في مذاكرةٍ لهمْ سابقة وهي: مسألة ما إذا لَوَى النّصرانيُّ عُنقُ الدّجاجة،

---

(1) : مؤلف هذا الكتاب هو: الجسر الطرابلسي: حسين بن محمد بن مصطفى(1261 هـ ـ 1845 م/ 1327 هـ ـ 1909 م). والكتاب عبارة عن مجموعة في عشرة أجزاء جمع فيها المؤلف نخبة ما كتبه من المقالات في جريدة « طرابلس شام »، التي أنشأها بنفسه.(مطبوع). ـ معجم المطبوعات العربية، 698/1. ـ أعلام الزركلي، 258/2.

(2) : عبد الجليل بلقزيز (1318 هـ /1900 م ـ 1387 هـ / 1967 م) ـ معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر. مطابع سلا. ج 4، 1411 هـ 1991 م. 1357/4.

(3) : أحمد بن الفاضل المراكشي، صاحب كتاب قرآني، توفي في العقد الخامس من هذا القرن.

هل يَحِلّ للمسلم أكلُها، ذاكرين كلام ابنِ العربي[1] في الأحكام[2]، مُختلفين في تعبيره. قال الأستاذ المختار: في بالي أنه عبَّر بقَتَلَ، يريد أنه بمعنى قطع وأزال. فقلنا جميعا: هذا ما لا تُعطيه اللُّغةُ، ولا تساعد عليه. إنَّما فتل: تُؤدّ ي معنى خنق ولوى. قال الفقيه عبد الجليل: ، بـ« لوى » عبَّر المعافري.

والمسألةُ عرَّج عليها العلاّمة الرهوني[3] وبسَطها لدى أبواب الذّكاة، مورداً قول الله تعالى: ﴿وطعامُ الّذينَ أوتوا الكتابَ حلٌّ لكمْ وطعامُكم حلٌّ لهمْ﴾[4] مع تفصيلٍ بيْن المتديِّن من النّصارى وغيرِه. راجعْهُ إن شئت، تستخلصْ منه الحُرْمَةَ.

والقضيّةُ نفسُها تعرّض لها الشيخ محمد عبده[5] حاملُ راية النهضة المصرية (في فتوى) ضمَّنها مؤلّفاً أسماه « التّرنسفيلة »[6]، قام ضّدهُ فيها جماعة. وجعلت الصّحافة تَنشُر ذلك

---

(1): محمد بن علي أبو بكر المعافري المعروف بمحيى الدين ابن عربي : من كبار العلماء والمتصوفة. ولد بمرسيه من الأندلس عام 560 هـ 1165 م. وطاف في كثير من البلاد العربية كفاس ومراكش وإشبيلية وتونس والقاهرة، الى أن استقر به المطاف بدمشق التي توفي بها عام 638 هـ - 1240 م - المطرب في مشاهير أولياء المغرب. عبد الله التليدي. مؤسسة التغليف والطباعة والنشر للشمال - طنجة. ط 6، 1987 م. ص 113 - جذوة الاقتباس، 281/1، ترجمة رقم 291 (وفيه أن ابن عربي توفي عام 636 هـ).

(2): نص ذلك كما في الأحكام، 556/2 : «ولقد سئلت عن النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها : هل يؤكل معه، أو تأخذ طعاما منه ؟ .... فقلت: تؤكل، لأنها طعامه وطعام أحباره ورهبانه .. وإن لم تكن هذه ذكاة عندنا » . - أحكام القرآن. تحقيق محمد علي البجاوي. دار الفكر، د. ت.

(3): طرحت المسألة وأجيب عنها بنفس الصيغة الواردة في أحكام ابن العربي سابق الذكر. أنظر كذلك - حاشية الرهوني على شرح الزرقاني على المختصر. المطبعة الأميرية بولاق. ط 1 - 1306 هـ 11/3.

(4): سورة المائدة، آية 5.

(5): محمد عبده من زعماء الإصلاح والتجديد. ولد 126 هـ - 1849 م، وتوفي سنة 1323 هـ - 1905 م - رائد الفكر المصري، الإمام محمد عبده. عثمان أمين. مكتبة النهضة، مصر 1900. - أعلام الزركلي 203/6. - الصراع بين القديم والجديد، 2/ 1259.

(6): ذيل عثمان أمين مؤلفه عن محمد عبده بقائمة محمد عبده المطبوعة والمخطوطة ومقالاته وما كتب عنه ولم يرد ذكر كتاب بهذا الإسم. كما أنني رجعت إلى كتاب :« تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده » لرشيد رضا فلم أقف عليه. وأغلب الظن أنها فتوى متضمنة في مؤلف من مؤلفاته، كما يوحي بذلك رشيد رضا في قوله « وهذا ما اعتمده الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتي مصر في فتواه الترنسفالية ». - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار. لمحمد رشيد رضا. دار الفكر، لبنان ط 2-2045/6.

وتُذيعه (كاللّواء)[1] . وهناك طفقَ الأستاذ رشيد[2] يُعلنُ في مناره[3] بما راج في المسألة، وتحصَّلَ فيها ممّا تكوّن منه ما أسموه « تقرير إمليا » . وقد ساقَ صاحبُ المنار القضيَّة في حياةِ عبدُه والتّفسير[4] أيضا .

نعم، المسألة كما ترى، دارتْ حولها رحَى السيّاسة كما هو معلوم .

نعم، بقيتْ كلمةُ فتل، أحلْناها على المراجعة بعد . وفعلاً روجعت ولم يُشمَّ منها ما حاوَلَهُ الأستاذ والخطْبُ سهلٌ .

وعقبَ هذا، أُحْضِر مشروبُ الشاي وبالحضور من لا يتناولُه[5] . وَوُجِّهتْ جهَتَهُ بنادقُ المَلاَمَة ظاهرُها تنْبيطٌ[6]، وداخلُها انتصارٌ وتحبيذٌ، (وأيّ الرِّجالِ لا يُحَبِّذ) .

فاستطردنا أثناء هذا حكايات هزْلية تركناها وشقّي القلم . أجلْ استمرّ حديثُ المداعبة ذات المغزى، نَلْتذُّ[7] بذكريات (أبي رقراق)، والذّكرياتُ تُفيدُ . وبينما نحن في أحاديثه؛ [30] فإذا هو الأستاذ المختار قد أقبل يُلِحُّ عليّ في تلْحينِ (الخزاما)، تلك القصيدةُ التي لحّنها المُطرب الرّباطي السيد التّهامي بن عمر[8]، حينَ مثّلتْ فرقةٌ من شَباب الرباط « رواية مُضارَعة العواطف »، فاعتذرْتُ إلى الأخ أني لا أحْفظها . فألحَّ عليَّ بما لم أجدْ منه بدّاً، فلحّنْتُ منها بيتين أوثلاثة مطلعها : [مديد] .

خطَرتْ بالمساءِ ريحُ الخُزاما	أقرأتنا تحيّةً وسلاما
عطَّرتْها من الريّاضِ زُهورٌ	باسماتٌ تفتّقت أكماما
وعليْنا الظّلامُ أرخَى سُدولاً	ألِفَ الطّيرُ في دُجاها المناما

فلا تسألْ عن الأستاذِ وتأثّره لتلك النّغمة، وانشراحه للإصْغاء بكُلِّه وكَلكله مع الكفر

---

(1) : اللواء تصدر بالقاهرة تحت إشراف مصطفى كمال وكانت تصدر على شكل دورية يومية وأخرى شهرية استمرت الأولى من سنة 1900 الى 1912 م والثانية من سنة 1900 الى 1904 م .

(2) : محمد رشيد رضا من أعلام الحركة الإصلاحية في العصر الحديث، ومؤسس مجلة المنار، ولد سنة 1282 هـ 1865 م وتوفي سنة 1865 هـ - 1935 م - معجم سركيس، 934/1 . - أعلام الزركلي، 126/6 .

(3) : مجلة شهرية تصدر بالقاهرة (1898 م - 1940 م) . وكان رئيس تحريرها محمد رشيد رضا .

(4) : تفسير القرآن الحكيم. ط 2-177/6 وما بعدها.

(5) : يقصد صديقه ومصاحبه في الرحلة العلامة مصطفى بن المبارك رحمه الله - هذه مذكراتي، عبد الله بن العباس الجراري. م خ ع، وتوجد نسخة منه مرقونة بنفس الخزانة في مجلدين 11/2.

(6) : نبَطَ على فلان : رمى عليه الكلام مورياً غير مصرّح اللسان، (نبط).

(7) : التذّ الشيءَ وبه : وجده لذيذا. اللسان، (لذ).

(8) : كانت حرفته، الخرازة بسوق السباط. وكان له اهتمام بالملحون.

بسواها[1] مغربيّ، أو مصريّ، أو شرقيّ على العموم؛ الأمر الذي دفعني لوعْد الأستاذ بالبحث له عن «أُسْطواناتها»، إذْ كان المطربُ المذكور ذهَب «لألمانيا»[2] وعمَّرَ أُسْطوانات منها: (الخُزاما) التي تُرقِصُ الأ خَ. ثم عُدْنا إلى المقعد، فأدّينا العصر وحوّلنا الجَلسةَ فراراً من شُعاع الشّمس المُواجه، فتناول وقْتَه الأستاذُ المختار صحيفةَ الرسالة وأخذ يتلو علينا بعض مقالاتِ ها. فاستعاد منه الإخوان بعض الكلمات، فأعاد مرتاحا، فأنشدناه قول الأديب: [طويل].

أعِدْ ذكْر نَعمانٍ لنا إنّ ذِكرَه	هُوَ المسكُ ما كرّرتَهُ يَتضَوّعُ[3]

فضَمَّ البعضُ النّونَ الأولى من نُعمان، فصاح به، لا بل بالفَتْحِ علَماً على وادٍ بين مكّة والطّائف ويخرج إلى عَرفات، وهو نَعمان الأراكِ. وقال الأزهري: اِسْمُ جبَلٍ بيْن ما ذُكِرَ. قال الشّاعر: [طويل].

أيا جبلَيْ نَعمانَ بالله خلِّيا	نَسيمَ الصَّبا يخْلُصْ إليّ نسيمُها
فإن الصَّبَا ريحٌ إذا ما تنسَّمتْ	على نفْسِ مَهْمومٍ تجلّتْ همومُها[4]

---

(1): أي الأنغام.

(2): ذهب بدعوة من شركة «بيضافون» الألمانية وملأ هناك أسطوانات متعددة حوالي سنة 1929 م. ـ هذه مذكراتي، 1/12.

(3): نعمان بالفتح ثم السكون: اسم موضع بالحجاز، وبالعراق أيضا يقول عبد الله بن نمير الثقفي.

تضوّع مسكاً بطن نعمان إن مشت	به زينت في نسوة عطرات

ـ معجم البلدان. 293/5 والبيت للشاعر مهيار الديلمي (ت 428 هـ ـ 1037 م) ـ ديوان الديلمي، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1345 هـ ـ 1926 م. 182/2.
وقد تمثل بهذا البيت كثير من الشعراء. ولمحمد بن خروف التونسي ثلاثة أبيات شعرية مطلعها نفس البيت، وقد علق ابن القاضي المكناسي في الجذوة، وكذا الكتاني في السلوة من أن البيت لا يتعرف قائلة. ونسبه أحمد الصبيحي في حسن الإشعار لابن الفارض، كما أنه ورد في شرح ديوان هذا الأخير بدون نسبة. وضمنه الحسن البونعماني إحدى قصائده الطويلة. أنظر، جذوة الاقتباس 321/1. ـ سلوة الأنفاس، 282/3. ـ شرح ديوان ابن الفارض حسن البوريني وعبد الغني النابلسي. المطبعة الأزهرية ط 1319.1 هـ (جزآن في مجلد). 45/2. ـ ديوان الحسن البونعماني. جمع وتحقيق ودراسة: الحسين آفا منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط. سلسلة :رسائل وأطروحات رقم 30 مطبعة النجاح، الدار البيضاء. 1996 م. ص 559 (الديوان) ـ المجالس الأدبية، لعبد الله الجراري. تحقيق عائشة انوارير رسالة جامعية مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط. ص 196. ـ حسن الإشعار، ص 11.

(4): البيتان واردان بدون نسبة في: ـ نهاية الأرب في فنون الأدب شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب النويري. تحقيق حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الأهواني مطابع الهيأة المصرية للكتاب القاهرة 1403 هـ. 1983 م. 102/1 حياة الحيوان، 142/1. ـ شرح ديوان ابن الفارض، 79/1-104-122.

فشكرنا الأستاذ على إفادته. وهنا حكاية هزلية بمناسبة وُرود رجل علينا يدَّعي أنه حجازي (مدني) تركناها لما يمزجها من المجون.

وعقب هذا استعرضنا مسألةً اتفق الناس على طُروقها: مسألة التمثيل والتشبيه، حيث يريد الإنسان تقريب الأمر للغير، فيعمَد إلى المتعارف، ويمثل ما غمض به قصد الإيضاح. فمن ذلك قول خليل الفقهاء: « وللمنيِّ تدفُّقٌ ورائحةُ طَلْعٍ[1] أو عجين »[2]. فتراه مثَّل برائحة الطَّلع لكثرته بمصر. وفورا أوردتُ على الإخوان حكاية عجيبة هي، أن ملِكا قد افتتح محلاً وأراد الكَتْب إلى وزيره وإخباره بالانتصار. فبحث عن كاتبه فلم يجده. لكن معه طبيبه، فلم يجد مناصا من أمره بالكتابة. وفعلا أمره بالكتابة إلى الوزير، فامتثل وأخذ القلم قائلا: أما بعد، فإنا كنا مع العدو في حلقه كدائرة البيمَارسْتَان[3] حتى [31] لو رميت مبْضَعاً[م] لما وقع إلا على قِفَالٍ[م]. فلم يكن إلا كنبضَةٍ[م] أو نبضتين حتى أصاب العدوّ بُحْرَانٌ[4] عظيم، فهلَك الجميع بسعادتك يا معتدل المزاج.

هذا وعندما غربت الشمس خرجنا نؤمّ المدينة. وعن عجل، قدّم لنا الأخ السيد محمد بن عثمان استدعاء على أن نفطر معه غدا الليلة، فافترقنا مؤقَّتا وبقي صحبتنا الأخ المختار وأخوه إبراهيم، فخرَجْنا نتذاكر. وممّا درَج في المذاكرة: أن ألْقى عليَّ الأستاذُ سؤالاً: مَنْ أشهرُ الشّعراء ؟ فَجُلتُ ثم قلتُ: أمّا من جهة الشّباب فالسيّد علال الفاسي[5]، وأما من ناحية الشّيوخ؛ فالسيد الحاج محمد النّاصري[6]، ثم الفحل الجزولي[7]. وقد سلف شيءٌ من

---

(1): الطَّلْعُ: نَوْرٌ (بفتح النون وسكون الواو) النخلة. اللسان. (طلع).

(2): مختصر العلامة خليل. لخليل بن إسحاق. علق عليه: أحمد نصر. المكتبة المالكية. 1401 هـ - 1981 م ص 18. - جواهر الإكليل: شرح مختصر. صالح عبد السميع الآبي الأزهري. دار الفكر - بيروت د. ت (جزآن) 24-23/1.

(3): البيمارستان: المستشفى (فارسي معرب). المعجم الوسيط.

(م): مبْزَغٌ [لعله المبزغ، أي المِشْرَط].

(م): العروق التي تُفصَد.

(م): والنَّبضة: ضربة القلب.

(4): البُحْرانُ: التغيير الذي يحصل فجأة في الأمراض الحُمِّية الحادة ويصحبه عرَقٌ غزير وانخفاض سريع في الحرارة. المعجم الوسيط، (بحر).

(5): من علماء المغرب وشعرائه (1910 م - 1974 م). - التأليف ونهضته 187/1. - الشعر الوطني 255.

(6): سبقت ترجمته.

(7): سبقت ترجمته.

شعرهما . قال. أما أنا فأقول : إنه السيد عبد الرحمان الدكالي[1] ابن الشيخ أبي شعيب[م].

فلقدْ : أطلعني على قصائدَ جيّدةٍ إحداها في استعطاف أبيه حول ما وقعَ بينهما من سوء التّفاهم. وللشّباب سَوْرات[2]. وأخرى في معركة عاهليْ العرب : عبد العزيز بن سَعود[3] ويحيى اليمني. وأخرى ضَلّ عن بالي موضوعُها. فلا تسألْ عن روعة تلك القصائد، وبلاغتها، وانْسجام معانيها. قصائدُ يتجلّى فيها الشّعور بأحلى ما يُتصوَّر من الرِّقّة مما ربّى فيَّ حالاً محبّةَ رُؤيتها. ومن سوء الحظّ لم يكن تحت يد الأستاذ ولا واحدة.

ثم افترقنا مع الأستاذ بالمواسين، وبقي أخوه إبراهيم معنا حتى بلغنا إلى (قاعة ابن ناهض) حيث الفقيهُ الرّجراجيُّ، فطرقْنا بابَه، ففتح لنا مَسْروراً مُبْتَهِجاً، وأطْلعَنا الغُرفةَ، واهتمّ بتقديم العَشاء. نعم، استسمحناه، بيد أنّهُ كلّف علينا شراب البُنّ، فقبلنا ولم نلبثْ أن فتحْنا أبواب الحديث على مصراعيه، فخرجنا في شيء من الأخبار الخارجية كأُمّة التُّرك التي حضّرتْ حاله مصانعَ للورق وآلاتٍ جيّدة لصُنعه، في حين أنّها كانت تَجلُب من الخارج 80 ألف طن من الكاغد في السَّنة. وقد بلغت اليوم من صُنع يدها إلى ثلاثين ألف طن ونيّفٍ . كما أوجَدَتْ مصانعَ للزّجاج بأنواعه، ومصانعَ للنّسْج وغيرها من المصانع والمعامل التي حصلت عليها بجهادها المتتابع، وتقدُّمها لميادين الأمم الراقية، والعمل الجدّيّ المُنتِج، الأمرُ الذي راجتْ له اليد العاطلة بكثرة تُعدُّ بالآلاف. وليست هي إلا الأمّةُ الفتيّةُ التي فتحتْ أخيراً مدارسَ عربيةً راقيةً جلبَتْ لها أساتذةً أكفاء حتى من رجال الحكومة و ضُبّاطها. لا يمرُّ الفرد منهم وقد وقع بصره على أحد الأساتذة إلا وحيّاه التّحيّةَ الخاصّةَ. فأكْرِمْ بالتُّرك وتقدُّمه. قلنا، وليس هذا ببعيد عن الأمة العثمانية ومجدها الخالد : (يا خالدَ التُّرك جَدِّدْ خالدَ العَرَب)[4] ؛ أمّةٌ عريقةٌ في الشَّرف والمجْد، عريقةٌ في القوَة والبطولة، تأنف كرامتها الضّيم[و] حتى النّهضة الأدبية، [32] [لا أبالغ إن قلتُ : إنّ للعثمانيين فيها

---

(1) : عبد الرحمان بن شعيب الدكالي : أديب وشاعر. توفي سنة 1983 م. ـ من شعراء المغرب الأقصى وأدبائه المعاصرين، ص 129.

(م) : فيه ما فيه كما لا يخفى.

(2) : السَّوْرة : الوثْبة. والسّورة من الغضب : شدّتهُ وهيجانه. اللسان، (سور).

(3) : عبد العزيز بن عبد الرحمان (1293 هـ / 1876م ـ 1373 هـ / 1953 م). ـ أعلام الزركلي، 19/4.

(4) : هذا الشطر الشعري لأحمد شوقي. وشطره الأول :

اللهُ أكْبَرُ، كم في الفتح من عجب يا خالدَ التّرك جدّدْ خالدَ العرَبِ

وخالد الترك : مصطفى كمال. أما خالد العرب، فهو : خالد بن الوليد. والبيت مطلع لقصيدة عنوانها : انتصار الأتراك في الحرب والسياسة ـ الشوقيات، 59/1.

اليد البيْضاء. ولا أدلَّ على ذلك من أثرِ محمّد علي[1] [البطل][2] الذي كان أحدَ مُنعشي تلك الأمّة، وكم له من نظير. والأمّةُ التّركية هي التي أدخلتْها الدولة الألمانية في مُؤتمرها الحربيِّ الأخير مع دولة اليابان التي حلّقَتْ في الجوِّ بمصنوعاتها البديعة التي كانت ثورةً اقتصادية على العالم كلِّه. نعم، بُشرى تُزَفُّ لكلِّ مُسلم حيٍّ عمَّا يَبْلُغنا من فَشْوِ الإسلام في تلك الديّار بفضل ما يبذُله الجاويُّون، والهنود، والأفغانيون من التّبشير في حين وَجْدُ الأُمَّة قريبةُ الأَخذ بالحقيقة. نعم فقد أخبرت إحدى الصحف أخيرا أن وزارة الخاجية اليابانية أوفدت السيد (باغانو) لتعليم العربية في مصر. الذي نجم عنه أن وقع الاختيار على حضرته أستاذا لتعليم اليابانية في الكلية الأزهرية، وتقرَّر أن تكون مدّة التعليم هي نفس المدة المقررة للتخصص في الوعظ والإرشاد في كلية أصول الدين: ثلاث سنوات. ولهذا قررت إدارة المعاهد الدينية في مصر تعليم اللغة اليابانية لبعض طلاب كلية أصول الدين لتُوفدَهم إلى اليابان.

أثناء هذا، خضنا شيئا من السياسة. قال السيد على لسان بعض عظماء مصر:[«] أنا أحب أن أكون سياسيا لأني لا أحب أن أكون جلاّدا [»][3] ثم أنشدني :[بسيط]

ليس السّياسةُ إلا كذبا مختلقْ   ولا التـمـدّنُ إلا قـلّـةَ الـدِّيـنِ

قال: ولقد أشار إلى هذا المعنى الأديب الكبير الشيخ مصطفى المنفلوطي[4] في نظرياته لدى بحثه في السياسة فأثبت في الموضوع، الكلمات التالية: لا يستطيع الرجل أن يكون سياسيا إلا إذا عرف أن بين جنْبيه قلبا [متحجِّرا][5]، لا يُقلقه بؤس البائسين ولا تزعجه نكبات المنكوبين[»][6] إلى آخر ما جلَبه في الكتاب.

والكاتبُ يعلمُ أيضا كلمة في هذا الصّدد لعالم مصرَ وأستاذِها المرحوم، الشيخ محمد عبْده. قال رحمة الله عليه: نعوذ بالله من السياسة، وساس ويسوس [7] إلخ. وأيًا ما كان،

---

(1): محمد علي « باشا » ابن ابراهيم أغا بن علي المعروف بمحمد علي الكبير. مؤسس آخر دولة ملكية بمصر. ولد في « قولة » التي كانت تابعة للعثمانيين. (1184 هـ ـ 1770 م/ 1265 هـ ـ 1849 م). ـ أعلام الزركلي، 298/6.

(2): تم التصرف في الأصل لعدم وضوحه.

(3): النظرات. المكتبة الثقافية، بيروت، 71/2.

(4) من أشهر الكتاب في العصر الحديث (1289 هـ ـ 1872م ـ 1443 هـ ـ1924 م). معجم المطبوعات العربية، 1705/2 ـ الأعلام للزركلي، 239/7 .

(5): في المخطوط : تحجر .

(6): النظرات 72/2 . وفيها : أيستطيع بدل لا يستطيع، متحجرا بدل تحجر .

(7): ومن أقواله كذلك :« أن السياسة ما دخلت شيئا إلا أفسدته » . أنظر : ـ « الإسلام والنصرانية، مع العلم والمدنية » محمد عبده . مطبعة المنار . ط 5 - 1938 م ص 107 - 108 .

فللسِّياسة مقاماتٌ تنحصر في دائرتها، إن وُضعتْ في غير مرْكزها آبتْ بوَخامة [1] العُقبى على الأمّة، إذ يتولّد في أسرع لـمْح البصَر؛ أن تُسدّ في وجوههم ينابيعُ الحياة دونَ أن يُحسُّوا بالحِرْمَان. فما الرّجلُ الحرُّ إلا من يُسَيِّر أعمالَه بحكمة تقفُ دون الاطّلاع عليْها فطَاحلُ الفكر. وأحْبِبْ إلينا أن لَوْ يَسُودَ مجموعَ الأعمال الصمتُ الذي يضمن للأمة النَّجاحَ.

وهنا أُوقِفَ الحديث رغبةً في الرّ احة كي نستطيع مواصلة السير. ثم نِمْنا. وفي مثْل السّاعة المعتادة، استيقظنا. وبعد أداء ما وجب، حضَر النّاظر[33] وخُضنا مَعَامِعَ الحديثِ غير ما سلف كالبر والإحسان والتبرع. قال (حكاية)، كنت مع بعض التجار الفاسيين بدكانه هنا. وبالقرب منا مسجد متهدم. فلوّحت للتاجر أن المسجد محتاج إلى الإصلاح والترميم. وغير خاف ما في هذ العمل من الأجر والثواب ضرورة أنه إصلاح بيت من بيوت الله، وفي ذلك من التعظيم ما الله أعلم به ﴿ومن يعظِّم حُرُمَــــات الله فــهو خير لــه عند ربّه﴾ [2]. غير أنه أظهر امتناعا وجعل يدفعني [3] قائلا: إن الأَحباس في غنىً عنّي، ومالُها العريض يَسَعُ أكثر من ذلك حتى أن صناديق المصاريف (والبنوك) ملأى به. في هذه الآونة، تذكّرت والحديثُ ذوشجون [4]، ما يدنو من هاته القضية: إن أبا عبد الله ابن أبي الصّبر [5] حين وليَ خطّة القضاء والخطبة والإمامة بمسجد القرويين سنة[788] [6] استشار في إصلاحه وتبييضه أمير المومنين أبا يعقوب بن أمير المومنين أبي يوسف بن عبد الحق المريني الزناتي رحمهم الله، فأذن له في ذلك، وأمره أن يأخذ من أموال أعشار الروم ما يحتاج إليه. فقال له: إن في مال الأحباس ما فيه كفاية إن شاء الله[7]. قال الفقيه: فقلت للفاسي التاجر: إن المتقدمين حبّسوا ماقدِّرلهم رحمة الله عليهم. وبذلك يمكن سير تلك الوظائف الدينية: إذا فما عمَلُنا نحن الآن ؟فهل لك أن نعمل جميعا في هذا السبيل. فها مائة فرنك أتبرع بها لإصلاح هذا المسجد على قدر وُسْعي. فلم يطق الرجل سماع هذا، بل

---

(1) :يقال : هذا الأمر وخيم العاقبة : أي ثقيل، رديء . اللسان (وخم) .

(2) : سورة الحج، آية . 3

(3) : دفعه هنا : أي رده بالحجة . المعجم الوسيط (دفع).

(4) مثل . أنظر : . أمثال العرب للمفضل الضبي ص 47 مثل رقم 1 . . جمهرة الأمثال، 377/1 رقم 566. . فصل المقال مثل رقم 67 .

(5) : أبو عبد الله بن أيوب . تولى خطة القضاء مع الخطابة والإمامة بجامع القرويين سنة 688 هـ وتوفي سنة 706 هـ . الأنيس المطرب، ص 57 . الأعلام البشرية، 30/1 .

(6) : كذا في الأصل . ولعل الصواب هو 688 كما في الأنيس المطرب، ص 57 .

(7) : أنظر ذلك في : . الأنيس المطرب، ص 57 .

جعل يصرف الحديث عن موضوعه وهو ما هو من الثراء والغنى، غريزة جُبِلْنا عليها عياذا بالله تعالى. لا تخاطبْ إنسانا في باب من أبواب البر والإحسان إلا ويفرُّ منك فرار رائي الأسد، رغم أن تقدُّمَ الأمم والشّعوب ليس له وسيلةٌ سوى تنازل رجالها عن قسط من أموالهم رغم أنها شقيقة الأرواح: هذا أسَّسَ مدرسة، وهذا كلية، وثالث جامعة، وآخر مستشفى، وذا مدَّ يدَ المعونة في خط حديدي، وغيره شارك في معمل سكر، وإنسان سابع شجع رجال الجو من ملايينه. وهكذا، وبجميع ما ذكر، تتكون الأمم وتعيش عيشة طيب ورفاه، وما أحْرانا بإنشاد شعر أمير الشعراء شوقي بك :[بسيط].

بالعلم والمال، يَبني الناس مُلْكَهُمُ   لم يُبنَ مُلكٌ على جهل وإقلال[1]

وهو مفرُد قصيدةً قيلت في الاحتفال بإنشاء بنك مصر بدار (الأوبرا) الملكية، مطلعها : [بسيط].

قفْ بالممالك وانْظُرْ دولة المال   واذكر رجالا أدَالُوها بإجْمال [2]

وها أعضاء جمعية الحلاقين بإستانبول قرّروا جمع مبلغ من المال لشراء طيارة حربية وإهدائها إلى الجيش التركي باسم: (الحلاقين في إستانبول). كان هذا يُدرَج ويُبلّغ ولا مايدفع هممنا للنهوض والكشف عن تلك الأسباب [34] والأخذ بنواصيها، ولكن لم يبق لنا الآن إلا أن نُنشد في تحسُّر قول الأديب :[خفيف].

خلق اللّهُ للحروب رجالا   ورجالا لقَصْعةٍ من ثَريد[3]

فلله المشتَكى من [تقهقرنا][4]، بينما الغير في تقدّم سريع ماديا وأدبيا :[بسيط].

المسلمون بأطراف البلاد سدىً   ضاعوا كما ضاع عند الكاذب القَسَمُ

إن الإسلام جاء ليرفع من شأن معتنقيه، ويَغرس في قلوبهم الشّرف والعزة، والأنفة، والحَميّة. كما أتى أيضا ليُحرِّ ر رقابهم من العبودية والاضطهاد فلا يَذلّ صغيرُ هم لكبيرهم، ولا يَهابُ ضعيفُهم قويَّهم، ولا يكون لذي سلطان بينهم سلطان إلا بالحق والعدل. ولكنّ الحقيقة أصبحت معكوسة والأمر [لله][5]. قال الأستاذ المنفلوطي في نظراته : كان المسلمون

---

(1) : الشوقيات ، 185/1

(2) : نفسه، 184/1

(3) : أُنظر : ـ أمثال العوام في الأندلس، لأبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (617 هـ 693/ هـ) تحقيق وشرح ومقارنة محمد بن شريفة . منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية . مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية . فاس 1391 هـ 1971 م .

(4) : غير واضحة في الأصل .

(5) : في الأصل : له .

في العصور الأولى[«] ذوي أنفة، وعزة، وإباء، وغيرة. يضربون على يد الظالم إذا ظلَم، ويقولون للسلطان إذ جاوز حدَّه في سلطانه: لا تغْلُ في تقدير نفسك، ولا تخرجْ عن دائرتك؛ فإنما أنت عبدٌ مخلوق، لا ربٌّ معبود، وأعلم أن لا إله إلا الله »[1]. وهنا انتهت جلسة الصباح، فخرجنا نسير بلا قصد عن قصدٍ حتى رمتْ بنا الخطوات إلى سوق الخميس الداخلي. فبقينا نمشي في أطرافها لحظات تزيد على الساعة، وما حددناه. والغريب أنه ما وقع بصرنا على مَبيع أجنبي قط، فما هو إلا الصنع الوطني، والبضائع البلدية نفقتْ سوقُها حتى أنك لترى التَّلهّف عليها من كل الطبقات سواء فيهم الداخلي أو الخارجي، مع حسن الإدارة والمعاملة من الباعة، الأمر الذي أخذت له تلك السوق بمجامعنا من غريب ما شهدناه. وبينما نحن في إعجاب واندهاش مما عايناه؛ وإذا بمعركة فظيعة انتشبت بين بعض السّوقة، أدهشتْنا شدّتها فما هي إلا العصيُّ، واليد الحديدية تفعل فِعالها[2] الوحشية: هذا فُقِئت عينه، وهذا بَرزت، وذاك شُقَّ جبينه، ورابع حُمِل، ولا من يقف في وجه ذلك لا من رجال المحافظة على الأمن ولا من غيرهم. والحال أن أمثال هذه الأسواق، يتأكد اتخاذ الحيطة فيها من طرف الحكومة دفْعا للفوضى، وحَقْناً للدماء تذهب سُدى. ويعلم الله كيف قَفَّ[3] شعَرنا وارتعدت فرائصُنا من ذلك المنظر المهول، إذ ما عهدنا له مثيلا. وهنا تتجلى أمام العاقل ما لرجال المحافظة من النتائج. ولا تظن أن هؤلاء يوجدون داخل المدينة دفعا لما عسى أن يَحدث؛ كلا، فإنه مدة حلولي بالحمراء ما شهدت بسوق من الأسواق محافظا سوى مرة واحدة، عثرت على شرطي مسلم من طرف الحكومة جالس بعتبة منزل إخالُه منزله. نعم، من الممكن الجائز أن يكون هؤلاء الرجال متنكّرين في بزَّة [35] لا ندريهم بما أنهم من رجال الأمن. وقد فاتني السؤال والله أعلم. ثم قفلنا راجعين نقصد زميلنا العثماني بمنزله. وعندما بلغنا داره، طلبناه بها فخرج إلينا أبوه وقابلنا بحفاوة، وجعل يسألنا عن مشاهداتنا، فشرعنا نذاكره فيما شاهدناه وهو يزيدنا إيضاحا فيما رأينا من كل ما غابت عنا حقيقته حتى قال: فكل ما عاينتموه من المصانع، والمعامل، والمصنوعات الوطنية، والبضائع المراكشية من سلاح وغيره؛ لم يبق منه غير أقل القليل حسب ما نعرفه نحن. فقلت له ولا عجب في ذلك، فإنها ديار المجد، والملك، والرياسة، والعلم، والصناعة، والرقة. ويكفي دليلا على ما سمعته أن المغرب لا يعرف في الخارج إلا بها. ثم حوّلنا الحديث إلى ما بها من الضِّعاف وهو؛ أننا منذ تلك االسُّويعة التي قطعناها مع السيد عثمان، والمساكين ترِد عليه. فمنهم

(1): **النظرات، 68/2 (مع بعض التغييرات) .**

(2): **فعَالها : الفعَال : إذا كان من فاعل واحد . والفِعال : إذا كان من فاعلين : المعجم الوسيط (فعل)**

(3): **قَفَّ يقفُّ قُفوفا : أرعد واقشعرَّ . اللسان (قفف) .**

من واساه بالفعل، ومنهم من نَظَره[1] للغد كي يحظى بما نشده، إذِ الرّجل يعلم من طبقات الضّعفاء، ودرجات كل واحد وما يرتاح له، ما لا يعلم غيره، وبالأخص مع المعوزين من الطلبة والشرفاء. فأكْرم بالسيد عثمان أباً.

كما طرحنا مسألة الجمعية الخيرية على محك البحث، فقال: وهذا مما يُبعِد تأسيسها ما دام [مريدو][2] الرياسة الاستئثار بآرائهم وعدم بحثهم عن أعمالهم، هذا أولاً؛ وثانيا، الضّعف بهذه الديار ضاربٌ أطنابه. فبالآلاف تُعدُّ المساكين، وتقف دون الحصر والأمر لله. وثالثا، بعض الرؤساء الذي وقف حجر عثرة في سبيل هذا المشروع الذي لا يساعد على التدخل فيه لا قانونيا، ولا إداريا. وأبى بجبهة قوية إلا أن تكون له اليد العليا في الجمعية، وهذا ما لم يتّفق وآراء بعض رجال الحمراء. وأنت خبير بالوفد المراكشي الذي أمّ الرباط بقصد الشكاية في هذا الشأن. وقد لاقى[3] من جلالة الملك محمد الخامس دام نصره ما يثلج له الصدر. ولكن ما قُدّر كان.

نعم، أبديتُ فكرةً للرجل حضرتني وقته، وهي: فمُسَلَّمٌ ما عليه مراكش من الكبر والاتساع حتى يمكنك أن تجعل بعض دروبها في مقابلة قرية أو مدينة صغيرة، يَسهُل على أهل محلٍّ درب أن يؤسسوا جمعية خيرية، من بعض رجاله، بضعفائه ولا بعد أن تهون هاته الطريقة في أعين المراكشيين، فيتسارع إليها رجال العمل، ويتسابقون بكل طمأنينة. وإلا فالعار كل العار على المسلمين بأطراف البلاد؛ أن تُهملَ ضعفاؤُهم، وتضيعَ مساكينهم جوعاً وعُريا، بل وهلاكا. بينما بائسوا اليهود وفقراؤهم ينعمون كما شاء أبناء يا هوذا[4] لغاية لا تكاد تميّزُ فقيرَهم من غنيهم، وضعيفَهم من قويِّهم، كما لا ترى فقيرهم يتكفّف لأحد لا في الأسواق، ولا في الدروب. وما هذا إلا لتلاحمهم وقوة [36] تضامنهم، وغيرتهم على أبناء ملّتهم أن تُرى في أسوأ حال. فكم لهم من مؤسسات خيرية يتبرع عليها أدناهم بأنفس ما لديه. لا يَثنيه قُلٌّ ولا بُخل. وهذه مسألة فلسطين المقدسة حدَثت وقائعها الدموية بين العرب واليهود، فأصيب من الفريقين عدد كثير قام أثناءها اليهود في جميع أقطار الدنيا يساعدون المنكوبين من أبنائهم. وسرعان ما بادر العالم الإسلامي للمعونة والمساعدة

---

(1) :نظره وأنظره : أخره وأمهله . اللسان (نظر) .

(2) : في الأصل : مريدي .

(3) : لاقاه ملاقاة ولقاء : قابله . اللسان (لقي) .

(4) : يقصد هنا اليهود . ويا هوذا هو ابن يعقوب بن إسحاق عليهما السلام . وهو أحد الأسباط. والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب . ـ مروج الذهب، 59/1 مع الأنبياء في القرآن، لعفيف عبد الفتاح طباره . دار العلم للملايين، بيروت . ط 1982م . ص 155-156.

كما هو طَبَعِيّ.[1] وثمّة بلغت تبرُّعات اليهود لأبناء ملتهم من فلسطين: مليون جنيه.في الوقت الذي وصلت تبرعات المسلمين كلها ثلاثة عشر ألف جنيه؛ أي نحو جزء من مائة. بينما الأكثرية الساحقة للمسلمين، فيُعدُّون اليوم بثلاثمائة وخمسين مليونا، وأربعمائة؛ واليهود: عشرون مليونا.

وهذا ما يذَرُنا نعيب على بعض الصحف التي تقول: إن اليهود أمّة حَيَّة تَعرف كيف تعيش وتحيا بالرغم من جميع الاضطهادات والأزمات. آهٍ يا أبناء الإسلام، يا أبناء العروبة على ضياع مبادئكم الدينية، ومؤسساتكم الخيرية الإسلامية. بينما الغير يستغلها، والتأريخ الذهبي يسجلها له في صحائفه البيض. اللّهم أدرك هاته الأمة بألْطافك الخفية، وابعثْ فيها شعور الخير والعمل.

في هذه الأثناء، أقبل الزميل مسلِّماً، فاستفسرناه عن موجب البِطاء،[2] فأخبر أنه كان في أغراض مهمة. فأدخلنا إلى قبة داخل الدار عليها رونق وبهجة. فشرعنا نتحدث عن بعض المرئيات وهو يملي علينا ما غاب، ويوضح بعباراته المعهودة.

إثر هذا، جعل الإخوان يُقْبلون، والبِشر يعلوهم. نعم، الأخ السيد عبد الجليل وَرد، ولديه ذخيرة ثمينة: كتاب خطِّي يُعرف بكتاب الملاحم موضوعه في اللغة، يدنو من أسلوب نظم الفصيح[3] لأبي الحكم بن المرحّل[4]، كتب بتاريخ 616 لمؤلفه أحمد إبراهيم بن شاذان[5]، ومعه شرح فصيح ثعلب[6] لمحمد بن أحمد بن هشام اللخمي[7]، كتب في التاريخ نفسه، ما إخاله أن يكون مطبوعا. فجعلت أرى فيه المواد، ثم أخذه من يدي أحد الزملاء، وطفق يتصفحه. وعن كثب وقع بصره على المثل المشهور (الصّيف ضيّعتِ اللبن)[8] أجل، حكى

---

(1) :طبَعي : أي طبيعي والأصح في النسبة هو أن نقول طبَعي ولا نقول طبيعي كما هو متداول.

(2) : البطاء ،البطء ضد السرعة.

(3) : نظم الفصيح لمالك بن المرحل آتي الترجمة . طبعة حجرية ضمن مجموع.

(4) : أبو الحكم، مالك بن عبد الرحمان بن المرحل، أديب وشاعر من أهل مالقة (604 هـ ـ 1207 م/699 هـ ـ 1300 م). ـ أعلام الزركلي، 263. ـ الوافي بالأدب العربي، 338/2. ـ الموسوعة المغربية، 109/2.

(5) : أبو بكر بن إبراهيم بن شاذان . محدث بغداد في عصره، مولده ووفاته فيها .(298 هـ 910 م /383 هـ 993 م). ـ أعلام الزركلي، 86/1.

(6) : في أعلام الزركلي : "شرح الفصيح".

(7) : أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، عالم بالأدب، توفي بإشبيلية (577 هـ/1181 م) بغية الوعاة، 48/1 رقم 580 ـ أعلام الزركلي، 318/5. ـ الموسوعة المغربية، 93/1.

(8) : مثل، يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه. ـ مجمع الأمثال، المثل رقم 2725. ـ أمثال المفضل الضبي، ص 51 رقم 5.

مؤلِّفه وجها ثانيا في تاء ضيّعتَ وهو الفتح، على عكس القضية . ووجه الفتح، أن الرجل المخاطَب فارق زوجه إلى جميلة من قومه .ثم جرى بينهم ما أوجب الفراق . فتتبعت نفسه العنود، فراسلها، فاجابته بقولها :[مجزوء الكامل] .

أتَركْتَني حتّى إذا علّقْتَ أبيضَ كالشَّطنْ
أنشأتَ تطلبُ وصْلنا في الصّيف ضيَّعْتَ اللّبنْ

أُنظر القاموس المحيط[1] .نعم، لا يبعد تعددها . والمسألة ضمَّنها الكاتب الشاعر[37] مالك ابن المرحل في نظم فصيحه على الكسر[2] إذ قال :[رجز] .

وقُل لمن يطلبُ شيئا فات عنْ إبّانه الصّيف ضيّعتِ اللّبنْ
وتُكسر التاء لأنَّ المثلا جرى على أنْثى خطابا أوَّلا [3]

ثم طاب الحديث فأوردنا حكاية ربّما نسبت لابن هشام[4] نعم، ما وقفت عليها منصوصة . والقصة؛ أن الرجل قاسى من الشدة في طلب العلم وبالأخص علم النحو، حتى قيل إنه قرأ ألفية ابن مالك نحو اثنتي عشرة مرة وما نال منها شيئا لحدٍّ رجعَ معه، والضّجر حليفَه . نعم، اعترضه أثناء طريقه فألٌ حسن، وعبرة صادقة ذلّلت له كل ما صعُب واعتصى، مغرية له على المضيِّ في الطلب، وطرح الملل والكسل . فإنه شاهد نملة تحاول الصعود إلى أعلى عُود نابتٍ، بيْد أنها كابدت الشُّقَّة[5] . فكلما أشرفت على رأسه سقطت، حتى المرّة الثالثة عشر، فعندها علَت العُود، وحصلت على مُنيتها، فاستبشر بذلك خيرا وعلم أن لابد في النجاح من مرارة الاجتهاد، ومضض الصبر، وأن النصر مع الصبر، وأن الحرمان معقود بناصية الملل والضجر . فآب راجعا إلى حال سبيله يطلب العلم، مما كانت نتيجته التبريز والتفوق على الآخرين، وبعد الصِّيت في عالم التأليف في مختلف الفنون .

والقضية سواء وقعت للعلامة أو لغيره، أو لم تحصل للجميع، بل خيالية، فهي ذات باعث على المضيِّ في العمل :[مجزوء البسيط] .

---

(1) : مادة : (ضيع) .

(2) : أي كسر «ضيعت» الواردة في المثل .

(3) : نظم الفصيح (باب ما جرى مثلا أو كالمثل) . وفيه : يديه بدل إبانه، الأنثى بدل أنثى .

(4) : أبو محمد عبد الله بن يوسف، من أئمة العربية ولد بمصر وبها توفي (708ـ 1309م 761/ هـ1360هـ) . ـ النجوم الزاهرة . 761/1 . ـ الدرر الكامنة، 0308/2 . ـ دائرة المعارف الإسلامية، نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي، أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس . طبعت بمصر ابتداء من سنة 1302هـ 1933م .295/1 ـ معجم المؤلفين، 163/6 . ـ إشارة التعيين، ص 403 ترجمة رقم 246 .

(5) : الشُّقة : بضم الشين وتشديده : السَّفر البعيد، والمسافة يَشُقُّ قطعها . وفي القرآن الكريم «ولكن بعدتْ عليهم الشُّقة» اللسان (شقق) .

أُطلبْ ولا [تضجرَنْ][1]من مطلبٍ فآفةُ الطّالب أن يَضْجـرَا
ألـمْ تـر الحبـلَ بـتـكـراره في الصّخْرةِ الصمّاءِ قدْ أثّـرا[2]

وإن تعجبْ، فعجبٌ أنني كنت أحادث بعض الأوربيين فيما يدنو من هذا البساط، فذَكَر لي حكمةً تقربُ مِمَّا سُطِّر: إن الإنسان عليه أن يمضِي في العمل والاجتهاد. فمع الأيّام بضميمة[3] اجتهاد يومه لغده (والذَّوْدُ إلى الذّودِ إبِل)![4]، و(الجبالُ من الحَصا)![5] يتكوّن ويُفتح له باب النجاح على مصراعيه. والمثابر لا محالة يصل :(فعليّ أن أسعى، وليس علي إدراك النجاح). وفي ضوء هذه الفكرة يقول المواظب :[طويل].

على المرءِ أن يسعى لما فيه نَفْعُه وليس عليه أن يساعدَه الدَّهرُ[6]

فيعلم الله كيف تعجَّبَ أن يوجَد أمثال هذا في لغة الضاد، واستغربَ كل الاستغراب أن يكون بالعربية حكم وأمثال تؤدي ما بلُغَتهم. ومن بين هذا تبيّنت جهل الرجل، وتيقنت أنه خرِّيجُ الكنيسة، وتلميذ الاستئْثار بآراء القُسُس والبطارقة. وكم من نظير ممّن يدهشون حيْرةً إذا ما شاهدوا صحيفة عربية أو مؤلَّفا كذلك، لما جُبلوا عليه من تنقيص العرب والعربية، وما بالعهد من قدِم؛ كنت ذات يوم برياض مدرسة العلو بالرباط، وبيدي صحيفة عربية أطالعها. وهذا [38] أجنبي وزوجه وولده الذي يظهر عليه سن الثامنة أو التاسعة من العمر؛ عندما دنا منا صاح بوالديه: أُنظروا صحيفة عربية بيد هذا العربي. فأخذه من العجب ما لم يتركه يلتفت مدة سيره لغيرنا، وليس هو إلا نتيجة الثقافة والتلقين المدرسي، تأمَّلْ.

نعم، ونظرًا لموضوعنا الذي كان العمل والاجتهاد، لا ينبغي للعاقل، فضْلاً عن الفاضل، أن

---

(1) : في الأصل: تضجر.

(2) : ينسب البيتان لأبي مسلم الخراساني في بعض المصادر. روضة الإعلام، ج 4 (خاتمة الكتاب) ص 87 - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين بن هشام الأنصاري. تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. مراجعة: سعيد الأفغاني. دار الفكر، بيروت. ط 5 - 1979 م. ص519 - برنامج أصفى المشارب في شرح توشيح أنت بما سقيت شارب، لمحمد المكي البيطاوري. م خ ص 87 ص 195 - 196.

(3) : الضميمة أي المضموم إلى غيره...اللسان (ضمم).

(4) : الذود: القليل من الإبل. يضرب في اجتماع القليل حتى يؤدي الكثير.. مجمع الأمثال، المثل رقم 1456.

(5) : يقول الشاعر: لا تحقرنّ صغيرة في نفسها إن الجبال من الحصى لن تحقرا

- اختصار القول المحرر التام في الكلام على سنة السلام وبعض توابعه مما يناسب المقام، لمحمد بن علي دينية الرباطي. المطبعة الاقتصادية، الرباط 1355 هـ ص 66.

(6) : البيت للوليد بن هشام الأندلسي المعروف بأبي ركوة. - الأمثال والحكم للرازي ، ص 67 رقم 232. - الإشعار بمحاسن الأشعار، ص 61.

يكثرث َ لمقالة التّعلُّلِ بالحَظ والسّعْد مُنشدًا قول الشاعر أبي العلاء المعري: [كامل]

لاتطلُبنَّ بغير حظٍّ رُتبةً   قلمُ البليغ بغير حظٍّ مغْزلُ

سكَن السِّمَاكان[1] السَّما فرامحٌ   بسلاحه هذا، وهذا أعْزلُ[2]

قال العلامة وليّ الدين ابن خلدون: [3] لا يتعلّل بالبَخْت[4] إلا الكسالى. فما خلق الإنسان إلا للسعي والعمل[5]. ولله در محمد بن هانئ[6] الأندلسي إذ يقول: [طويل].

ولم أجد الإنسانَ إلا ابنَ سعْيه   فمن كان [أسْعى][7]، كان بالمجْد أجْدَرَا

وبالهِمَّة العلياء [يَرقى][8] إلى العُلا   فمن كان أعلى هِمَّة كان أظْهرا

ولم يتأخَّرْ من أراد تقدُّما   ولم يتقدَّم من أراد تأخُّرَا[9]

وهنا انفضَّ المجلس، وانصرفنا. وبادر الأستاذ ابن عبد الرازق إلى تقديم استدعائه إلينا قصد الفطور معه غد اليوم رغبة في الاجتماع ومواصلته، وإلا فالفطور إنما هو وسيلة: (فما الرَّعيُ

---

(1) : السماكان: نجمان في السماء، مثنى سماك. أحدهما هيأته كرجل معه رمح ويقال له السماك الرامح، والثاني، كهيأة رجل بلا سلاح، ويسمى: السماك الأعزل.

(2) : تردد هذان البيتان في كثير من المصادر، وقد بحثت عنهما في لزوميات أبي العلاء وفي كثير من مؤلفاته فلم أقف عليهما. وهناك بيتان قريبان في المعنى وردا في لزومياته وهما:

وما ردّ عن آل السماك سلاحه   ولا كف عنه الموت إن قيل أعزل

أسيفك سيف، أم حُسامك مَشْرطُ   ورمحك رمح، أم قناتك مغْزلُ

ـ اللزوميات. تحقيق جماعة من الأخصائيين. دار الكتب العلمية، بيروت. ط 2 - 14.6 هـ ـ 1987م ج 2 ص 182.

وقد يكونان واردين حسب الرواية الأولى فيما لم أطلع عليه من مؤلفاته، أو في طبعات غير التي وقفت عندها. أُنظر: ـ وفيات الأعيان، 1/ 114 ـ نفحات الأزهار، ص 317.

(3) : عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، من أشهر المؤرخين العرب. ولد بتونس سنة 732 هـ، وتوفي سنة 1098 هـ ـ الإعلام بمن حل مراكش 105/8 ترجمة رقم 1098.

(4) : البخْتُ: الجد بفتح الجيم وهو الحظ. اللسان (بخت).

(5) : تردد مضمون هذه العبارة وما أشبهها أكثر من مرة وفي سياقات مختلفة من المقدمة.

(6) : أبو القاسم محمد بن محمد بن سعدون الأزدي، من شعراء الأندلس ولد بإشبيلية (326 - 362/938 هـ ـ 973م).

ـ النجوم الزاهرة، ص 54 ـ شذرات الذهب، ص 3 ـ المطرب من أشعار أهل المغرب، ص 192.

(7) : في الديوان: أرقى.

(8) : في المخطوط: ترقى.

(9) : ديوان ابن هانئ الأندلسي. تحقيق كرم البستاني. مكتبة صادر، بيروت 1952 م ص 64، قصيدة عنوانها «ألا هكذا» يمدح فيها الخليفة المعز لدين الله.

إلا من صفاتِ البهائم)[1] .

ثم ذهبنا مع الأستاذ المختار إلى المدرسة، وأدّينا العصْرَ، وخرجنا نَنشُد عربة رجاءَ التفسح أطراف البلد. فجُلنا شيئا ، ثم رجعنا. وسرعان ما اقترحَ علينا زيارَة أحد الإخوان الذي تغيَّب عنَّا. وأطلنا الجلوسَ معه إذ قدَّم لنا أبُوهُ مشروبَ الشَّاي. فلبيّنا، وشرعنا في المذاكرة؛ إذ راجت أثناء ها قضية أبي الحسن المريني[2] حينما تزوج بابنة[3] أحد ملوك أبي حفص[4] بالقيروان. وثمة طاف على قصوره يعْتام منها ما يلائم بنت الملوك التي ستقارنه في الحياة، فلم يرُقه ما لديه من الأبنية، وهي ما هي بهجة، ورقَّة، وبداعَة نقْشٍ. وحالاً، أمرَ المهندسين، فاختطّوا له قصرا كما يريد، وأحضر العمَلة والبنّائين. ولم تمض مدة أسبوع حتى كان الصَّرحُ مهيَّئاً في أحْسن صنع وأبدعه (وعن الملوك فلا تسأل). وليس هذا بغريب وعزيز على ما وصلت إليه الدولة الفتية المرينية من التفوق في إبداع الصنع وإحكامه، إذ برزت في الرقة والحضارة والفنون الجميلة بما لم تبلُغه الدول قبلها، وناهيك بأبي الحسن، حتى خُصِّصت آثارُه بالتدوين، إذ أفرَدَهُ بتأليف، العلاّمة ابن مرزوق أسماه :(المسندُ[5] الصّحيحُ الحسن في مزايا أبي الحسن)[م] [39] .

---

(1) : شطر من الشعر وظفه أكثر من شاعر، من ذلك قول الأول في تشنيف الأسماع، والثاني في شرح الأرجوزة الفائقة:

وما القصد إلا أن يكون اجتماعنا ... وما الأكل إلا سيمة للبهائم

نصيب الفتى في الروض شمٌّ ونظرة ... وما الرعي إلا من طباع البهائم

- تشنيف الأسماع، ج 2 (مخطوط) ص 43 - شرح الأرجوزة الفائقة المستعذبة الرائقة، فيما يحتاج الأتاي إليه ويتوقف شربه وإقامته عليه. (شرح لمنظومة عبد السلام الأزموري) لأبي حامد المكي البطاوي. مطبعة الأمنية - الرباط. ط 136.1 هـ - 1964 م. ص 149.

(2) : علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق: من ملوك الدولة المرينية، (697 هـ/ 1297م - 702 هـ / 1351م).

- الإعلام بمن حل مراكش، ج 9 ص 171 ترجمة رقم 1405. لقط الفرائد، 205. - المسند الصحيح الحسن ، في مآثر أبي الحسن، لمحمد بن مرزوق التلمساني. دراسة وتحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا. تقديم محمد بوعياد. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1410 هـ - 1981م. من صفحة 92 إلى آخر الكتاب.

- Histoire du Maroc P: 146.

(3) : تسمى: فاطمة.

وللسلطان أبي الحسن مصاهرة ثانية مع أبي بكر الحفصي من ابنة أخرى تسمى عزونة. - الاستقصا ،2 / 153.

(4) : الملك هو: أبو بكر بن أبي زكرياء الحفصي. - الاستقصا، 116/3.

(5) : أشير إلى هذا المصدر من قبل.

(م) وقد [أخبرني] بعض الثقات، أن القصر المتحدثَ عنه ما تهدّم إلا أخيراً، والبقاء لله وحده.

ثم خرجنا، والأسف يملأ قلوبنا بما حُرمناه من مجالسة هذا الأخ المطّلع شفاه الله. ثم اقترحْت على الزميل المختار أن يكلّف من يبلغنا إلى منزل الناظر تعففا عليه من مرافقتنا. ففعل، وكشف عن رجل طيِّب السِّيمة أراه يشتغل بتجارة الكتب والجرائد زيادة على ما يروج فيه من السلع. فصحبَنا، وقد شكرنا الأخ المختار على تفضُّله. وذهبنا مع دليلنا إلى حيث نريد. لكن أثناء الطريق، لما دنونا من ضريح الولي الصالح أبي فارس سيدي عبد العزيز بن عبد الحق الحرّار المعروف بالتبّاع[1]؛ طلبنا من خرِّيتنا[2] زيارته لما نعلم له من الكرامات والأفعال الخارقة كما عرَّف به غير واحد من المؤرخين كابن عسكر[3] في الدوحة،[4] والفاسي[5] في ممتع الأسماع[6]، وابن جعفر[7] في السلوة[8]. فله رحمه[الله]، الصِّيتُ الطائر في الولاية حتى إن الناس يزورونه لما خصَّه الله تعالى به من الفضائل فتُقضى مآربها حتى من أصحاب العاهات الظاهرة والباطنة، يظفرون بما رغبوا. وفعلا كم شاهدنا لدى مدفنه من مرضى يتمسّحون(م) بضريحه، ويدهنون بزيوت مصابيحه، والأعمال بالنّيات[9]،

---

(1) : أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع. أحد الرجال السبعة بمراكش. توفي سنة 912. ممتع الأسماع، ص 35 ترجمة رقم 2 ـ دوحة الناشر، ص 136 ترجمة رقم 145.. الإعلام بمن حل مراكش 413/8 ترجمة رقم 1259 ـ شجرة النور، ص 270 ترجمة رقم 1023 ابن عبد القادر بدل ابن عبد الحق).

(2) : الخريت: بكسر الخاء وتشديد الراء: الدليل. ج: خراريت. اللسان (خرت).

(3) : محمد بن علي بن عسكر الحسني العلمي: عالم وصوفي. قتل في معركة وادي المخازن سنة 986 هـ. ولد بشفشاون 936 هـ 1029 م ، وتوفي سنة 986 هـ - 1078 م. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 103/5 ترجمة رقم 642 فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت ط 1402.2 ـ 1982م. 416/1 .

(4) : دوحة الناشر، ص 136 ترجمة رقم 145.

(5) : أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي: عالم ومحقق وصوفي. (1033هـ ـ 1623م/1109هـ ـ 1697م). ـ نشر المثاني80/3 ـ السلوة، 316/2 ـ الصفوة، 611 ـ مقدمة ممتع الأسماع. ـ مؤرخو الشرفاء، ليفي بروفنسال. تعريب عبد القادر الخلادي، دار المغرب الرباط. 1397 هـ ـ 1977م. ص192.

(6) : ممتع الأسماع، ص 35 ترجمة رقم 2.

(7) : محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني الفاسي: مؤرخ ومحدث (1274 هـ /1807 م .1345 هـ/ 1927م). ـ فهرس الفهارس، 515/1 ترجمة رقم 293 ـ شجرة النور،436 ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن الحجوي. المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة (جزآن) د. ت 211/2.

(8) : سلوة الأنفاس، 211/2.

(م) وفي التمسح ما فيه من عدم اللياقة وسوء الاعتقاد.

(9) تضمين للحديث النبوي الشريف: «إنما الأعمال بالنيات».

ـ البلغة في أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الشيخان. لأبي حفص عمر بن علي بن الملقن المعروف بابن النحوي. حققه وخرج أحاديثه محيي الدين نجيب. دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ط 1414هـ ـ 1994م. مطبوعات مركز جمعة الماجد بدبي. ص 24 حديث رقم 20.

والكلُّ منه تعالى لا لصاحب الضّريح. فإنه صالحٌ حظي بصحبته الشهير أبي سيدي عبدالله بن سليمان الجزولي[1] فكان صاحب الوراثة من بعده. كما صحب الشيخ أبا عبد الله الصغير[2]. توفي رحمة الله عليه سنة أربع عشرة وتسعمائة 914[3] [هـ]؛ وقبَّتُه المَهيبة من مؤسسات السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي[4] قدس الله روحه.

نعم، زُرنا هذا الوليَّ بعد أداء فريضة المغرب بمسْجده. وشنَّفنا[5] أسماعنا بشيء من آي الذكر الحكيم في إجادة تلاوة، وحلاوة صيغة متناسبة جماعةً. ثم تقدّمْنا لزيارة الرّجل الصّالح، مُقدّمين بعضَ السور الكريمة ترحما عليه، والفضل يَقبلُ الزّيادةَ. ثم رجوْنا من اللهِ سُبحانه أن يُكرمَنا مما أكرَم به هذا الوليَّ الشهيرَ. فخزائنُه جلَّتْ قدرتُه ملْأى لا تنفدُ، يُعطِي من يشاءُ، ويمنعُ من يشاءُ، وهو القويُّ العزيزُ. وبعدُ، خرجنا نؤمُّ الفقيهَ بمنزله، فطرقْنا بابَه، فأذِن لنا بالدُّخول، فصعدْنا إلى الدُّويْرَة؛ بيد أنّنا اللّيلةَ لم نُصادفِ الفقيهَ حاضرا إذْ كان لبّى دعوَة أحد أصدقائه. فنِمْنا إلى مثل السّاعة المعتادة، حيث استيقظنا وأدَّيْنا ما يلزم. وبعد حين طلع علينا الفقيه، ووجهه يتهلّلُ نشاطا. فاستفهمناه عن تغيبه الليلة، فاعتذر إلينا بما عرفناه قبل. فعندئذ طرحنا مسألة حيوية: مسألة الحركة العلمية ببعض المدن، فقلتُ له؛ أمّا الحركة العلمية بالرباط، فجفّتْ أرضُها وأصبحت مَواتاً لا حياة بها رغم أنه كجارته سلاً كانا زاهريْن بالعلم تُدرّسُ فيهما شتّى الفنون على الطريقة القديمة. وفيما بعد، أُنشئَتْ بهما مدارسُ وطنية قرآنية علمية تَرُومُ [40] طرق التّجديد وتحذو حذْوها، وكم شاهدنا فيها من نبوغ وذكاء خليقين بكل تقدير وإعجاب. ويا للحسرة أن اضمحلّت تلك النهضة قبل أن تُؤتيَ أكلها وأخْنت[6] الليالي على الجميع مما صارت له المدينتان أثرا

---

(1) : أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني صاحب الكرامات الكثيرة والمناقب الشهيرة، وصاحب دلائل الخيرات. توفي سنة (807 هـ 1404م/870 هـ - 1465م). - جامع كرامات الأولياء، 165/1 - تعريف الخلف برجال السلف، 105/1 - الضوء اللامع، 258/7 . - جذوة الاقتباس، 319/1 - ممتع الأسماع، ص 11 - نيل الابتهاج، 545/2 - الإعلام بمن حل مراكش، 40/5.

(2) : أبو عبد الله محمد الصغير المعروف بالسهيلي: من أكابر الأولياء. توفي بأحواز فاس سنة 918 هـ. - ممتع الأسماع، ص 35 ترجمة رقم 1.

(3) : الإشارة هنا إلى تاريخ وفاة عبد العزيز التباع.

(4) : محمد بن عبد العلوي(السلطان)، توفي 1204 هـ - 1789م.
- سلوة الأنفاس،330/3 - الإعلام، للمراكشي109/6 - الاستقصا، 193/7. .
- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر. دار الرشاد الحديثة البيضاء. ط 1 - 1977 م. ص 270.

(5) : شنف الآذان بكلامه: أمتعنا به. اللسان (شنف).

(6) : أخنى عليه الدهر: أي طال. اللسان، (خنى).

بعد[حين][1] ، وطُويتْ تلك الصُّحف متعلقةً بأستار الأخبار الكوْنية، وتبدّلت النُّقوش غير النقوش، والحروفُ غير الحروف، فاستعجمت الغاياتُ والمقاصدُ. وتبدَّلت المدينَتان بأهلها. وجاء طورُ التَّكالبُ على الورقة والمثْقُوب. واندفع النَّاسُ إليه بتلهّف ينْشُدونه ولو على الإلْحاد عياذاً باللّه تعالى.

وبهذه المناسبة ذكرتُ مستحضرًا بسرعة: قضية (الْفارُو)، كاهن قرطبة في أوساط القرْن التاسع للميلاد. بيد أنها، على عكس ما ذكر، فأصبحنا نحن نُولْولُ بدَلهُ شاكرين أبناء ملّتنا انكبابَهُم على[. . .][2]راجع القضية في كتاب الأدب الأندلسي للأستاذ كامل كيلاني ص 338.

ويمكن أن نقول: إن أكبر العوامل والأسباب التي أثّرت بسُمّها النّاقع في المجموع، هو عامل التّرف والترفُّه اللّذين ما دخلا أمّةً إلا وفسدت أخلاقُها، ودخل ديانتَها الخوَرُ والضّعفُ وأتى كل على ما ينعش وكالتها ماديا وأدبيًا[3].

قال الفقيهُ: وهذه الدّار البيضاء، فإنّها اليومَ لا تخلو من خيرٍ دينًا وعلمًا. فكمْ فيها من دروسٍ علمية بجل مساجدها حتى في قرْيتها الحبْسية تُوجد أحياناً الدّرسان فأكثر. قلت له: وما ذلك يا ترى إلا لكون أهلها لا زالوا على شيء من البداوة، متمسكين بغضَاضَتِها. يقول أبو الطيب :[بسيط].

حُسنُ الحضارة مَجْلوبٌ بتطْريَة[4] وفي البداوةِ حُسْنٌ غيرُ مجْلُوب[5]

يُكرِّمون العلْمَ وحامليه؛ بل يتنافسُون في ذلك أيُّهم يحوزُ قصبَ السبق عن خُلوصِ نية، وحُسْنِ طوية. يكفيكَ، أنه يوجد اليوم من جاد بتأسيس مسجد لله تعالى بأحباسه وكل ما تدعو إليه ضرورة المساجد حتى لترى من جميل خصالهم الجديرة بالتَّسْجيل؛ أنّهم يقومونَ بالعالم معيشةً ومسكناً مع الإجْلال والتّعظيم للغريبِ، مُعتقدين أنّه من أهلِ

---

(1) : في الأصل: عين.

(2) : حذف في الأصل.

(3) : تتطابق كثير من هذه الآراء في معطياتها ونتائجها مع ما أشار إليه عبد الرحمان بن خلدون، في عدة مواضع من مقدمته. أنظر على وجه الخصوص الفصل 18 «فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده». ـ مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد ، تحقيق: علي عبد الواحد وافي. دار نهضة مصر، القاهرة، ط 888/2 وما بعدها.

(4) : طَرِيَ طراوَةً : كان غضا لينا. اللسان (طري).

(5) : البيت من قصيدة في مدح كافور مطلعها:

من الجآذر في زيّ الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

ـ شرح البرقوقي 291/1 .

الوراثة كما في الحقيقة والواقع، ظانّين التقصير في ذلك؛ ولشوقي : [كامل] .

قمْ للمعلّم وفّه التّبجيلا كاد المعلّم أن يكون رسولا [1]

وبعبارةٍ؛ فهُم أقربُ من كلّ قريب لطرق البرّ والإحسان، يبذُلون فيها ما عزّ لديهم وجلّ. لا يعْتورُهمُ القُلُّ والبُخلُ. نعم، فهل توجد هنا حركةٌ علمية ؟ فقال : لا، حسَبَ ما يظهرُ. فأجبتُه : كلاّ ؛ إن هنا حركة علمية لا بأس بها كما تواتَر عندنا من زائري هاته الحضْرة. ورغم أنّنا زُرنا جلّةً من رجَال العلْم من أبنائنا، فما شاهدْنا منهم إلا نشَاطًا نحو حركتهم العلمية بالنّسبة لما كان قبلُ من الموات. أمّا نحن سترِدُ فتعلَم : [41] [بسيط] .

ياابنَ الكرام ألاَ تدنُو فتُبصرَما قد حدّثوك فما راءٍ كمن سَمِعَا [2]

أمّا فاس، وكليّتُها القروية المنظّمةُ، فتسيرُ في جوٍّ علميٍّ لا يُستهانُ به. غير أنّ نظامَهُ في حاجة كبيرة إلى تنقيح وتهذيبٍ، كَيْ تسيرَ طبق ما يُنتظَرُ من الكلّيات المنظّمة في العصر الحاضر. أمّا النّظامُ الحالي مُجرّدًا، فما كان ليُجديَ كبيرَ فائدة ما لم يُتداركْ بالتّحسين. وذلك لأسبابٍ منْها ما أراه من القضاء على ذوي الجُهود الجبّارة أثْناء الدّراسة العلمية، ضرورةً أنّه يعطي هذا درْساً في التاريخ. ومن الممكن أنّه لا يعرفُ للتأريخ لا أسباب [ولا] [3] مسببات، فضْلًا عن أخْذ ذا بذا، وربطه به، بل بما يكون الواقع أفظع، حيث يكون الدّارس يجهل مرّةً واحدة تأريخ بلاده، وحياة رجالها. ويا ليت النّظام ورجالَه الأكفاء كلفوه بدروس اللغة وما إليها، لما له من الباع الطويل فيها. وبذلك تهدأ روْعة[4] الطّلبة، وتطمئنُّ نفوسُهم، ويخفَ ما جعل يدبَ من الشّقاق بين الأستاذ وتلميذه أثناء البُحوث، والأسئلة التي تُوجّهُ للشيخ، في حين لا تكاد تطيقُه مداركُه، والعذرُ له، والطّبيعة حوله

---

(1) : مطلع لقصيدة عنوانها «العلم والتعليم وواجب المعلم»: 66 بيتا. ـ الشوقيات، 184/1.

(2) : ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، الشاهد رقم 326 ـ شيخ الجماعة العلامة محمد المكي البطاوري الرباطي : عبد الله الجراري، مطبعة النجاح الجديدة، البضاء 1979. ص 112 .

ونجد في هذا المعغنى كثيرا من الأشعار والأمثال. أنظر نماذج منها في :

ـ المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، ت 538 هـ ـ 1144 م . دار الكتب العلمية، بيروت . ط 2. 1397هـ ـ 1977م 206/1 . مثل رقم 837 . ـ التراتيب الإدارية والعملات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلّية، لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني المطبعة الأهلية ـ الرباط 1346 هـ (جزآن) 32/1

(3) : في الأصل : وما

(4) : الروعة : الفزعة . اللسان (روع).

تُقرّ ذلك، وقواعد المعرفة وتراتيبها تعضده (واندُبْ لكلّ مهمٍّ أهل بلْواه)[1]. وقيل :[رجز] .

ومنْ له شيءٌ من المعارفْ قلّدَ والأصلُ القضا بالقائفْ[2]

ثمّ كثيراً ما أجولُ في هذه الحقيقة، لكن يعسُر عليَّ العثورُ عمّا ترمي إليه . فلستُ إذاً أدري، أهو رأيٌ طبختْه الأفكارُ بيْد أنه لم ينضُجْ فنشأَ ما نرى ؟ [أم][3] هو أمرٌ دُبِّرَ وساسته آراءُ السّاسة، ولعبتْ حولَه أدوارُها المعهودة ؟

يبقى الجواب بين شقّي القلم، والمجالُ فسيحٌ كي تذهبَ أفكارٌ وخيالات كل من يهمُّهم كشفُ ما غمُضَ من الحقائق كلّ مذهب . ومن شدّة الظُّهور والخفاء .

ثم تُلْقي نظرةً إجماليةً من ناحية أخرى : ناحية الشَّباب النّاهضِ الذي مكّنَهُ الاجتهادُ من مقدُرَة خرج بها لميدان العمل يبثُّ روحاً جديداً في أبناء قومه، ويغْرِسُ في قلوبهمْ أخلاقاً فاضلةً تضمن ما نُؤمِّله من مستقبلٍ زاهر، وأيّام ناضرةٍ لولا ما يعْترض تلك الثّقافة ممّا تَدْمَى له الأَفْئدَةُ ، حيث كان يسعى في هدْم معالمها، وتقْويضِ ما شُيِّد من صُروحها، وإطْفاءِ قناديلها النيّرة بما تصبح له الأجيال المرجوّةُ في المؤخّرِ تنْدُبُ واضيَاعَها، متأفّفَةً من ألَمِ الجهْل ودائه العُضال . وليس هو سوى كون الشباب المثقّف لم يَسرْ سيْرَ النُّشوء والارتقاء، بَلْ تنكَّبَ الحكْمة وغدا يمزجُ دروسه العلمية بما لا جدوى وراءَهُ . لا نحن تشبّعنا ولا سُسْنا . فما أشبه الحالةَ بحكاية . . الّذي اختطفَ قطعةَ لحمٍ وفرَّ سابحا في وادٍ . وأثناء السِّباحَة ارتَسَمَ شاخِصُ القطعة في الماء الصّافي عظيماً، ممّا دفع الحيوانَ أن أرسلَ ما بفيه، واتّبع الشّاخص الهوائي، فأصبح لا هُو بالحقيقيّ ولا هو بخياله[4] . اللّهمَّ الثّباتَ في السّيْر والعملِ .وليس هذا منّي [42] سوى فكر في القضيَّة، يقْبلُ الأخذَ والرّدَّ؛ إذ يمكن كونه غير

---

(1) : شطر من بيت شعري وهو:

وكل أمر له قومٌ به عرفوا فاندبْ لكلّ مُهمٍّ أهلَ بلواهُ

ـ المنزع اللطيف، ص 306 ـ هذه مذكراتي 1/ 20 .

(2) : القائِفُ : الذي يعرف الآثار ويتتبعها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه. وهذا البيت من نظم القاضي ابن عاصم.

أُنظرْ : ـ مرقى الوصول إلى الضروري من الأصول. لأبي بكر محمد بن عاصم القيسي الأندلسي (ت 829 هـ).

ـ السلسلة الذهبية من الحديث المسلسل بالأولية. لمحمد بن علي دنية. المطبعة الاقتصادية. الرباط 1356هـ ـ 1937م ص 44 هامش رقم 1.

(3) : في الأصل: أو.

(4) : أُنظر هذه القصة في كتاب كليلة ودمنة. تأليف بيدبا ، تعريب عبد الله بن المقفع. دار الكتب العلمية. د. ت. باب برزويه المتطبب. ص 99 .

مُطابق لروح الواقع متَى كانت المشاهدَةُ لا تصيبُ، ويدْخُلها الخوَرُ في غالب الأحيان.

وهنا وقف حديث الجلسة. ثم دقّ أحد الإخوان بابَ الفقيه يبحث عنّا، فأذن له في الصُّعود، فصعد وخُضنا في الأدبِ. ثم زايلْنا الفقيه وخرجنا مُقترحين على الزَّميل إبراهيم الاستحمامَ، فنشطَ لذلك، وذهب بنا إلى أرفع حمّامٍ بالحمراء من الطِّرز الجديد. وثمَّة اخْتارَ لنا خزانتين لوضع الثّياب، ودفع لنا القيِّمُ مئزريْن كما هي العادةُ، ونعِمَت. ثمّ أخذْنا منه منْديلَيْن للتّجفيف، وصابوناً ولجْنا الحمّام؛ فإذا النّاس على كراسيّ يغسلونَ وَوُجوههم للحائطِ في غاية ما يكون من السِّتْر المطْلوبِ شرعاً. حتّى أثناء الغسْل، ترى المآزرَ عليهم. وممّا زاد ذلك حُسناً وجمالاً، أنْ كان أمام كلٍّ واحدٍ ماؤُه الحارّ والباردُ على كيفية حديثةٍ (بأنابيب من الصُّفر)[1]. يفتح المغْتَسِلُ لأخْذ ما شاء، ثم يُغْلقُ. أضِفْ إلى هذا، وجودَ بيوتٍ لمن يُبالغ في السِّتر بكراسيها ومياهها بنَوْعيْها: السُّخُونِ والبَرُود[2]. وكم حُمِدتْ هاته الكراسي لما لها من المفعول في النّظافة، بدفْع ما عسى أن يَعْلَق من الخبائث (الميكْرُوب)[3]بالإنسان.

ومن المحسّنات الجديرة بالاعْتبارِ، ما يُلْفَى من النِّعال الخشبية التي لها التّأثيرُ الكبيرُ على طرْدِ ما يُتوقعُ حصولُ ضرَره من برودة الرُّخام حالَ الخروج وما إلى هذا من المنشّطاتِ الأدبية والدّينية و الصحية. فاغتسلنا بسلامة، ثم خرجنا لمقعد الراحة؛ فإذا هو كراسي مفروشة بالزَّرابيّ الرّفيعة من صنع الأتراك. وقد عمت النظافةُ كلَّ المرافقِ والناسُ في نهاية من السُّكون داخلًا وخارجاً، الأمرُ الذي استولى علينا من كلّ ناحية.

لا تحسَب أن كل الحمّامات بهذه الحالة، كلاّ. إنْ هُو إلاّ هذا، وآخرُ بباب دكّالة. وإخالُ أنّهُما لمالك واحد. وهذا ما حمل الناظر أن يُشير إلى الأخ إبراهيم بقوله: إيّاكَ ومطلقَ الحمّامات، فيشتغلُ بنا الربّاطيون، بل دُلّهُمْ على... (م)ثمّ خرجنا من المُغتسل راجينَ من زميلنا حلاّقاً، فأجاب مُرشدا إيّانا إلى حجّامهم. فوجدناه نظيفَ الدّكان والآلة. يظهر عليه أثر الأدب إذ سأله بعض أصدقائه: هل جاءت الزّهرَةُ؛ يَعني الصّحيفة التّونسية؟ فأجابه

---

(1): يقصد أنابيب من النحاس الأصفر.

(2): سخِن بكسر الخاء سُخونة. اللسان (سخن)، وماء برْد، وبارد وبَرُود. اللسان (برد).

(3): معرب عن كلمة: (microbe) بالفرنسية.

(م): وما أسرع تذكري بعد هذا قول الأديب إبن جعفر يمدح حماما بعد ما ذمه:

لا أنس ما عشت حمّاما ظفرت به	وكان عندي أحلى من جنى الظَفر
نعمت جسمي في ضديـن مغتـنما	تنعّم الغصن بين الشمس والمطـر

والنصف الأخير لابن بقي كما في النفع لأبي العباس.

لا [43] . لازلنا حتى الآن ننتظرُها. فاستفدتُ أنّ في الرجل وعياً وتطلّعاً للأخبار بما شاهدتُ من الصُحف عنده. فقصر منْ رأسي، وأخذ من شاربي كالصَّديق. ثم انثنيْنا نؤمّ منزلَ الفقيه، حيث ثيابُنا لديْه. فاستأذنّا عليه ودخلنا. وريثما ارتاحتْ نفوسُنا، بدّلنا الملبوسَ وذهبنا إلى الجامع (حارَة الصّورة)[1]؛ المسجد الذي أسّسه السّلطان حسّون المريني الوطاسي[2]، والذي زخرفه السّلطان المولى عبد الله السّعدي[3] . وفي أيّام السلطان محمد ابن عبد الله[4] رحمهُ اللّه، أُقيمَت الجمعة فيه. فدخلنا، وتلاوةُ القرآنِ بلسان واحدٍ، بترتيل آي الذّكرِ الحكيمِ، قد نشرت السّكون والطمأنينة على الحاضرين. ولنعْمتْ[5] الفكرةُ، حتى الزّميل، وبعض الإخوان من الشّباب المرّاكشي قد هيَّأوا خزانةً قرآنية تضمُّ مَصاحفَ عديدةً يقوم بتوزيعها على القارئين، الأخُ إبراهيم وبعض التلاميذ. بيْد أنّ الفكرةَ لم تَعُمّ هناك كما بالمسْقط (الرباط) وغيره.. بل لا تزال في دوْر النُّشوء تُعاني من صدَمات الجامِدين ما لا يخْفَى؛ الأمرُ الذي تجدُني له قائلاً: وما لهؤُلاءِ والوقوف حجر عثْرة في الاجتماع على كتاب اللّه تعالى وتلاوته بصوْت واحدٍ. وإنْ كان ثمَّ خلْفٌ[6]، فقد زالَ وجرى العملُ على الاجتماع للتّلاوة مما يُخاف على المخالفِ سوء المغبّة. وأياً ما كان، فيدلُّك دلالة واضحةً على

---

(1) : وهو غير مسجد الحارة الواقع خارج باب دكالة. أنظر: ـ التنبيه المعرب، 151/1. الإعلام بمن حل مراكش، 94/1 رقم 31 وحارة الصورة حيّ من الأحياء المرابطية التي كان يسكنها بعض أفراد أسرة يوسف .

(2) : علي بن محمد الشيخ بن أبي زكرياء يحيى الوطاسي. ثالث ملوك بني وطاس في فاس وآخرهم بويع بعد وفاة أخيه محمد بن محمد سنة 932 هـ وثار عليه ابن أخيه أبو العباس: أحمد بن محمد، واعتقله وأشهد عليه بخلع نفسه في آخر السنة نفسها فأقام إلى أن استولى السعديون أصحاب مراكش على فاس سنة 956 هـ ففر إلى الجزائر فاتصل بالترك وكانوا قد استولوا على المغرب الأوسط فاتفق معهم على غزو فاس ووعدهم بمال، وأقبلوا معه تحت راية «صالح باشا التركماني» فقاتلوا السلطانَ محمدا الشيخ السعدي واستولى على فاس سنة 961 هـ ووليها أبو حسون وكثرت شكاية الناس من عبث الترك... وبمصرعه انقضت الدولة الوطاسية وهي المرينية الثانية بالمغرب. توفي سنة 961 هـ ـ 1002 م : ـ الاستقصا 149/4 وما بعدها.

(3) : أبو محمد، عبد الله بن محمد الغالب بالله محمد الشيخ السعدي(السلطان). ولد سنة 933 هـ 1526م، وبويع سنة 964 هـ ـ 1556م. وتوفي سنة 981 هـ ـ 1573 م.

أُنظر حياته وكذا المنجزات المشار إليها في المخطوط: ـ الإعلام بمن حل مراكش، 286/8 ترجمة رقم 1193. ـ الاستقصا، 38/0 وما بعدها.

(4) : السلطان العلوي (ت 1204 هـ ـ 1789 م) . ـ الإعلام للمراكشي 109/6. سلوة الانفاس 230/3.

(5) : نقول : نعم المرأة هند ونعمت المرأة هند. اللسان (نعم).

(6) : قوم خِلْفَةٌ بكسر الخاء وسكونَ اللاّم : أي مختلفون. والخلف : الاختلاف. اللسان (خلف).

مُقاومة الفكرة من بعضِ الأغبياء المتنطِّعين[1]؛ أن وجَدَ الإخوانُ الكرامُ يوم الجمُعَة التي حضرْناها : حريقاً بباب الخزانة القرآنية لـم ينْتشِر لهيبُه بفضل اللّه تعالى حمايةً لكتابه الكريم.

نعم، خرج الخطيبُ، وأذّن المؤذّنون، فنهضَ الخطيبُ وجعَل يُملي عليْنا من مواعِظه وأسْجاعه كما تعلمُ. فيا لضيعة الخطابة. ثم نزل، فصلّينا الجُمعة، وخرجنا نؤمُّ بيت السيد محمد بن عبد الرّازق تلبيةً لدعوته السّابقة؛ فتلقّانا أخُوهُ بباب الزّقاق، وأدخلَنا فرحاً مسرورًا، وكادَ الأخُ أن يطير حُبوراً[2] لمقْدمنا. ووجدْنا كل الإخوان حاضرين. وسرعان ما أُحضِرَ الطّعام. وأثناءَه، جعل الأستاذُ العثمانيُّ يحْمِل على الزّميل المختار كالعادة، والكل يتشيَّعُ له ضدّ السيد المختار. وعند ذاك، التفَتَ إلى السيد العثماني قائلا : فماذا تقولُ أيّها الأخ ؟ فأجبته : في جانبكم، مُنشداً قولَ شاعرِ الوِئام : [متقارب].

إذا اجْتمعَ النّاسُ في حاجَةٍ	وخالفَهمُ في الوَرَى وَاحِدُ
فقَدْ دَلَّ إجْمَاعُـهم دُونَهُ	على أنّ عقْـلَهُ فاسِدُ[3]

فاستعاد الأصدقاءُ منّي البيْتين، فأعدْتُهما. وحالاً وقع البيتَانِ من الإخْوان مَوْقِعَ الاستحسان، وتناولهُما البعضُ. وهذه إعادة تُفهم،لا إعادة نغمةٍ [44] واستفزازٍ كما وقع لاستعادة بيتيْ ابْن أبي ربيعة[4]. ذلك أن أعداءَ البرامكَة، لما أعْيتهُمُ الحيلةُ، لجأوا إلى التّأثير على الرّشيد[5] بالغناءِ. فلقّنوا إحدى قِيانِه هذين البيتين، وهُما من كلام ابن أبي ربيعة :[رمل].

---

(1) : التنطُّع في الكلام : التعمق والمغالاة فيه. اللسان (نطع). ومنه الحديث المشهور: « هلك المتنطعون... ».

(2) : أحبرني الأمر: سرني. والحبور: السرور. اللسان (حبر).

(3) : البيتان وردا بغير نسبة مع اختلاف الرواية في :

- سبيل الرشاد في المحاورة بين ذوي الانتقاد والاعتقاد. لأبي العباس أحمد اسكيرج. المطبعة الجديدة - فاس 1358 هـ، ص 40-41.

(4) : عمر؛ من أشهر شعراء بني أمية، ورائد المدرسة الإباحية في الغزل (23 هـ / 643م - 93 هـ / 711م).

- وفيات الأعيان، 303/1. - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي - مصر. ط 2 1408 هـ - 1988 م. 240/1.

(5) : هارون(الرشيد) ابن محمد (المهدي) ابن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية. ولد سنة 149 هـ - 766 م. وتوفي سنة 193 هـ - 809 م.

- فوات الوفيات، 225/4 - البداية والنهاية، 213/10. - تاريخ الخميس، 331/2 - تاريخ بغداد، 5/14 - النزهة السنية، 81 .

لَيتَ هنداً أنجزتْنا ما تعد　　　　وشَفَتْ أنفُسَنا مما تجِدْ
واسْتَبَدَّتْ مرَّةً واحِدَةً　　　　إنَّما العاجزُ من لا يَستَبِدْ»[1]

والغريبُ، هو أنه ليس في البيتين معنى كبير، ولا هُما في خير الشِّعر وأرْوَعِه، بل عَادِيان. ولم يكن تأثيرُهما على الرّشيد ليبْلُغ هذا الحدَّ لولاَ الغناء وترجيعُ الأصْوات. ممّا دَفعَ الرَّشيدَ أنْ قال: «إنِّي عاجزٌ، إنِّي عاجزٌ»[2]. وذكَرَ سُلطانَ البرامِكة وقوّةَ نفُوذهِم، فكان ذلك سبباً في القضاء عليهم كما قيل.

وأيّاً ما كَانَ؛ فإنّه استطرادٌ لا بأس به من جهاتٍ: العدَد، والقافية من غير نظرٍ للإطلاق والتّقييد بل والبحْر.

نعمْ، تركْنا هُنا حكايةً أدبية لا تُلائم الجادّة. وهذا ما سمَحتْ به الجلسةُ. فخرجنا، وقد وجّه لنا السيد عبد الجليل استدعاءه غدَ اليوم بعد الزّوال. ثم ذهبنا مع الأخ العثمانيّ إلى داره ريْثما أَسْبَغْنا[3] الوضوءَ، وأدّينا ما وجَبَ، ثم خرجنا وبمعيَّتنا الزّميل ابراهيم، وطلبْنا عربةً تَنقُلنا إلى «أكْدال»[م]. وفعْلاً امْتطيناها، وطفقْنا نخْرقُ الأرض خَرْقاً، حتّى بلغْنا تلك البساتين. وما هي إلا جنّةٌ قد تزخرفتْ بالنّخيل والزيتون والأُترُجّ[4] وأنواع الفَواكه. تسيرُ بنا العربةُ في القسم ما شاء اللّه ضرورة أنها مُقسّمة حتّى أن لكل قسمٍ سورًا يحُوطه. والعجبُ الذي أخذ بألبابِنا ما هي عليه تلك الأشجار من الوضع الهندسيِّ طبْق ما نُشاهده اليومَ في الأَجِنَّة[5] الحكومية من [المسافة][6] التي بين الشّجرة والشّجرة، والسَّمْت المستقيم، بحيثُ إذا وقفْتَ مستقيماً أمام الشّجرة، يحتجبُ عنك ما عدَاها إلى حيثُ ينتهي البصرُ، ممّا دهشنا له في الزّمان الحالي. فكيف بهذا أيّام الربيع؛ أيّامَ تكونُ الأزهار متفتّحةً تستنشقُ الهواءَ، ونسيمُه الرّقيقُ يُرسِل شَذاها إلى الأنوف، فتهتزُّ الأرواحُ لذلك خِفَّةً ونَشَاطاً. وهذا

---

(1): شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الأندلس، ط 3 - 1403هـ - 1983 م. قصيدة رقم 155 ص. 325 - 321 - بهجة المجالس، 457/1.

(2): أنظر: - مقدمة ابن خلدون، ص 303 وما بعدها.

(3): أسبغ وضوءه: وفى كل عضو حقّه في الغَسل. اللسان (سبغ).

(م): معناه باللغة العربية: المرعى الخصيب. أما أكُشْدال؛ فمعناه المرعى الوبيل.

(4): الأترج: جنس شجر من الفصيلة البرتقالية، يسميه العرب «تفاح العجم» و «ليمون اليهود» لأنهم يحملونه في الأعياد.

- التداوي بالأعشاب والنباتات. عبد اللطيف عاشور. مكتبة القرآن القاهرة 1985م ص 15.

(5): مفردها جَنّة بفتح الجيم وهي الحديقة أو البستان. اللسان (جنن).

(6): في الأصل: المادة. ولعله يقصد المسافة.

ما تتمثّل فيه أجنّةُ غرناطة الخضراء، وبساتينَها النّاضرة الغرّاء، ولا عجبَ، فهي دمشقُ الغَرْب، تنْهمر مياهُها، وتبتهج أنواراً وأزهاراً، فما أحْرَى حمراءَ الجنوب أن تشاركَ حمْراءَ الشّمال فيما وصفَها به ابنُ جُبَير[1] في رحلته إذ يقول: [مجزوء الرمل].

يا دمشْقَ الغرب هاتيكَ (م) لقد زدْت عليْها
تحتكِ الأنهارُ تجْـــري وهْيَ تَنْصَبُّ إليْها[2]

وعندئذ، خامرتْنا رؤيةُ ذلك بخمْرتها العذْبة حتّى ما ندري أين نحنُ ؟ أفي الدُّنْيا، أم في جنّات عدْن[3] ! وما انتهيْنا إلا عند حوْضٍ فخْمٍ كحوض المَنارة أو أعْظَم[4] . وهو الحوْض [45] الذي قضَتْ بعض الأرواح نحْبَها فيه غرَقاً. تلك الرّوح الطّاهرةُ، والنّفسُ الزّكيّةُ من رجال ملوكنا العلويين. وبينما نحن نردّدُ النّظَرَ إلى الصّهْريج؛ وإذا ببصرنَا يقعُ على زوْرَقٍ يُكْتَرى لمن يريد الرّكوبَ فيه بثمن 10 فرنكات للسّاعة الواحدة. فنزلنا به عَدا الأخ العثمانيّ، فقدْ تأخّر ظنّاً منه أنّنا لا نحسن سَوْقَه، فتناولتُ المِقْدافَيْنِ وجعلنا نَمْخُرُ الماء مَخْراً حتى شارَفْنا الطّرْفَ المقابِل، فرجعنا بسَلامٍ في مدّة ربُع ساعةٍ وصعِدْنا. ثم شاهدْنا المرْكبَ الذي أهْدتهُ الدّولة التّركية إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. نَعَمْ، قال بعضُ الإخْوانِ : إنّ الدّولة الفرنسية هي التي أهْدتْهُ، ومَنَعَنا من تحقيق ذلك، غروبُ الشّمس، والظّلام جعل يُخيّم، وبالأخصّ، البيتُ الذي به المركبُ، وإلاّ فمكتوبٌ عليْهِ : المهديُّ، والتحقيق الأوّل. والأمر سهْل.

---

(1) : محمد بن أحمد : رحالة وأديب. ولد ببلنسية سنة 540 هـ - 1145م، وتوفي بالأسكندرية سنة 614 هـ - 1217 م.
- شذرات الذهب، 60/5 - نفح الطيب، 515/1.

(2) : البيتان لابن جبير في وصف غرناطة «دمشق الأندلس»: - نفح الطيب، 392/2.

(3) : عدن بالمكان عدناً وعدوناً: أقام به. ومنه قوله تعالى: «جنات عدن» التي تكررت في القرآن إحدى عشرة مرة بمعنى جنات إقامة. والإشارة هنا في النص إلى ما ذكر في القرآن الكريم مما وصفت به هذه الجنة من طيب المسكن والأنهار الجارية وغير ذلك.

(4) : يقول العباس بن ابراهيم متحدثا عن البرك والأحواض والصهاريج : « ... وبنى فيها وخارجها صهريجين عظيمين كنا في تلك المدة نعوم فيهما، فلا يكاد القوي منا يقطع الصهريج إلا عن مشقة. وكنا نتفاخر بذلك.. ».
أنظر هذا النص وباقي الأخبار عن صهريج آخر أعظم مما سبق ذكره :- الإعلام بمن حل مراكش، 58/1 - 59.
ويقول في موضع آخر متحدثا عن سيدي محمد بن عبد الرحمان وما قام به من إصلاح لإحدى هذه البرك بعد ما تعطلت نتيجة امتلائها بالطين: «وأعظمها البركة الكبرى التي بدار الهناء، وكان يقال لها البحر الأصفر وطولها اثنتا عشرة مائة قدم وعرضها تسعمائة قدم... » [وهذه غيره بركة حوض المنارة]. - الإعلام بمن حل مراكش، 376/1 - 377.

وأثناءَ هذا تناولنا مبرِّداً (الـمُنادَة)[1] ، ثم عُدنا إلى المدينة . نعم؛ قبل أن نَخْرُجَ لهذه المناظر النَّاضرة، ذهبْنا لمدرسة ابن يوسف المعروفة قديمًا بالمدرسة المرينيّة، تلك المدرسَة الّتي تَبْهَرُ برقّة نَقْشِها، وبديع صُنْعها . المدرسةُ التي تتجلّى فيها مَدنيَّةُ المرينيين وحضارتُهم وما بلَغُوه من الحِذْقِ في الفُنون حتّى أنها الدولةُ الوحيدةُ في التّرقيق والتّحسين. فللّه درُّك يا أبا الحسن وماخلّدْتَه،قال في الاستقصاء :[«] ومن وقَفَ على هذه المدرسة، وتأمَّلَ تَنْجيدَها[2] [وَتَنْسيقَها][3]، قَدَّر قدْر هذا السّلطان، وعلِمَ عِظَمَ [همّته][4] ومحبّتَه للعلْم وأهله[»][5] .فجعلْنا ننظُر بعيْن الاعْتبار في تلك الآثار، والأسفُ يعملُ فينا أعْماله لما هو مَاثِلٌ أمامَنا من نُقوشٍ أثَرية مُتهدِّمة الأطراف مما تنْفطرُ له أكباد العُقلاء. وأمّا الأوساخُ والأزبالُ بجميع أصْنافها. فمنْ هُناك توزّعُ. والذّنبُ يَرجع لإدارة الآثار ورجالِ الحمْراء، إذ كيفَ تطيب نفوسهم لرؤية هذا الأثر الخالد على هاته الصفة المشوهة حتى أن إدارة الآثار لو تنازلت للأحباس عن ذلك، لقامت بالإصلاح حسب ما يظهر، وإلا فويل لأمة لا تعنى بآثار أسلافها، بل تعملُ على هدْم ما خلّدهُ الآباء من عَظمَة.

ثم نزلْنا من أعلى المدرسة إلى مسجدها، والأمرُ بعينه ما سَلف من هدْمٍ ووسَخ، حتّى حوضه الذي بالصَّحْن على حالة سيّئَة لا ماء للطّهارة لما هو جارٍ من إصلاح الواد . وبالصَّحْن شاهدْنا دَلاَلَة[6] الكُتب وبيْعَها بالمزايَدَة فيها بيْن الطَّلبة . وفوراً، اندفعتُ أزيدُ في مصحَفٍ خَطِّيَ ظنّاً منّي أنّه قديـمٌ، فإذا هو بخطِّ السَّنَة الحاضرة. فتخلّيت عن المزايدَة بإشارةٍ منْ بعضِ الإخْوان. ثُمَّ لا تكادُ تسمَعُ إلاَّ النّخَّاسَ[7] رافعاً صَوْتَـهُ قائلاً : سيّدي مُسْلم 10 فرنكات . والآخر: القْويسْني[8] 2 فرنْكين.[46] وذاك : سيدي الـخُرْشي[9] بمائة فرنك (100)، وهكذا مِمَّا أضْحَكُ له تارةً، وأحْبِسُ النَّفسَ أُخْرَى .

---

(1) : معربة عن كلمة : Limonade

(2) : التنجيد : التزيين اللسان (نجد).

(3) : في الاستقصا: تنميقها ج 175/3

(4) : في الاستقصا : أهميته. 175/3

(5) : الاستقصا، 175/3.

(6) : الدلالة بكسر الدال وتشديدها هي : الدّلالة بفتح الدال وتشديدها: اسم لعمل الدلال. والدلال الذي يجمع بين البيعين. المعجم الوسيط (دلل).

(7) : النخاس: بائع الدواب والرقيق، وتعني هنا الدلال.

(8) : يشير هنا إلى دلالة أحد الكتب التي كانت متداولة ولعله كتاب: «شرح السلم المرونق في المنطق للإمام الأخضري» تأليف حسن القويسني الشافعي. ت 1254 هـ.

(9) : الإشارة إلى مؤلف محمد بن عبد الله الخرشي، ت 1101 هـ المسمى «شرح لفرائض الشيخ خليل».

وبعْدَ لحظة انْصرفْنَا للمناظر السَّالف ذكرُها. ولمْ نلبثْ أن انْثنيْنَا نؤُمُّ مسجدَ المواسين[1]؛ الجامع الضَّخْم الذي أسَّسهُ[2] السّلطان عبد اللّه السّعدي[3]، كما أنشأ السّقاية العظيمة[4] الواقعة إزاءَه. وتدنُو منها سقاية باب دكّالة وتُماثلُها. وأذّينا به المغربَ، ثم جُلْنا في أبهائه بُرهةً. فهنيئاً للموَاسين وسُكّان حيّها بهذا البيت المقدّس. وللّه درّ الشّاعر: سُليْمان بن ابراهيم بن سُلَيْمانَ إذ يقول[5] فيهم: [بسيط].

بالله إن وطئَتْ مرّاكشاً قدمُك وجُزتَ يوماً علَى تلكَ البَساتين

ألاّ تُقدّمَ أمراً قد هممتَ بـــه حتّى تُحَيِّيَ سكّان المواســين[6]

ومنها: الزَّميلُ العُثمانيُّ.

وفي عشيَّة اليوم، أثناء ذَهَابنا (لأكدال)، دخلنا مَسْجدَ[7] المنصورالموحّدي[8]: باني رباطنا[9] سنة 593 هـ. ويُرمَزُ لذلك ب(ثضج)[10] نَعَمْ، بنى مَسْجدَه هذا عام 591 هـ: إحدَى وتسْعينَ وخمسمائةٍ قبلَ الرّباط بعامين، بوصيّة منه رحمةُ الله عليه، حين ذهبَ إلى

---

(1): التنبيه المعرب 150/1 ـ الإعلام بمن حل مراكش، 96/1 رقم 125.

(2): أنظر: ـ الإعلام بمن حل مراكش، 286/8.

(3): سبقت ترجمته.

(4): أنظر: ـ الإعلام بمن حل مراكش، 286/8. وقد نظمت فيها أشعار أنظرها في: ـ مراكش في الشعر العربي، ص 167.

(5): البيتان ليسا لسليمان آنف الذكر، وإنما لأخيه آتي الذكر.

(6): البيتان لعلي بن سليمان بن عثمان التاملي، صاحب المظالم عند السلطان أحمد المنصور السعدي، كان حيا سنة 999 هـ ـ 1090م. ـ الإعلام بمن حل مراكش 188/9 مع اختلاف في روايتهما. ويقصد بسكان المواسين: حي المواسين. وهو من الأحياء القديمة بمراكش. ـ مراكش في الشعر العربي، ص 22.

(7): يسمّى هذا المسجد: مسجد القصبة، ويعرف بالمنصور، وبجامع المنصور. ـ الإعلام بمن حل مراكش 265/10.

(8): أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي الموحدي. لقبه المنصور: ثالث ملوك دولة الموحدين. ولد سنة 555 هـ ـ 1160 م، وبويع سنة 580 هـ ـ 1184م، وتوفي سنة 595 هـ ـ 1198 م.
ـ الإعلام بمن حل مراكش، 264/10 ترجمة رقم 1617ـ جذوة الاقتباس، 555/2، ترجمة رقم 647 ـ الأنيس المطرب، ص 316.

(9): يقصد مدينة الرباط. ـ الإعلام بمن حل مراكش، ص 229 و 269 ـ الاستقصا، 195/2 ـ مقدمة الفتح، ص 22 ـ رباط الفتح، ص 28.
- la ville de Rabat jusqu' au protectorat français : CAILLE (J) :
Histoire et archéologie. Paris- vanoest. 1945. T : 1 P : 67.

(10): ثضج تساوي في حساب الجمّل عند المغاربة 593: ث = 500، ض = 90، ج = 3.

غزاة الأرَاك[1]؛ تلكَ الحربُ العظيمةُ الّتي كان الانتصار الباهر فيها للإسلام. وعندما ما عاد من الوقعَة مظفَراً منصوراً كلقبه، دخل المسجدَ، فاعجبَهُ وسرّ به. فسأل عن أبوابه، فقيل له: إنّها سبْعة، والبابُ الّذي يَدخلُ منه أميرُ المؤْمنينَ هو الثّامنُ[2]: [طويل].

فما هي إلا جَنّةٌ قد تزخرفتْ ... ألمْ تنظرِ الأبوابَ فيها ثَمانيةْ[3]

فقال حالاً: [«] لا بأسَ بالغالي إذا قيلَ حَسَن[»][4]. وحقاً؛ إنّهُ من الفَخامَةِ والضَّخامة ما لا يُنكَر، حتّى قيلَ: كان [بالمقصُورة ستارٌ مُلوكيٌّ][5] يَرتفعُ عندَ دُخول الملِك، وينزلُ أسْفَلَ إذا خرج بحركاتٍ هندسيّةٍ، وبكلّ حسْرة، اندثَر. وإليه يُشيرُ الكاتبُ الأديب: أبو بكر مُجبر الفهري[6] يوم الفراغ منه: [كامل].

طوراً تَكُونُ بما حَوَتْهُ مُحيطةً ... فكأنّها سورٌ من الأسْوارِ

وتَكُونُ طوراً عنهمُ مخْبوءةً ... فكأنّها سرٌّ منَ الأسْرارِ

وكأنّمَا علمتْ مقاديرَ الورَى ... فتصرَّفتْ لهمُ على مقْدارِ

فإذا أحسَّتْ بالإمامِ يزُورُها ... في قوْمِه، قامتْ إلى الزُّوَّارِ

---

(1): أنظر ما يتعلق بهذه الغزوة وأسبابها ونتائجها: ـ المعجب، ص2.2 وما بعدها. ـ الأنيس المطرب، ص225 الإعلام بمن حل مراكش، 265/10 ـ الاستقصا، 185/2 وما بعدها.

(2): أنظر هذا الخبر في: ـ الاستقصا، 2/ 195 - 196.

(3): أنظر: ـ النسمات الندية من نشر ترجمة الإمام أبي العباس أحمد دنية. لمحمد بن علي دنية. المطبعة الاقتصادية. الرباط 1355 هـ ص4 (غير منسوب). ويشبه هذا قول الشاعر يصف مدينة دمشق: [مجزوء الرجز].

دمشق في أوصافها ... جنة خلد راضيةْ

أما ترى أبوابها ... قد جُعلتْ ثمانيةْ

أنظر أسماء أبواب دمشق الثمانية في: ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت 727 هـ) تحقيق إحسان عباس. مكتبة لبنان ـ 1975 م. ص 240.

(4): الاستقصا: 196/2. وقد وردت هذه العبارة في بيت شعري أورده صاحب السلوة، 225/3:

ليس لما قرت به العين ثمن ... لا بأس بالغالي إذا قيل حسن

وفي هذه مذاكراتي للجراري، 24/2. وقال: (البيت).

(5): في الأصل: كان به ستار ملوكي مقصورة.

(6): يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهري نشأ بمرسية، وكان في وقته شاعر الأندلس والمغرب، توفي بمراكش (553 هـ ـ 1140 م/ 588 هـ ـ 1192 م).

ـ الإعلام بمن حل مراكش، 206/10 ترجمة رقم 1588-84/1 ـ أعلام الزركلي، 152/8.

يبْدو فتَبْدو، ثم تَخفى بعدهُ   كتكَوُّنِ الهَالاَتِ للأقمَارِ[1]

وقد ذكر الشّهابُ المغربيّ[2] في نفحِ الطِّيب، أنّه وقف عليْها سَنة عشرة وألف مُعطّلة الحَركة[3]. والستّار هذا، يقال: إنه من مُخْترعاتِ العبّاسيين لما كثُرت فيهم القلاَقلُ والفتنُ، اتّخذوا ذلك خوْفاً على مُلوكِهم.

أَجَلْ، فقبْل أن نصلَ إلى المسجد، مَرَرْناَ بِمَدْفنٍ تزعُم النّاسُ أنّه مدْفن ذلكَ الشّهْم العَظيمِ، والبطلِ الإسلاميِّ الخَالد؛ مُؤَسّس هاته الحضْرة[4] كما أسلفْناه. والغريبُ أنّ قبْره مُهْمَلٌ، ليسَ عليه ما علَى غيْرِه، ويا مَا أكثَرَ [47] قببَهم. بل أخْبرني أحَدُ الأصْدقاء الثّقات أنّ أوربّياً سائحاً، اعْتَلَى بعضَ المُرتفعات وأبصَر أضْرِحةً وقباباً شاهقة غير مدفنِ صنْديدٍ لُمتونة وبطلِها، ممّا دفعه للعجبِ والاسْتغراب بكلّ معناه. وأخْفى في نفسه وخوالجه من [عدم] اهتمامنا برجَالنا ما شاءَ لهُ علْمه، وأوْحتْ به عظمةُ الرّجل وتاريخُه الذّهبيّ. وللّه درُّ الفقيهِ أبي محمد حامد إذ يقولُ فيه: [كامل].

مَلِكٌ لهُ شرفُ العُلاَ منْ حمْيَرٍ   وَإن انتموْا صنهاجةً فهمُ هـمُ

لَمَّا حَوَوْا أحوازَ كلِّ فضيلةٍ   غلبَ الحياءُ عليهمُ فتلثّموا[5]

فمنَ الممكنِ أن يكونَ سببُ الإهمال، ما يُقال إنّ مدفنَه خارجَ المدينة واللّه أعلمُ.

وإثرَ هذا، همَمْنا بزيارةِ مقبرةِ الأشراف السّعْديِّينَ رَحمهمُ اللّه. ومن سوءِ الحظّ، أَلفيْنا باب المقبرةِ مُغلَقاً، ورجعْنا لحضورِ بعضِ الدّروس اللّيليّة. فذهبَ بنا الصّديقُ إبراهيم إلى

---

(1): ـ نفح الطيب، 239/3 ـ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لابن السماك العامري. (أندلسي ق 18 عشر) تحقيق سهيل زكّار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء، ط 1 - 1399 هـ/1979 م. ص 145 ـ الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا. لأبي القاسم الزياني. تحقيق وتعليق عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة ـ الرباط، ط 1412 هـ 1991 م. ص 538 ـ الاستقصا، 196/2. وفيه: الهلالات للأقمار. مراكش في الشعر العربي، ص 13.

(2): أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني: خطيب وأديب وصوفي. ولد بتلمسان سنة 986 هـ ـ 1578 م، وتوفي سنة 1041 هـ ـ 1631 م. ـ التقاط الدرر 94. فهرسة حديقة الأزهار، 141/1 - 142. ـ معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض. منشورات المكتب التجاري، بيروت. ط 1-1971 م. ص 42.

(3): نفح الطيب، 239/3. وأنظر كذلك: ـ الاستقصا، 197/2.

(4): يقصد يوسف بن تاشفين، أنظر: ـ الاستقصا، 24/2.

(5): ينسب هذان البيتان كذلك لأبي بكر يحيى بن سهل اليكي ت 560 هـ 1164 م. كما في النفح، والمغرب لابن سعيد وغيرهما أنظر: ـ نفح الطيب، 205/3 ـ الأنيس المطرب، ص 137. ـ تغريد العندليب على غصن الأندلس الرطيب ليوسف بن محمد الميلودي المعروف بابن الوكيل (ت بعد 1114 هـ) ص 322.

مسجد (حارة الصُّورة) السيّد أحمد أكرَام[1]، يُدرِّس البُخاري، وهو أكبرُ محدِّثٍ هنَاك كما يُقَالُ. إذ لَهُ وُلوعٌ بالسُّنة كبيرٌ. نعم، لا بأس بتَقريرَاته، يشْرحُ الحديثَ، ثمَّ يدْفع ما يردُ ويُعارض بتُؤدَة، وأمامَه جمٌّ غفيرٌ من العوَام سوى قليلٌ من الطلبة. فرافَقنا الدَّرسُ الحديثيَ إلى العشاء. وعندما شَرَعَ المؤذّنُ يُعلمُ، سادَ الصَّمتُ شاملاً القارئَ والمقْرئَ. فوقَع في نفسي ممَّا خُيِّل لي أن سمْعيَ قد ثَقُلَ، فلفَتْتُ نظري يميناً وشمالاً، فإذا هِي الحقيقةُ، والمدرِّس نفسُه على كرسيِّ الدِّراسة [يشْتغلُ][2] بحكاية المؤذّن.

أجلْ، لم أُوافقْ في هذه الجزئية أن يتْركَ الإنسانُ واجبَ الدَّرسِ، ويشتغلَ بالحكاية. وقُصارَى أمرِها النَّدبُ وأنّى لها التَّقديـمُ على الواجب ؟ إذْ طالَما حضرْنا دروسَ غيرِ مَا أستاذٍ من فطاحلِ العلْم وجَهَابذَته، وما شاهدْنا ولا واحداً انتقلَ للْحكاية واقفاً[3] الدَّرسَ. على أنّه من الجائزِ أن يكونَ الفقيه مشتغلا بحلِّ مسألةٍ طويلة الذَّيل، آخذاً بعضُها [بحُجَزِ][4] بعضٍ، وقد جُعلتْ أبوابُها تتفتَّح[5] وقتَه، يعمدُ إليها قاطعاً، وبما تعلَّق بها حقّ من الحُقوقِ يفوتُ بالوقتِ والقطع، وعلَى كل حالٍ، [استغربت][6] ذلك، مع العلْم بمُطالَبَة مريد [التنفل][7] بالاستماع إلى الدّرس.

ثم أدَّيتُ العشَاء، وذهبْنا نؤُمُّ المنْزلَ المعْهودَ، فطرقْناه وصعدْنا الغرفة، وبكلٍّ أسفٍ، وجدْنا السَّيِّد قد نامَ. فاستبْقَيناه بواسطَة خادمَة، ونمْنا مُبيِّتينَ على الإفاقة في الوَقْت، رجاءَ الحضورِ في الدُّروسِ العلميَّة التي تَبدأُ لدى السَّاعة [ ][8] في الكلِّية اليوسُفيَة عمَّرها الله.

أجلْ. فما استَيْقظْنا، ويا للأسفِ إلاّ وقدْ مضَى الوقتُ، مُتَألِّمينَ. بيْدَ أنّنا خَفَّفنا الوطأة

---

(1) : أكرام : أحمد بن محمد (فتحا)، بن محمد عبد الكريم اليعقوبي صاحب مدرسة حرة بمراكش افتتحها سنة 1355 هـ - 1936 م . وساهم في بعض الأعمال الاجتماعية (1302 هـ 1884م/1376 هـ 1956م) - معلمة المغرب، 610/1 .

(2) : في الأصل يشتغلون. التصويب من : - هذه مذكراتي، 26/2 .

(3) : وقف أفصح من أوقف وفي القرآن الكريم : وقفوهم إنهم مسؤولون .

(4) : يقال هذا كلام أخذ بعضه بحجر بعض : أي متناسق ومتماسك ج حُجَز بضم الحاء وفتح الجيم . (والكلمة غير واضحة في المخطوط) - المعجم الوسيط (حجز) .

(5) : يقصد أبواب المشكلة التي يعالجها، يريد القول : إنها بدأت تتضح .

(6) : في الأصل : فاستغربت .

(7) : أي الذي يريد أداء صلاة النافلة. في الأصل : المتنقل.

(8) : بياض في الأصل.

بالإرجاء للغد : (ما أضيَقَ العيشَ لولاَ فُسحةُ الأملِ)[1]. وبينَما ثُمَّتَ[2] أعمالُ الصَّباح، حَضرَ السَّيِّدُ وطَفِقْنا نَتَبَاحَثُ بعدَ ما سألَنَا عمَّا شاهدْناه بالأمسِ. غيْر أنَّها مرّت مذاكراتٌ فَارغةٌ؛ إذ دارتْ حول شخصيات قاصرة [48] على أهلها. وليستِ المباحثُ الاجتماعيةُ شيئاً ما لمْ تكن ذاتَ غناءٍ لهُ قيمتُه في المُجتمع.

ثمَّ استَأْذنَّا في الخُروجِ، وذهبْنا نريدُ الزَّميلَ: إبراهيمَ بمدرسته فدخلْناها. وملأْنا الوقتَ بحديثٍ عن سيْر المدرسةِ. وحالاً قدّم لنا برْنامجَ الطَّبقاتِ، فكانَتْ أربعةً. وبعد فحْصِنا، وقعتْ منَّا موقعَ الاستحسانِ لاَ ما يُنتقَد منْها.

الفنونُ الَّتي بالبرنامج:

القرآنُ أولاً، والتّوحيدُ، والفقهُ، والنَّحوُ، والحسَابُ، والتَّأْريخُ؛ لا في كلِّ الطَّبقاتِ، والخطّ، والمحفُوظات نظماً ونثراً؛ وفي ذلك قِطع أدبيَّة، وأناشيدُ عربيَّةٌ تسرُّ.

وعقبَ هذا، اقترحتُ عليْه رؤْيةَ بعضِ التَّلاميذ. فحضَّرَ[3] ليَ تلميذاً نَجيباً. فخُضتُ معَه شيئاً ممَّا يُدرَّس، فكانَ يُجيب بكلِّ اطمئنانٍ حتَّى في مَبادئِ التَّاريخِ المغربيِّ. ثم ختَم لنا بتلاوة القرآنِ، فسرُرْنا بذَكائه رغْمَ حداثَة سنِّه. ثم قُمْنا بزيارة بعضِ الأقسَام، وجَعلْتُ أُباحثُ تلاميذَه في الكلاَم والعربيَّة، فكانُوا في أجْوبتِهمْ كما يُظنُّ باجْتهادهم.

وجملةُ ما بهذه المدرسةِ (الإلغيَّة) من التَّلاميذ: ما بيْنَ السِّتّينَ [و][4] السَّبعينَ. ولهمْ من المعَلِّمينَ ثمانيَّة : أرْبعةٌ لدروسِ القُرآن، وأرْبعة للدُّروسِ العلميَّة. وأخيراً عادَ التَّلاميذُ إلى مقاعدِهم، وأنشدتْ كلُّ طبقة أناشيدَها المختارةَ في الحثِّ علَى العلْمِ، في الحثِّ على برّ الوالدين، في التَّحريضِ على مُلازمَة المدرسَة واحترامِ مُعلّميها، في بعثِ العواطف صوْب محبَّة البلاد والذّود عن شرَفها.. وهكذا، ممَّا أدخل علينا السّرورَ، شاكرين الأستاذ إبراهيم على خدَماته الغالية نحو النّشء المرجَّى. وممّا زادنا إعجاباً بأدبه ورقّته؛ أن جاء وقتُ

(1) : شطر شعري من لامية العجم. للطغرائي وتمامه :

أعلّل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيقَ العيش لولا فُسحة الأمل

- المجموع الكبير في المتون فيما يذكر من الفنون . دار الفكر، ط 3 .1408 هـ - 1988 ص 537 - فتح المعجم من لامية العجم : شرح محمد بوجندار. مطبعة جريدة صدى المغرب، الرباط . 133.4 ص 16 .

(2) : ثُمَّت : بضم الثاء وفتح الميم مع الشدة أصلها ثم التي هي حرف عطف يدل على الترتيب وتلحقه التاء المفتوحة فيقال : ثمت ويوقف عليها بالتاء. المعجم الوسيط (ثمم).

(3) : حضر بتشديد الضاد بمعنى : هيأ وأعد.

(4) : في الأصل : إلى.

ذهابه، فلا تسمعْ منه سوى: السّلام عليكم، السّلام عليكم. ويعلم اللّه حُبُورنا بهذه [النّابتة][1] المتنوّرة. حقّق اللّه الآمال.

وبيْنَمَا نحنُ نتهيأ للصّلاة؛ إذْ طلع شابَ من أولاد الديُوري، يريدُ الأستاذ إبراهيمَ، وهو من الشّباب الذي يدرُس بمدرَسة فرنسيّة (ليسي). نعم، بعدما تعرّفتُ [إليه][2]، حدّثته حوْل العربية وفضْلها إذلا ذكْر لها بمدرسته. واقترحتُ عليه الاجتهادَ فيها ضرُورة أنّها لغَة دينه وكتابه وأمّته، تلزَمه العنايَة بها قبلَ غيْرها. فكَمْ نرَى من أبناءِ أورّبا يعتنُون بدرْسِ لغة الضّاد، بل لهمْ فيهَا الشّهادات في حين، نَرَى فيه أبناءَ قوْمنا، أبْناءَ العروبَة يلقون بهَا وراء ظهورهم. وهذا وربكم الصَّغار[3] بعينه. يعمد الأجنبي إلى لغتك ولسان أمتك، ويستغل لذتها، ويَسْتمدّ النّصائح والقَوانينَ من دستورِها وقد قتلْتها جهْلا. لا، فانهض بلسَانكَ العَرَبيِّ قبلَ كلِّ شيءٍ، ومجال غيره مفْتوح في وجْهكَ. فلتكن رجلاً كاملاً (فكل لسَانٍ في الحقيقَة إنْسان) [49] ثمَّ خرجْنا نريدُ السوقَ لاقتناءِ بعضِ المصنوعات الوطنيَّة الَّتي أخذ صنْعها بنُفوسنا. في هَذا الظَّرف [أدركتنا][4] العصْرُ فأديْنَاها بمسجد الحنَّاء[5]، وهو مسْجدٌ من الصُّنع الجميلِ بمكانٍ يرتكزُ بناؤُه على قوَاعدَ أرْبَعةٍ، كمسْجد القُبَّة[6] عنْدَنا بالرّباط. ومنه خرجْنا نلبّي دعوةَ الفقيه المدرِّس؛ السَّيِّد عبْد الجليل[7] بن القزيز(م). وعنْدَمَا بلغْنا الدّربَ، وجدْناهُ في طورِ الإصلاحِ. نعمْ، قاسَيْنا الشِّدَّةَ في المرُور، حتَّى بلغْنا البيتَ، وألفيْنَا السَّيِّد بالباب ينتظرُنا بفارغِ صبْر. فسُرَّ بمقدَمنا، وأظهرَ من الحفاوة ما لاَ مزيدَ عَلَيْه، وأدْخلَنا مبتهجاً مسروراً. فجلسْنا بمكانٍ باردِ الهوَاء، والحَرُّ ناشرٌ لفَحَاته. وما هي إلاَّ هُنيْهةٌ حتَّى حَضَر باقِي الإخْوان مَا عَدا الأستَاذ المخْتار، فقد تخلَّف مُعتَذرًا بتلبيَّة دعْوة بعضِ القُضاة، فكانَ عذْرا أقبَح من الزَّلة.

---

(1) : غير واضحة في الأصل.

(2) : في الأصل : به

(3) : الصغار من صغر بفتح الصاد وضم الغين، وهو الرضى بالذل والضعة. اللسان (صغر).

(4) : في الأصل : أرهقتنا

(5) : ويعرف بمسجد سوق الحناء ـ الإعلام بمن حل مراكش، 96/1.

(6) : الواقع بتحت الحمام ـ ورقات في أولياء الرباط، ص 60 رقم 9.

(7) : ولد بمراكش سنة 1318هـ ـ 1900 م وبها توفي في التاريخ الذي أشار إليه المؤلف ـ معلمة المغرب، 1357/4.

(م) : توفي يوم الأربعاء 22 جمادى الثانية 1387 موافق 27 شتنبر سنة 1967.

فنشطنا إلاَّ قليلاً، لتَغيُّب الأخ عنَّا. فراحَ حديثُنا فيمَا يعرض من المسائِل لا علَى تهييئ واستعداد، منْها : تحيةَ المسْجد حالةَ الدَّرسِ، هلْ تسقُط أم لاَ ؟ فقلتُ بإسقاطِها، وقالَ الأخُ بالعكسِ حتَّى بلغَ بنا الحال أنَّنا نكتبُ في القضيَّة جميعاً.

أمَّا تحيةُ المسجد، فمَا كنَّا لننكرَ أنَّها حقٌّ من حقوقِ اللَّه تعالى؛ إذ معنا تحية رب المسجد، حتَّى أنَّ مُريد زيَارة روْضَته وقبْره عليْه السّلام، يُقدِّمها على الزِّيارة، تقديمًا لحقِّ الخَالق على المخلوق. يقولُ [خليل][1] الفُقَهاء : [«] وبدئ بها بمسْجد المدينة قبلَ السَّلام عليْه، صلَّى اللَّه عليه وآله][2] وسلَّم[»][3]. وأنتَ خبيرٌ بقوله عليْه السَّلام : « إذا دخلَ أحَدُكم المسْجدَ، فليركع ركعتين قبل أن يجلس »[4]. والحديثُ رواه الجماعةُ [عن][5] طريقِ أبي قَتادَةَ[6]، حتَّى قالَ الشَّافعي[7] بالوجوب[8] حمْلاً للأمر علَى اللُّزومِ كما يقولُ الأُصوليّون، والإمامُ في مقدِّمتهم وواضعُ أسسهم (نعمْ لنا أدلَّة قاطعةٌ لدعْوة الوجوب، فلاَ أطيلُ بها). ويكفي :[«] هل عَليَّ غيرُها ؟ قالَ : لاَ، إلاَّ أنْ تَطوَّع [»][9]. وكلٌّ هذا يعضدُ جانبَ السَّيِّد حتَّى قالوا بعَدمِ سقوطِها بالجلوسِ وهكَذا. ولا يخفَى علَى مُسْلم ما لطلَب العلْم من الأهميَّة حتَّى حرروا ما نشَأ عنْه الوُجوبُ. ووردَ عن الشَّارعِ الأعظَمِ، صلواتُ اللَّه عليه : « طلَبُ العلمِ

---

(1) : رمز إليه في الأصل بحرف الخاء (خ)

(2) : تكملة من المختصر لا توجد في المخطوط.

(3) : مختصر خليل. فصل : ندب نفل ص 38

(4) : سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، باب من دخل المجلس يجلس حتى يركع 324/1، حديث رقم 1013. ـ البلغة في أحاديث الأحكام، ص 54، حديث رقم 130. ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، 299/2.

(5) : في الأصل : من.

(6) : أبو قتادة : الحارث بن ربعي الأنصاري، من الصحابة ت 54 هـ ـ 64 م. ـ شذرات الذهب، 60/1 ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) تحقيق: طه محمد الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط 1، 1396 هـ 1976 م. 158/4.

(7) : محمد بن ادريس الشافعي، أحد الأئمة الأربعة (150 هـ ـ 767 م 204 هـ ـ 819 م). ـ تذكرة الحفاظ، 361/1. ـ صفة الصفوة، 248/2. ـ طبقات الحفاظ، لجلال الدين السيوطي. تحقيق علي محمد عمر. مكتبة وهبة، القاهرة. ط 1، 1393 هـ ـ 1973 م. ص 152.

(8) : أنظر مناقشة الشافعي لهذه القضية في كتاب : ـ الأم. طبعة مصورة بولاق 1321 ; 175/2.

(9) : عن طلحة بن عبيد الله قال : جاء رجل الى رسول الله (ص) من أهل نجد، ثائر الرأس، يسمع دويّ صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله (ص) فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله (ص) : « خمس صلوات في اليوم والليلة » فقال : هل علي غيرهن ؟ فقال : « لا إلا أن تطوع. وصيام شهر رمضان » فقال : هل علي غيره؟ فقال :« إلا أن تطوع ». ـ تلخيص صحيح الإمام مسلم، لأحمد بن عمر القرطبي (598 هـ 656 هـ)، تحقيق رفعت فوزي، وأحمد محمود الخولي، دار السلام للطباعة، ط 1-1409 هـ 1988م، ج 1، ص 51. (كتاب الإيمان، باب وجوب التزام شرائع الإسلام).

فريضةٌ علَى كُلِّ مسلمٍ»[1] . رَواهُ ابنُ ماجَةَ[2]، وابنُ عبد البرِّ[3] في العِلْمِ[4] له منْ حديث حفْص بن سليْمانَ[5] عنْ أنَسٍ مرفوعاً[6] بزيادة : وواضعُ العِلْم عندَ غير أهْله، كمقلِّد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب. ويتأكّد الطلَب ما كانت العلومُ دينيةً محضةً لاسيَّما معلُومات الشعَائر الخمْس الّتي يجبُ وجوباً حتْميًّا على كُلِّ المسْلميَن أنْ يَعْلَمُوا ما لَزمَهُم منْها، وما لَمْ يلْزَم، وما تَصِحُّ بِه، وما لاَ، ومَا يُمْكنُ تدارُكُه وترقيعُه، ومَالا. بل جاءَ الحديثُ المذكورُ بلفْظ : طلبُ الفقْه حتْمٌ واجبٌ علَى كلِّ مُسْلمٍ من طريق عنْ أنَسٍ. وغيرُ بعيد، أنّنا ما خُلقْنَا [50] إلاّ للعبَادَة، والمعبُودُ اللّه الّذي لا إلاهَ غيرُه. ثمَّ؛ هَلْ تصحُّ عبادَةٌ عنْ جهْلٍ ؟ كلاّ، فمعرفتُه ـ جلّت قدرتُه ـ سابقةٌ على كلِّ سابقٍ. وإذا رُمْت أيُّها المسلمُ عبادةَ خَالقكَ، وأنتَ تَجْهَلُهُ فخورٌ ووهَنٌ ليْسَ إلاّ لهذا المدلُول. يقولُ علماءُ الكلاَم: إنَّ المعرفةَ أوّلُ ما يجبُ أنْ يُعلَم، قال سبحَانه : ﴿فاعْلَم أنّه لا إله إلاّ اللّه، واستغفرْ لذنْبكَ﴾[7]. وهلْ ينكرُ عاقلٌ أنَّ طلبَ العلْمِ عبادةٌ ؟ بل إنّه عبادةٌ من العبَادات. فقَدْ جاءَ عنِ الصَّادق الأمين صلَواتُ اللّه عليه :[«] إنَّ الملائكَةَ لتضَع أجْنحَتَها لطالبِ العلْم رضىً بما يَصْنَع [»][8]. رواه أحْمدُ[9] وابنُ حبّان[10] والحاكمُ[11] وصحَّحه من حديثِ صفْوان بنِ [عَسَال][12]

(1) : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، 10/4 .

(2) : سنن ابن ماجة، باب فضل العلم . 81/1 حديث رقم 224 .

(3) : يوسف بن عبد الله البر النمري القرطبي، مؤرخ وحافظ للحديث (368 هـ 978 م/ 978 م/ 463 هـ 1071 م) . ـ تذكرة الحفاظ، 407/3. ـ وفيات الأعيان 66/7. ـ الديباج المذهب، 307/2 .

(4) : جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لأبي عمر، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي دار الكتب العلمية. 1398 هـ ـ 1958 م. 9/1 .

(5) : حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي، قارئ أهل الكوفة (90 هـ ـ 709 م/ 180 هـ ـ 796 م) .

(6) : الحديث المرفوع هو الذي ينتهي الى الرسول (ص) .

ـ علوم الحديث ومصطلحه . صبحي الصالح . دار العلم للملايين ط 10 . 1378 هـ 1959 م، ص 11 .

(7) : سورة محمد، آية رقم 19 .

(8) : سنن ابن ماجة 82/1 حديث رقم 226 . ـ جامع بيان العلم، 35/1 ـ روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام لأبي عبد الهه بن الأزرق تقديم وتحقيق : سعيدة العلمي، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب بفاس 115/10 - 116 ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، 385/1 (جنح) .

(9) : مسند الإمام أحمد بن حنبل، المطبعة الميمنية، 1313 هـ 239/4

(10) : روضة العقلاء، ونزهة الفضلاء لأبي حاتم محمد بن حبان شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، محمد عبد الرزاق حمزة ومحمد حامد الفقي . دار الكتب العلمية، بيروت 1397 هـ 1977 م ص 33 .

(11) : أنظر: ـ الترغيب والترهيب، لعبد العظيم ضبط أحاديثه وعلق عليه مصطفى محمد عمارة 1401 هـ 1981 م /1 95 - 96 .

(12) : صفوان بن عسال ـ بمهملتين ـ المرادي من بني زاهر. روى عنه: عبد الله بن مسعود وعبد الله بن سلمة وغيرهما. ـ الإصابة ، 189/2.

كَما وَرَد: [«] لَأَنْ تَغْدُو فتتعلَّم باباً منَ العلمِ، خير منْ أنْ تُصَلِّيَ مائَة ركْعةٍ [»][1].
والحديثُ رواهُ ابْنُ عبْدِ البَرِّ[2] من حديث أبي ذرٍّ[3]، ولَيْسَ إسنَاده بذَاك، وهوَ عنْد ابنِ ماجَة بلفظٍ آخَرَ[4]. ورَوَيْنَا أيْضاً: [«] بابٌ منَ العلْم يتعلَّمه الرَّجلُ، خيرٌ منَ الدُّنيا وما فيها [»][5] [أخْرَجه][6] ابنُ حبَّان في روضةِ العقلاَء[7]، وابنُ عبد البرِّ [8] موقوفاً على الحسَنِ البصْريِّ.
قال الحافظُ العرَاقيُّ[9]: ولمْ أرَه مرفوعاً إلاَّ بلفظ : خيْرٌ لهُ من مائَة ركْعة[10] (وهو أسَدّ[11] في تقْويَة موضوعِنا)، رَواه الطَّبَراني[12] في الأوسَط بسَند ضعيفٍ منْ حديثِ أبي ذرٍّ. وقالَ الشَّافعيّ [13]رضِيَ اللَّه عنْه: [«] طلبُ العلْم أفضَلُ من النَّافلَةِ[»][14] وقالَ ابنُ عبْد

---

(1) : سنن ابن ماجة باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، 79/1 حديث رقم 219 . الترغيب والترهيب، 272/3 حديث رقم 2088 .

(2) : جامع بيان العلم، 62/1 .

(3) : أبو ذر : جندب بن عمرو الغفاري من كبار الصحابة . توفي سنة 32 هـ . طبقات ابن سعد 219/4 . حلية الأولياء، 156/1 . صفة الصفوة. 084/1 . شجرة النور الزكية، التتمة، ص 83 .

(4) : ولفظه :« يا أبا ذر، لأن تغدو فتعلّم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عُمل به أو لم يُعمَل، خير لك من أن تصلي مائة ركعة » . سنن ابن ماجة، 79/1، حديث رقم 219 .

(5) : تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، لأحمد بابا التنبكتي تحقيق سعيد سامي . منشورات معهد الدراسات الإفريقية . 1413 هـ . 1992 م ص 36 . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث 327/4 .

(6) : في الأصل : خرجه .

(7) : روضة العقلاء، ص 40 .

(8) : جامع بيان العلم، 62/1 . روضة الإعلام، 135/1.

(9) : الإمام الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي المصري الشافعي من حفاظ الإسلام ومسندي الحجاز ومصر والشام . ولد سنة 725 هـ . الضوء اللامع، 171/4 . طبقات الحفاظ، 539 . وفيات الونشريسي، 135 . فهرس الفهارس، 814/2 وما بعدها ترجمة رقم 458 .

(10) : وآنظر كذلك : . الترغيب والترهيب، 97/1 . روضة الإعلام، 135/1 .

(11) : أسدّ بتشديد الدال . أي أقوم .

(12) : سليمان بن أحمد بن أيوب من كبار المحدثين أصله من طبريه الشام ولد بعكا سنة 260 هـ . 873 م ، توفي بطوس سنة 360 هـ . 971 م . . تذكرة الحفاظ، 912/3 . . وفيات الأعيان، 407/2 . النجوم الزاهرة، 59/4 .

(13) : محمد بن ادريس : صاحب المذهب، أحد الأئمة الأربعة (150هـ. 767 م / 204 هـ 819 م) . تذكرة الحفاظ، 361/1 . . طبقات الحفاظ 152 . . صفة الصفوة، 248/2 .

(14) : جامع بيان العلم، 30/1 .

الحكَم[1] رحمَه اللَّه : [«] كنْت عنْدَ مالك أقرَأُ عليْه العلْمَ، فدخَلَ الظُّهر، فجَمَعْتُ الكتُبَ لأُصلِّيَ، فقال : يا هَذا، ما الَّذي قمتَ إلَيْه بافضَلَ ممّا كنتَ فيه إذا صحَّت النِّيةُ [»][2] (تأملْ هَذا وحْدَه يكْفك).

وقالَ أَبو الدَّرداء رضيَ اللَّه عنْهُ : [«] منْ رأى أن الغُدُوَّ إلى طلَب العلْم ليسَ بجهادٍ، فقَدْ نَقَصَ في رأْيه وعقْله[»][3]. وقال[4] أيضاً : [«] لأنْ أتعَلَّمَ مسألةً واحدةً منَ العلْم، أحبَّ إليَّ منْ قيام ليْلةٍ [»]. نعمْ، فقَدْ يشرَعُ الطَّالبُ في أداء تحيَّة المسْجد، والدَّرسُ يُقرَّر. فتَتعلَّق قريحَتُه به وتطمَحُ نفسُه إليه، فيخْسر الصَّفْقة الرَّابحَة جميعاً؛ لا هُوَ بالصَّلاة فيجدُ مفعولَها، ولا هُو بما في طوْر الفوات (منْ جواهر العلْم ودُرَره)؛ فننْدُبه ارتكاباً للحصول على أنفع المصْلَحَتيْن،أنْ يشْتَغل بالدَّرس، وهُو عيْنُه عبادةٌ، حتَّى إنْ لَمْ يكُنْ عبادةً محسوسَةً، فوسيلَةٌ إليْها يتسَنَّى له به أن يَطْرُقَ أبْوابَها. وأنتَ خبيرٌ بتقديم الوسائل علَى مقاصدها لا سيَما إذا قويَت، ومنْ باب أوْلَى، ما كانَ فيها معنَى الأصْل وزيادَة. فحضور الدَّرس [أوَّلاً][5] عبادةٌ للّه تعالَى يُثابُ عَلَيْها ما خَلُصَتْ النِّية .و [ثانياً][6]، تربيَة النَّفس وتهذيبُها؛ وهُو منْ مصالحها الذَّاتية. نعمْ، يُشمُّ منْه نوعُ عبادة ما لاحظَ الإنْسانُ الامتثال للأوامر الآتيَة. ثمَّ، منَ الجائز أنْ يضيِّع الطَّالبُ أثْناء التَّحيَّة ما لا يتدارَكه طولَ حياته، وهوَ من ضروريات العلْم، لا يَجمُل بالعاقلِ جهْلُه، واللَّه أرأفُ بعبْده أنْ يجهَلَ ما يُرَى به أقربُ إلَيْه، وأشدُّ وثوقاً بعظمَته ﴿ إنَّما يخشَى اللَّهَ منْ عبادهِ العلَماء ﴾[7].[51] فهوَ قادرٌ ـ جلَّت صفاتُه ـ

---

(1) : أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري، فقيه عصره لازم الإمام الشافعي، ثم رجع الى مذهب مالك (268 هـ 882 م). وفيات الأعيان، 193/4. ميزان الاعتدال، 611/3 ـ طبقات الشافعية، 223/1 ـ تكميل التقييد وتحليل التعقيد، لابن غازي المكناسي (محمد بن أحمد)، 788/1 م خ غ 3217 د .

(2) : جامع بيان العلم، 30/1

(3) : جامع بيان العلم، 38/1 . ـ روضة الإعلام، 136/1 .

(4) : قوله : «وقال» توحي بنسبة هذا الحديث إلى أبي الدرداء غير أن الحديث يروى لأكثر من صحابي وتابعي، وبصيغ مختلفة من ذلك : عن أبي هريرة :« لأن أحسن ساعة فأفقه في ديني أحب إلي من أن أحيي ليلة إلى الصباح» .

وقال ابن عباس : «تذاكر العلم بعض ليلة، أحب إلي من إحيائها» .

وسئل ابن مسعود (المعافري بن عمران) : «أي شيء أحب إليك؟ أن تصلي أو تكتب الحديث؟ قال : كتاب حديث واحد أحب إلي من صلاة ليلة» . ـ جامع بيان العلم، 29/1 وما بعدها . ـ روضة الإعلام 133/1 .

(5) : وضع في الأصل رقم 1 في مقابل هذه الكلمة المقترحة .

(6) : في الأصل : 2 .

(7) : سورة فاطر آية رقم 28 .

على إكْرام طالب العلْم، والاستفادة في تلكَ اللَّحْظة بأكثرَ من ثواب تلْك التَّحيَّة. علَى أنَّهُ يمكنُني الاتِّفاق معَكُم، بَيْد أنَّه بالبدَل: سُبْحان اللَّه والحمْد للَّه، ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكْبَر، أربَع مرَّات، والطَّهارة حاصلَة كما هو موْضوعنا، وأيضاً الإتْيانُ بالتَّحيَّة على وجْهها لا بَعْد أنْ يَكونَ فيه تشويشٌ على المستفيدينَ بالقيام والقعود، وبالأخصّ اللَّيلُ الَّذي يُجْهَر بنَوافله ممَّا يتجلَّى فيه التَّشويشُ.

وقدِّر - مرَّة أُخرى - ما يَنْبَني علَى ذَلكَ منَ الكراهَة النَّاشئَة منْ جرّاء ذلكَ. وجلْبُ القُلوب وتَوحيدُها أعلَى من الجميع.

أجَلْ، إنْ كانَتْ هاته الأدلَّة العجاليَّةُ ليْسَتْ إلاَّ إقناعيَةً فحَسبُ؛ فسأخصُّ الموْضوعَ بعدُ ببَحْثٍ إنْ شاءَ اللَّهُ.

عَقبَ هذه المذاكَرة، اقترحَ علينا الفَقيهُ الانتقالَ لمكان آخرَ، واللذَّةُ في التَّنقّلِ. فأجبنا متنقّلين، وجُعلَ مشْروبُ الشَّاي يدور رغْم أنْفِ المقاطعينَ - الصِّديقَ[1] والزَّميل إبراهيم - ثُمَّ ناولَنا الفقيهُ طيباً (ماءُ الزَّهر)، فحلَّ به منَ الإخْوان ما حلَّ بسابقه، وإنْ لَمْ أنصّ عليه. فتحوَّلوا من الرَّشِّ إلى الغَسْلِ من أصْل (المرشَّة) بعْدَ إزالَة الأنْبوبَة ظانِّين أنَّه ماءٌ مطلَق، بلْ أطبَقوا[2] علَى ذلكَ.

نعم، إثْرَ ما ذُكر، طَلبتُ الوُضوءَ. وبعْدَ الفَراغِ، عُدْتُ فوجَدتُ الأخَويْن: العُثماني وإبراهيم يَترافعان[3] الصوْتَ في المفاضَلَة بيْن رجال مصْرَ، مَعَ بُعدٍ في الموْضوع بيْن الأخَويْنِ ممَّا آبتْ زبدتُه بفَوائدَ طريقَة عرَّفَتْنا نفسيَّة العثْمانيَ واتّجاه الإلْغي. وبهذه، انفَضَّت الجلسةُ، ورَجا منَّا السيِّد أحمدُ بنُ الفاضل[4] أنْ نلبّيَ دعوتَه غدَ اليوْم الجاري، فاسْتعْطَفْناهُ، - كالأخِ العُثمانيِ - في التأخُّر. فأبَى وصَمَّمَ على زيارَتنا لهُ عنْد السّاعة الثَّانيَة عشْرة، ثُمَّ انْصرَفْنا. وبيْنَما نحنُ نسيرُ في الدَّرب، وإذا بمدرسَة الأخ ابن الفاضل. فزُرْناها، وشاهَدْنا بها ما أثْلَجَ صُدورَنا بَعْدَما بحثْنا بعضَ التَّلاميذ، فكانوا كَما يأمُلُه كلُّ مسْلمٍ. يُجيبونَ عن مَعْرفَةٍ رغْمَ قِصَر مدَّة المدْرَسَة؛ إذْ لا تزالُ في ظَرْف الشَّهر الرّابعِ منْ فَتْحها. فَشكَرْنا الأسْتاذَ على خَدَماته. وخَرَجْنا نَنْشُدُ سوقَ النُّحاسِ[5].

---

(1): العلامة مصطفى بن المبارك المشار إليه في هامش سابق.

(2): أطبق القوم على الشيء: اجتمعوا عليه متوافقين. اللسان (طبق).

(3): ترافعا: تحاكما مدافعين بالحجة المعجم الوسيط (رفع).

(4): كان صاحب كتاب قرآني بمراكش توفي في العقد الخامس من هذا القرن.

(5): قد يكون قصده السوق الذي تباع فيها المصنوعات النحاسية، أو تكون سوق النحاس وكلاهما محتمل لأنه تحدث عنهما من قبل.

أجلْ، فأثناءَ الطَّريق، جعَلُ المطَرُ ينزِلُ علَى عادَته (قطرٌ، ثمَّ يَنْهَمِرُ)[1] : [مجتث] .

فَأَوَّلُ الغَيْث قَطْرٌ وأَوَّلُ البَحْرِ نُقْطَةٌ[2]

الأمْرُ الَّذي اضْطَرَّنا معَه لمشارَكَة بعضِ التُّجارِ في دكَّانه اتِّقاءً منَ الأمْطارِ في اشْتداد القَيْظ، وأوَّل الخريف . فلاَ تسْأَل عن بُروقٍ، ورُعودٍ ما عَهدْناها في شتاء السَّنَة الحاليَّة بالبلاَد . وحالاً، دَخلْنا سوقَ الأكْياسِ الجلْديَّة لما كانَ للرَّفيقِ منَ الاشتياقِ إلَى اقْتناء ما يخْلو لَهُ منْها . أمَّا الأمْطارُ، فلاَ تَزيدُ إلاَّ غَزارَةً وانهماراً كأنَّها أفْواهُ قِرَبٍ ممَّا دفع أولائكَ التُّجار أنْ أدْخَلونا إلى متاجرهِمْ رَأْفَةً منهُم ورحمةً . فأَكْرِمْ بها أخلاقاً أدَّت ربَّ الدُّكان إلَى مغادرَته نهائيّاً، وبَقيت [52] به مُنْفَرداً . ثمَّ وقفَت امْرأةٌ أورُبيَّةٌ تسْأَلُني عنْ بعضِ المتاحف الوَطَنيَّة، فاعْتَذَرْتُ لَها أنّي لسْتُ ربَّ المتْجَر . فرجَعَت القَهْقَرى مُتَّقيَّةً بوقايَة دُكّانٍ آخرَ بجَنْب الّذي كنْتُ فيه . وما هيَ إلاَّ لمْحَةٌ؛ وإذا بحَجَرٍ عَظيمٍ يسقُطُ منْ أعْلَى الدُّكان يُريدُ الأوربيَّة لولا الألْطافُ . فطَلَبَ منّي الأَخُ إبراهيمُ، التَّحوُّل إلى محلٍ آخَرَ؛ فامْتثلْتُ، وكانَ بصُحْبَتنا أحدُ النُّجَباءِ منْ تلاميذ الإخْوان : موْلاي عبْد اللَّه العلَويّ[3] .

نعمْ، لاَ تَزيدُ الأمْطارُ إلاَّ انهماراً، ممَّا تولَّد عنْه اصْطدامُ البَرق بالأسْلاك الكهربائيَة .فانقطَع النّورُ عنّا، وبَقينا في ظلْمَة حالكَة . فَفَكَّرْتُ إذْ ذاكَ مُسْتَشْكلاً[4] : إنَّ المَطَرَ منَ البَحْرِ، وإنَّ السُّحُبَ تمتصّ مياهه بخراطيمَ ثُمَّ تَرتَفِع وقدْ جرَى الماءُ فيها . وبَعْدُ؛ تُمْطرُه حيثُ شاءَ اللَّهُ كَما يقولُ الشَّاعر العَربيُّ : [طويل] .

شرِبْنَ بماءِ البَحر ثم ترفَّعتْ متى لججٍ خُضْرٍ لهنَّ نَئيجُ[5]

---

(1) : ومثله في المعنى (من أنصاف الأبيات) : وأول الغيث طل ثم ينسكب ـ نهاية الأرب، 77/1.

(2) : هذا البيت من مقطوعة لأبي إسحاق ابراهيم الخفاجي، ت 533 هـ 1138 م . مطلعها :

كن طالبا أو فقيها فالجهل رأس المحطة

غير أن البيت من هذه المقطوعة يرد في بعض المصادر مرة بلفظ البيت المحال عليه هنا في النص ويأتي في بعضها الآخر بهذه الرواية في نفس المقطوعة :

فمبدأ النار سقط وأول الخط نقطة

شرح البديعية المزرية بالعقود الجوهرية لعبد الغني النابلسي . عالم الكتب ط 3- 1404 هـ 1984 م ص 78. ـ روضة الإعلام، 88/4.

(3) : عبد الله إبراهيم (ما يزال حيا).

(4) : استشكل الأمر : التبس ، واستشكل عليه : أورد عليه إشكالا. اللسان (شكل)

(5) : البيت لأبي ذؤيب الهذلي يصف السحب.والنئيج : الصوت اللسان (نأج). «ومتى» هنا بمعنى «في» ـ ديوان الهذليين. الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1385 هـ 1965 م، 51/1 ـ المنتخب من غريب كلام العرب، لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي المعروف بكراع النمل (ت 310 هـ 922 م). تحقيق محمد بن أحمد العمري جامعة أم القرى ط 1-1409 هـ ـ1989-608/2. ـ شرح ابن عقيل، الشاهد رقم 198 .

ووجهُ الإشْكال عنْدي أنَّ الغالبَ علَى مدن المراسي المجاورَةِ للْبَحْرِ، لا مطَر بها الآنَ حَسَب القواعد. والأمطارُ بالجنوبِ والصَّحراءِ غزيرةٌ. ففكَّر الشَّابَّ مولاَي عبْد اللّه معي قائلاً لما ألفَهُ من الحرِّية في الأبْحاثِ العلْميَّة: كيفَ تتكوَّنُ هذه الخراطيمُ ؟ وكَيْفَ يثبُت الماءُ بالسُّحب ؟

ومنْ أيْنَ لهَذا الأعْرابيِّ هذا الحكْمُ، ولَيْسَ منْ أهْلِ البَحْرِ في شَيْءٍ ؟

فأجبْته أوَّلاً علَى الخراطيمِ علَى الحقيقَةِ كما للشَّاعرِ، وثانياً ؛ عنْ ثُبوتِ المياهِ بالسُّحب قائلاً :

فلاَ مانعَ منْ أنْ تعْمَدَ الرِّياحُ إلَى تلْكَ الأبْخرَةِ المائيَّةِ وتُجمِّدَها، وقدْ أصْبحَتْ كَثيفَةً تتحمَّلُ جرَيانَ المياهِ فيها بقُدْرَته سبْحانَهُ وتَعالَى؛ وإنْ كَانَ الآخَرونَ يقولونَ: إنَّ المطَر هُوَ نفسُ الأبْخرَةِ المتصاعدَةِ منَ البَحْرِ، تسوقُها الرِّياح إلَى حيْثُ أراد الباري إمْطارَها، وثالثاً؛ منْ أيْنَ للأعْرابيِّ ذلكَ: فلاَ غرابةَ، ولا بُعْد - أيُّها الشّابّ - أنْ يَضْربَ هَذا العَرَبيّ في الأرْضِ علَى وَجْهِ السِّياحَة، فيشاهدَ منْ صُنْعِ اللّه ما أصْبحَ ينظمُه نظماً، ويسكُبُه سَكْباً. وعلَى الحَقيقَةِ المسْطورَة، قرَّر العلاَّمَةُ الصبَّان[1]، نقلاً عن التَّصريح[2]، البيتَ المذْكور. وممَّا يُعَضِّد هَذه الحقيقَة؛ أن بعْضَ الأمْكنَة كجَزيرَة «إرْلَنْدَة» بإنْجلَترَا وغيْرِها، تُمطر حوتاً، وما ذَلكَ إلاَّ للقوَّة المائيَّة النَّاجمَة عَنْ تَكْوينِ خَراطيمَ وشُربها حتَّى يمْكن انتعاشُ الحيتَان بها، وإلاَّ فالأبْخرَةُ وحدَها ما إخالُ الحيتَان تَنْدَفعُ مَعَها وتَحيى حَياتَها البحريَّةَ واللّه أعْلَم. نَعَمْ، سامَرْنا بالـمَسْألَة معَ الأخِ العثْمانيِّ، فمَالَ إلَى أن لاَ خَراطيمَ، وإنَّما هيَ أبخرةٌ تَتَراءى في الأُفُقِ كذَلكَ. وكوْن الأمطارِ منَ المياه البحريَّة كما قرَّرَ، هُوَ ما يُعوَّل عَلَيْه، وبه يَقولُ الحُكَماءُ، والمعْتَزلةُ، وبعضُ أهلِ السُّنة أيضاً. وللّه درُّ الأديبِ عمرُ بن أحمْد بن مُحمَّدٍ بنِ صَلاَح الدين الأنصاري[3] إذ يقول: [53] [كامل].

كالبحْرِ يمطرُه السَّحاب وما لَه فضْلٌ عليْه لأنَّه منْ مائـه[م]

---

(1) محمد بن علي الصبان: عالم بالعربية والأدب. ولد بالقاهرة وتوفي سنة 1206هـ - 1792م. - معجم المطبوعات العربية، 1 / 1194. - فهرس الفهارس، 2 / 705 رقم 363. - الأعلام للزركلي، 6 / 297.

(2) أُنظر: - شرح التصريح على التوضيح، لخالد بن عبد الله الأزهري. دار الفكر، د. ت 2 / 2.

(3) أُنظر البيت في: - القاموس المحيط، للفيروزابادي. دار الجيل، بيروت، د. ت، 1 / 54. - الحلل السندسية في الأخبار التونسية، لمحمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج... تحقيق محمد الحبيب الهيلة. الدار التونسية للنشر 1970م ج 1 (القسم الثاني) ص 522. - نفحات الأزهار، ص 217. - الشرح الجلي على بيتي الموصلي، لأحمد البربير. أعدّه للطبع: محمد عمر البربير. المطبعة الأدبية، بيروت 1302هـ. ص 41.

(م) ونسبة البيت المذكور للأديب الأنصاري، أوردها الشيخ مرتضى في تاج العروس.
نعم، أعلم للبيت سابقا ونصه:

أهدى لمجلسك السعيد وإنما أهدى ما حزت من نعمائه.

وهُو ما قرَّره العلْم الحديثُ عنْ تجربةٍ. أمّا البَاقي منْ أهْلِ السُّنةِ والأشَاعِرَةِ؛ فعَلى خلاف هَذا. قالَ العلاَّمةُ اللّقاني[1] في شرْح جوْهرته[2]:[«] إنَّ الأحَاديثَ دلّت علَى أن السَّحاب ينشأ[3] منْ شجَرةٍ مثْمرةٍ في الجنَّة، والمطرُ من بحْرٍ تحتَ العرْش[4] [»]. ثمَّ نهضْنا قافلينَ والأمطارُ هاطلَة، والوَحْلُ يبلُغ أنصافَ السِّيقان. وما كدْنا نصل منزلَ الأخِ العُثمانيِّ، حتَّى كانتْ ثيَّابنا تَسيلُ سيلاناً، وأجسَامُنا تقْطرُ من تنْظيف الطّبيعَة لنا. فوجَدْنا الأستاذ العثْماني[يتَأفَّفُ][5]غضباً وقلقاً إذْ سالَتْ لهُم بعضُ الدُّور الأوربيَّة خارجَ المدينَة، وبهَا منَ النَّفائس والأمْتعة ما بها. وإذْ ذاكَ سلَّينا الأستاذَ وعمدْنا إلى السَّمر العلْميِّ ذاكرينَ من ابْنِ حجَر[6]وقرينه العَيْني[7]وكتابتهُما على الصَّحيح[8] ما ذكَرْنا. فكانَ الأخُ يُحلِّق جهة العينيَ ويقدِّمُه، مورداً بعضَ غلَطات ابنِ حجَرٍ (والكمالُ للّه)، حتَّى قالَ عنهُ: إنَّه كثيراً ما يعمدُ إلى كلاَمِ الكَرماني[9] وينقُله[10] من غيرِ أنْ يُشيرَ إلى قضيَّة في بابٍ، ويُحيلُ المُطالعَ علَى تَمَامِها في فصْلٍ آخرَ، ثمَّ بعدَ البحثِ عنْها في الفَصْلِ، لا تُوجدُ. وتكرَّر منه هذا أيضاً.

---

(1): عبد السلام بن ابراهيم اللقاني المصري من شيوخ المالكية. ولد سنة 971 هـ - 1563 م، وتوفي سنة 1078هـ - 1668م. - نشر المثاني، 2 / 170. - شجرة النور، ص 304 ترجمة رقم 1176. - الأعلام للزركلي، 3 / 355.

(2) : الجوهرة ليست له وإنما لأبيه ابراهيم اللقاني ت 1041 هـ - 1631 م. أما عبد السلام (ابن السابق) اللقاني ت 1078 هـ فهو شارحها.

(3) : وانظر في السحاب ونشأته وسبب حدوثه : - نهاية الأرب، 1 / 71 - 72. - دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي. دار الفكر، بيروت د. ت 5 / 53.

(4) : حاشية الأمير على شرح عبد السلام اللقاني على الجوهرة. مطبعة البابي الحلبي، مصر د . ت ص 40.

(5) : في الأصل: يتاقف. ولعله يريد يتأفف، بمعنى يتضجر. اللسان (أفف).

(6) : أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر أصله من عسقلان بفلسطين : من كبار المحدثين.مولده ووفاته بالقاهرة. (773 هـ - 1372م/852 هـ - 1449م). - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني. مطبعة السعادة - مصر. ط 1 - 138 هـ. 1 / 87. - الضوء اللامع، 2 / 36. - فهرس الفهارس، 1/ 321 ← 337.

(7) : محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي مؤرخ ومن كبار المحدثين. أصله من حلب. ولد سنة (862 هـ - 1361م/855 هـ - 1451 م). - شذرات الذهب، 7/ 286.. معجم المطبوعات العربية، 2 / 1402. - الأعلام للزركلي، 7 / 163.

(8) : يقصد مؤلف ابن حجر المسمى بـ «فتح الباري في شرح صحيح البخاري». ومؤلف العيني: « عمدة القارئ في شرح البخاري».

(9) : محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني عالم بالحديث. أصله من كرمان، اشتهر في بغداد وأقام مدة بمكة. ولد سنة 717 هـ - 1317 م، ومات راجعا من الحج في طريقه إلى بغداد سنة 786 هـ - 1374 م. - الدرر الكامنة، 4 / 310. - لقط الفرائد، 222. - الأعلام للزركلي، 7 / 153.

(10) : الإشارة هنا إلى مؤلف الكرماني في نفس الموضوع المسمى بـ «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري».

قالَ: وليَ من ذلكَ شَيْء كَثيرٌ. فسَأجْمعُه إنْ يسَّر اللّه تعالَى. كَما أنَّ لِي موضوعاً آخر في اصطلاح الرِّجال ومعرفةِ هذا بهَذا، أو: مهْما ذُكر فلانٌ بن فلان، فلَيْسَ وراءَه غيْرُ فلاَن. وهَكَذا مّما يَصْعُب علَى الإنسانِ التَّمكنُ منْه إلاَّ بعدَ مشقَّة كبيرة(م). كلُّ هَذَا، أرْجو اللّهَ تَعالى أنْ [يُعينَ][1] عَلى إخْراجه. ثمَّ وجَّهْنا الشُّكرَ إلى الأخ عَلى خدمته الجليلة راجينَ المولَى إعانَتهُ على أعْماله العلْميَّة. عقبَ هذا، استَطردْنا[في] ذكْرِ فيْلسُوفِ الإسْلامِ أبي حامد الغزالِيِّ[2]، موردينَ تخْفيفَ زايه وتشْديدَها، وهلْ هُوَ على النِّسبةِ إلى الغَزل، أمْ لا ؟ وحَالاً أنْشَدَنا الأستاذُ بيتاً لأبي حامدٍ يقْبلُ النِّسبةَ ونصُّه: [طويل].

غزلتُ لهم غزْلاً رقيقاً فلمْ أجدْ لغزْليَ نسَّاجاً، فكسَّرتُ مغْزَلي[3]

كَما يُشمُّ ذلكَ منْ ترْجمته بطَبقات الشَّافعية الكُبرى[4] لتاجِ الدِّين السُّكبي[5]، وقيلَ لاَ نسبةَ إلى الغَزل، بلْ إلى غَزالة: قرية من قُرى طوس. وعليْه، فهُو بتخْفيفِ الزّاي. وقدْ ألمعَ لهَذا، العلاَّمةُ الفيومي[6] في المصْباحِ المنير[7]. قال[«] أخْبَرَني بذَلكَ مجْدُ الدِّينِ، مُحمَّدُ بنُ محمَّد بنُ مُحْيي الدِّين محمَّد بن أبي طاهرٍ شرْوانَ شَاه بن أَبي الفَضَائِلِ فخْر أُور بن عُبَيد اللّه بنِ ستِّ النِّساء بنْت أبي حَامدِ الغَزاليِّ ببغْدادَ سنةَ عشْرٍ وسبْعمائة. وقالَ لِي: أخْطَأَ النَّاسُ [54] في تَثْقيلِ اسْمِ جدَنا، وإنَّما هُومخَفَّفٌ، نسبةً إلى غَزالَة القَريَةُ المذْكورَة[»][8]، وانْتَهَتِ الجلسةُ. فنمْنا إلى الخامسَة صباحاً مُبيِّتينَ الإفاقةَ عنْدَها بقَصْد

(م): نعم، قد نص علماء الاصلاح كالعراقي وشراحه على هذه المسائل التي هي كالقواعد في الفن.

(1): في الأصل: أعان.

(2): أبو حامد محمد الغزالي الطوسي الفيلسوف والصوفي. (450 هـ - 1058م/ 505 هـ - 1111 م). - اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين بن الأثير الجزري. أعادت طبعه مكتبة المثنى - بغداد. د. ت (3 أجزاء) 2 / 379. (وفيه إشارة إلى النطق بالإسم). - وفيات الأعيان، 1 / 463. - شجرة النور، ص 138، ترجمة رقم 5409 - الإعلام بمن حل مراكش، 4 / 30 وما بعدها ترجمة رقم 470.

(3): أنظر: - الإعلام بمن حل مراكش، 4 / 39.

(4): طبقات الشافعية، 4 / 101.

(5): تاج الدين السبكي(عبد الوهاب بن علي) قاضي القضاة، مؤرخ، باحث. ولد بالقاهرة سنة 727 هـ - 1327 م وتوفي بدمشق سنة 771 هـ - 1370 م. - طبقات الحفاظ، 537. - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، لجلال الدين السيوطي. مطبعة الموسوعات - مصر 1321 هـ. 1 /152. - الدرر الكامنة، 3 /39.

(6): أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي نشأ بفيوم ثم ارتحل إلى حماة فقطنها: من علماء اللغة العربية. (770 هـ - 1368 م). - الدرر الكامنة، 1/ 314. - بغية الوعاة، 1 / 389. - معجم المطبوعات العربية، 2 / 1376. - إشارة التعيين في تراجم النحاة... ص 401 ترجمة رقم 244.

(7): طبقات الشافعية، 4 /101.

(8): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. تأليف: أحمد بن محمد بن علي المُقري الفيومي (ت 770 هـ) دار الفكر د. ت (جزآن) 2 / 447.

الحُضور بدُروسِ الكُليَّة اليوسُفيَّة. وفعلاً استَيقظْنا اهْتماماً بذَلكَ، فأدَّيْنا ما وَجَبَ، ثمَّ خَرَجْنا نُهرْوِلُ قاصدينَ (ابنَ يوسُفَ)، فدخَلْنا مُتلهِّفينَ؛ فإذا هُوَ يتدفَّقُ علماً وفقهاً ضرورةَ أنَّها ثَمانيةُ دروسٍ دفْعةً واحدةً بمخْتَصَر خليلٍ رحمَه اللّهُ؛ هَذا في البيوعِ، وهذا في الطَّلاق، وثالثٌ في الضحيَّة[1] ورابعٌ في الخصَّائص، وآخرُ خامسٌ في الطَّهارَة، ونحنُ ننْتقلُ في تلك البَساتينِ، ونستَشفُّ أريجَها منْدهشينَ منْ هذا الفيضِ العلْميِّ المشْبَع. وبينما نحنُ كذلكَ؛ وإذَا بالأخِ العثْمانيِّ أقبَلَ يؤدِّي واجبَه بالكُليَّة معَ بعضِ الشَّباب. وكانَ واجبُه، أوَّلُ درسٍ منْطقيٍّ. فحضرْنا افتتاحَهُ الَّذي كانَ نبذةً عنِ المنْطق وتَقلُّبه في الأمَمِ الغابرَة كأُمَّة اليُونان والرُّومان، وبعْض رجاله الحَاملينَ رايَتَهُ كأرسْطو[2] وأمثَاله، ثمَّ تخلَّص إلَى حكْمِ الشَّارعِ فيه، وإعْراضِ الحافظ السُّيوطي عنْهُ. وبعدَ هذا أوردَ البَسْملَةَ، وشرَعَ يتنَاولُ بعضَ مسَائلِ الفنِّ، متدرِّجاً بتَلاميذه إلى تحْبيبه بذكْرِ شيءٍ من قضَايَاه البسيطَة كيْ يُقبلوا علَيْه في شَوْق.

ومنَ التَّلاميذ: أحمدُ شوقي سَالف الذِّكر، الَّذي أوردَ عَلى الأستاذ سؤالاً هو: هَلْ الموسيقَى فنٌّ أم علْمٌ؟ فأجَابهُ الأستَاذُ العثْمانيُّ بما يَشفي غلتَّه بألْطَف عبارَةٍ عَلى عَادَته. ثُمَّ انفصَلَ أخيراً على أنَّها علمٌ، وهوَ الحقُّ.

وللشَّيخِ المجدِّد أبي إسْحاق إبراهيم التَّادلي[3] الرّبَاطيِّ مُؤلَّفٌ فيه أسْماه: «أغاني السّقا في علمِ الموسِيقا». وقد تكلَّفت التَّرجمةُ بالجَواب.

كمَا طرحَ تلميذٌ آخرُ سؤالاً هُوَ، أنَّ خطبةَ المؤلِّف (إيساغُوجِي)[4] طويلةٌ، إنْ طابَتْ

---

(1): الضحية: الأضحية، (ج) ضحايا.

(2): أرسطو طاليس بن نيقو ماخوس، تلميذ أفلاطون ومعلم الأسكندر بن فيلبس ملك مقدونية. (384 ق م - 322 ق م).

- معجم المطبوعات العربية، 1 / 424.

(3): أبو إسحاق ابراهيم بن محمد التادلي، شيخ الرباط وعالمها. ولد سنة 1242 هـ - 1826 م، توفي سنة 1311 هـ - 1894 م. - الإعلام للمراكشي، 1 / 191 ترجمة 46. - مجالس الانبساط، ص 239. - إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لعبد الرحمان بن زيدان. المطبعة الوطنية بالرباط. ط 1: 1410 هـ - 1990 م. 1 / 68. - من أعلام الفكر المعاصر، 2 / 243.. شيخ الجماعة، العلامة أبو إسحاق التادلي الرباطي، لعبد الله بن العباس الجراري. سلسلة شخصيات مغربية (5). مطبعة النجاح، البيضاء. ط 1: 1400 هـ - 1980 م. ابتداء من صفحة رقم 11.

(4): إيساغوجي: لفظ يوناني معناه الكليات الخمس، وهو باب من أبواب المنطق. والمتداول هو المختصر المنسوب إلى أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري (ت 660 هـ) ويطلق اسم «إيساغوجي» في الأصل على كتاب المدخل إلى كتب علم المنطق من تأليف: فرفوريوس الصوري، ونقَل إلى اللغة العربية على يد عثمان الدمشقي. - معجم المطبوعات العربية، 1 / 291. - جوامع الأخلاق والسياسة والحكمة. محمد العربي الخطابي. منشورات المنظمة الإسلامية - إيسيسكو 1414 هـ - 1993 م 2 / 425.

نفسُكم أنْ تحذفُوهَا ونطْرُقَ الفنَّ فلاَ بأس. فأجَابَ:

كَمَا تُريدُونَ. وختَمَ الدَّرسَ، وخَرَجْنَا مُبتَهجينَ. نَعمْ، اسْتَفْسَرنَا الأَخ عنِ ابْنِ يُوسُفَ[1] قالَ: كيفَ كانَ في نظركم ؟ فأخْبَرْنَاهُ الحقيقَةَ متَشكِّرينَ من رجَاله وعُلَمَائه، واجتهَادهم المتَتَابع، وبالأخَصِّ الَّذينَ أخَذوا ينهضُونَ ويُجدِّدونَ. فأدخلُوا إليه المَنْطقَ بإيسَاغُوجي، والتَّاريخَ، وقوَانينَ[2] ابن جُزيٍّ[3]، والكاملَ[4] للمبرِّد[5]، وأشبَاهَ هذه الفنُون والمؤلَّفات الَّتي تُذَلِّلُ الطَّريقَ في وجْه التِّلميذ حتَّى يصلَ إلى الهدَف في أسْرَعِ وقتٍ، فضلاً عن الدُّروس الأدبيَّة الَّتي يتلقَّاها بروحٍ جَديد، يبُثُّ فيه الوَعْيَ والنَّشاطَ.

فبلغْنا مع الأستاذ المنزلَ ونحنُ فيمَا لذَّ منَ حديث الكليَّة اليوسُفيَّة. وإثْرَ راحةٍ قصيرَةٍ، خرَجْنَا نُريدُ مدرسةَ السَّيِّد محمَّد بن عبد الرَّازق الفَاسيِّ؛ فإنَّه كانَ اقْترحَ عَلَى الأُسْتَاذ العُثمانيِّ أنْ نزُورَه يومَه؛ إذ الزِّيارةُ الأولَى الَّتي ألْمَعنَا لَهَا سابقاً لمْ تَطُلْ، فدخَلْنا المدرسةَ وإثْرَ بُرهَةٍ، طلَبَ الأستاذُ العثْمانيُّ الطَّبقةَ الأولَى [55] فحضرَتْ. وحالاً، خَاطبَني قائلاً: فَها أنْتَ وهُمْ، فاخْتَبرْ. فشرعتُ أباحثُهُم في التَّوحيد وهمْ يُجيبُونَ عنْ مسألَةٍ منَ الإلهيَات، والنَّبويَّات، والسَّمعيَّات؛ تارةً جمَاعَةً، وأُخْرى فُرَادَى. ثمَّ انتَقلْنَا إلى النَّحوِ، فألْقَيْتُ عَليهمْ: (مَا أحسَنَ أجوبتَكُمْ هذه)، فأخَذُوا يُعْربُونَهَا مستَدلِّينَ علَى كلِّ جزئيَة بقواعد الخلاصَة[6]. وبعْدُ تحوَّلنَا إلَى فنِّ الحسَاب، فكانُوا علَى خبرةٍ منَ الأصول الأربَعة: الجمْعُ، والطَّرحُ، والضَّربُ، والقسمَةُ. ثمَّ غيَّرْنا الأُسلوبَ إلَى شيءٍ منَ الأدب والأخْلاَق، فكَانُوا عَلَى خبرةٍ منَ الغثِّ والسَّمين في أبوَاب التَّربيَة. ثمَّ طلَب منْهُم الأستاذُ العُثْمَانيُّ إنشادَ بعضِ الأناشيدِ المخْتلفَة، ولَديهمْ منْهَا القَديم و الحَديث، فبدَأوا طَبعاً بالقَديم، وأتَوْا منْه

---

(1) : أي كلية ابن يوسف.

(2) : «القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية» مطبوع.

(3) : أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي من فقهاء وعلماء غرناطة. (693 هـ 1294 م/ 741 هـ ـ 1340 م). ـ النفح، 5 / 514. ـ أزهار الرياض، 3 / 184. ـ الدرر الكامنة، 3 / 446. ـ الديباج المذهب، 2 / 274.

(4) : الكامل في اللغة والأدب/ مطبوع ومحقق.

(5) : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي وقيل المازني الملقب بالمبرد. كان إماما في العربية، توفي سنة 285 هـ ـ 898 م. ـ تاريخ بغداد، 3 / 380. ـ لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي (773 هـ ـ 852 هـ). ط 2، بيروت 1390 هـ. صورة عن الطبعة الأولى حيدر أباد من 1329 هـ إلى 1331 هـ. 5 / 430. ـ إشارة التعيين، ص 342 ترجمة رقم 208.

(6) : الخلاصة هي المعروفة والمشهورة بـ «ألفية ابن مالك». اشتهرت بهذا الاسم لأنها تضم ألف بيت من الرجز.

بِقِطَعٍ عاليَةٍ مُؤثِّرة، كقطعَة السَّموأل[1] فِي الفَخْر والحماسَة الَّتي مطلعُهَا :[طويل] .

إذا المرءُ لم يدْنسْ من اللُّؤم عرضُهُ ... فكلُّ رداءٍ يرتديه جَميلٌ

ومنْها :

تُعيِّرنا أنَّا قليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها : إنَّ الكرامَ قليلُ

وما قلَّ من كانتْ بقايَاه مثلَنا ... شبابٌ تسامَى للعُلاَ وكُهُولُ

ومنْها :

لنا جبَلٌ يحتلُّه من نُجيرُه ... مَنيعٌ يردُّ الطَّرْفَ وهْو كليلُ

رسَا أصلُه تحتَ الثَرى وسمَا به ... إلى النّجم فرْعٌ لا يُنالُ طَويلُ[2]

ومنْها :

وأيّامنا مشهورةٌ في عَدُوِّنا ... لها غُررٌ معلومةٌ وحُجُولُ

وأسْيافُنا في كلِّ شرْقٍ ومغْربٍ ... بها من قِراعِ الدَّارعينَ فُلُولُ[3]

ثمَّ أردفُوهَا بقطعٍ حمَاسيَّةٍ جديدة، أقفُهم أثنَاءَ كلِّ ما أعلَمُ أنَّه يؤثِّر فيهم، مقترحاً عليهم بيانَه، فيشمِّرونَ الأردانَ[4] للشَّرحِ بأحْسنِ عبارةٍ تلائمُ سِنَّهُم الغضّ، موفَّقين في جلِّ الأجوبَة ممّا سُررْنا لَه . ثمَّ ختَمْنا بتلاوَة القُرآن تعَاقباً؛ إذْ جعَل كلٌّ يرتِّل آياً كريمَةً ، ونحنُ نتعبّد مُلتذّين باستِمَاع تلكَ الآي الكَريمَة .

إثرَ هذا، ألقيتُ علَى مسَامعهمْ كلمةَ شكْرٍ ضمَّت نصيحةً تكلّفت بذكْرِ المدرسَة والموَاظَبَة عليهَا، والمثَابرةِ علَى الدَّرسِ، وهجْرِ البطَالَة والتَّواني، وأنْ يعملُوا كُلَّ جهُودهمْ، الطَّريقَة في احترَامِ مُعَلِّميهمْ وطَاعَة الأساتذَة، فإنَّهُم الَّذينَ يَسْهرونَ علَى تَكْوينهمُ التَّكْوينَ الصَّحيحَ .

ثمَّ نهَضَتْ وأتَتْ طبقةٌ ثانيَةٌ، رُجْنا معَها شيئاً، فإذا هيَ تدنُو منَ السَّابقَة، وتقترحُ علَيْنا الجائزةَ . وللْحينِ، طلبنَا منْهَا تصريفَ « إجَازَةٍ »، حتَّى إنْ همْ أتْقَنوهَا، حازُوا علَى الجَائزة

---

(1) : السموأل بن غريض بن عاديا ء، شاعر جاهلي. ت 65 ق. الهجرة. ـ طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي. تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ـ القاهرة 1974 م. 1 / 280. ـ تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي. مطبعة المجمع العلمي العراقي 1375 هـ ـ 1956م. 6 / 37. ـ معاهد التنصيص، 1 / 388.

(2) : الأمالي لأبي علي القالي. دار الجيل، بيروت/دار الآفاق الجديدة. بيروت. ط 2 ـ 1407 هـ/1987 م. 1 / 269.

(3) : هذان البيتان وردا ضمن الأبيات السابقة في نهاية الأرب، غير أن أبا علي القالي أوردهما في قصيدة لعمرو بن شأس : ـ نهاية الأرب ، ج 3 / 199 ـ 200 ـ الأمالي، 1 / 270.

الدارعين : ادّرع الرجل (بتشيد الدال) : لبس درع الحديد. اللسان (درع).

(4) : الردن بضم الراء وتشديدها : أصل الكم. يقال: قميص واسع الردن: مقدم كم القميص. اللسان، (ردن).

عنْ جَدارةٍ واستحْقاقٍ؛ وإلاّ رجَعُوا القَهْقرى لا قدَّرَ اللّهُ. فجلَسَت الطَّبقةُ الأولَى وهيَ أربعةٌ (والكرامُ قليلُ)[1] فجَعلُوا يحلّلون الكلمة تحليلاً، ويبيِّنونَ ما ذهبَ منْها ومَا بَقيَ، ومَا [هو] أصلٌ وما زَادَ، حتَّى أتَوْا عَلى الكلمة منْ سائرِ النَّواحي تصريفاً لحُد عرَفوا [56] معَهُ ألف الأفعالِ المُختَزلَة، والتَّعويضَ عَنْها، ومَا إلَى هَذا، ممَّا انْشرَحَتْ لهُ صدُورُنا، فهمْنَا عَنِ الحُسْنِ هُياماً بما جَابَهنا منْ ذكائِهمْ. فلْيَحْيَ شَبابُ الحمْراءِ ونَشْؤُها.

فيا أيُّها الأبْناءُ: الآنَ وجبت الإجَازَةُ والجائزة. فعندَما أبلغُ مَسْقطَ رأسي، لا أهتَمُّ بسوَى إجَازَتكُمْ. وفعلاً أبْرَدْتُ[2] لهمُ بعدَ العوْدِ كتباً قيِّمةً: نُسختَيْنِ من الأربعينَ النَّووية[3] بتعليقِ المؤلِّفِ، وذخيرةُ الطُّلاب؛ مؤلَّف جديدٌ ذو طريقَةٍ مبتكَرةٍ، وجزْءٌ من سفينَة النُّحاة[4]، ولمكَان رسوخِ عقيدَتهم، يستَفيدونَ منْها منْ غيرِ أنْ تؤثِّر في توحيدهم شيْئاً.

نَعمْ، خرجْنا منْ عندِ الأسْتَاذ، والجوَانحُ مفْعَمَةٌ سروراً، موَدِّعينَ الأخ مُوَقَّتاً. وقصَدْنا الزَّميلَ إبراهيمَ بمَدرسته، فأخْبَرْناهُ بمَا شاهدْناهُ منَ الفَتْحِ والنَّجاحِ. فشارَكَنا في سرُورِنا، واقْترحَ عَليَّ أنْ ألقّنَ تلاَميذَه بعضَ النَّصائحِ، وأنْ أكْتُبَ لَهُم نشيداً أو شيْئاً يَبْقى لَدَيْهِم ذكْرى. وسُرعانَ ما لبَّيتُ طَلبَهُ، كاتباً لهمْ بعضَ نشيدٍ حمَاسيٍّ، وشرَحْتُ لَهمْ مفْرداته، فجُملَهُ ومَعانيه. وريثَما تَمكّنوا منْه، لحَّنْتُه لهمْ كتَلْحينه بمدَارسِ الرِّباطِ. بعدَ هَذا، قامَ الرَّفيقُ يكرِّر لهمْ تَلْحينَه كيْ تُرسَّخ نغْمَتُه في أذْهَانهمْ.

عقبَ هَذا، حَانَ خُروجُ التَّلاميذ للْفُطور ضرورةَ أنّها ساعَتُه المرسومَة قدْ دقَّت. فانْصرَفوا مَسْرورينَ مُسَلمينَ كَما سَلَف (والدرُّ يزْدادُ حُسْناً وهْو مُنتَظمٌ)[5]. ثُمَّ خَرجْنا نَبْتَغي السُّوقَ هُياماً ببضَائعه الوطَنية، فأخَذْنا ما تطيبُ النَّفس به، والكُلُّ طيِّبٌ. ثمَّ قفَلْنا مارِّينَ بالكُلِّية اليوسفيَّة؛ فإذا هيَ تَتلألأُ، وتضيءُ باخْتلاف الدُّروسِ صرفاً ونحواً. ألفياتٌ أربعٌ تُدرَّس، رغمَ أنَّ هناكَ من تأخَّر منَ الأسَاتذَة. زيادةً عَلى ما يحضُر منَ الدِّراسة العربيَّة بيْنَ الظُّهْرَيْنِ، ولَدى العصْرِ، وبعدَهُ ،شأن الكُلّيَات والجَامعَات.

---

(1) : إشارة إلى بيت السموأل سابق الذكر وهو:

تعيرنا أنا قليل عديدنا   فقلت لها: إن الكرام قليل

(2) : أبرد له برسالة ونحوها: أرسلها بطريق البريد. المعجم الوسيط (برد).

(3) : «الأربعون حديثا النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية» مطبوع ليحيى بن شرف النووي الشافعي (ت 677 هـ).

(4) : سفينة النحاة. كتاب في النحو، لمؤلفه محمد بن محمد المعروف بالبخشي البكفالوني (ت 1098 هـ - 1686 م). يقع في أربعة أجزاء.

(5) : شطر بيت من بردة المديح للبوصيري، وتمامه: وليس ينقص قدرا غير منتظم. - بردة المديح. الدار العالمية، بيروت. 1413 هـ - 1993 م. ص: 23.

ومنْ بيْنِ رجَالِ الدِّرَاسَةِ، وَجَدْنَا الزَّميلَ أحْمَد بنَ الفَاضِل، يُدرِّسُ خلاَصَةَ[1] الجيّاني الشَّافعي، وهو مشغولٌ عناً بالأشتغال، يعَالجُ معَ تَلاَميذه مَا يعَالجُ منْ تبليغ مضضِ العُلْقة الحاصلَة بذَلكَ المعهُود وهوَ يحلِّلها لهمْ تحليلَ الخَبيرِ المطَّلع. ثمَّ خرَجْنَا، وقدْ عمَّنا نشَاطُ النَّهضَةَ بالكُلِّية. وقدْ التَحقَ بنَا السَّيد ابنُ الفاضِل، وقدْ أدّى درسَهُ المتحدَّث عنْه. فأخذَ بأَيْدينَا وذهبَ بناً إلى مَنْزله. وعنْدَمَا دخَلْنَا، أَلْفينَا الإخْوَانَ حاضرينَ؛ إذْ كلّف من يستَقبلُهم. وبعدَ أنْ استَقرَّ بنَا المجلسُ؛ أقبلَ الأُستَاذُ المخْتَارُ، فقُمتُ حالاً، وأصْلتُّ[2] سيفاً كانَ معي قصدَ أخذ الثَّأر، والنَّيلِ منْهُ جزاءَ استبداد الغيْرِ به أمْسةُ. فلَولاَ تدخّل الأصدقاء الَّذينَ أخَّرُوني، لحصَلَ مَا يُدْهشُ.. والعجَبُ، أنّه رغمَ ذلكَ، ثَبتَ ثُبوتَ الرَّوَاسي، حالة أذكرَتْنَا بقضيةِ القَاضي أبي بَكْرٍ [57] بنِ العربيِّ[3] حينَ رَكبَ[4] معَ أحد أُمَراءِ الملثَّمينَ، وكانَ صغيراً، فهزَّ عَلَيْه رُمْحاً كانَ في يده مداعباً لَهُ فَقالَ فَخرُ المغْرب: [طويل].

يَهزُّ عليَّ الرُّمْحَ ظبيٌ مهفهفٌ ... لَعُوبٌ بألبابِ البريَّة عابثُ
ولو كان رمحاً واحداً لاتَّقيْتُه ... ولكنَّهُ رمحٌ وثانٍ وثالثُ[5]

---

(1) وهي المسماة كذلك بألفية ابن مالك أو الأرجوزة الصغرى. تمييزا لها عن الأرجوزة الكبرى أو «الكافية» وإلى هذا يشير ابن مالك في خاتمة ألفيته إذ يقول:

وما بجمعه عنيت قد كمل ... نظما على جل المهمات استمل
أحصى من الكافية الخلاصة ... كما اقتضى غنى بلا خصاصة

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. دار الفكرط 16 - 1399 هـ 1979 م. ج 4 ص 245

(2) أصلت الشيء: أبرزه وأصلت السيف: جرده من غمده، اللسان (صلت).

(3) القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي، خاتمة علماء الأندلس وحافظها الجليل. ولد سنة 468 هـ 1085 م، وتوفي سنة 543 هـ 1148 م (قبره باب المحروق بفاس).
- الغنية (فهرس شيوخ القاضي عياض) دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم. الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس 1398 هـ 1978 م. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي أحمد بن يحيى دار الكتاب العربي، 1967 م ص 92. تاريخ قضاة الأندلس، ص 105. مطمح الأنفس ومسرح التأنُّس في ملَح أهل الأندلس، أبو نصر الفتح بن محمد بن عُبيد الله بن خاقان (ت 29 هـ 113م). دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة. دار عمّار مؤسسة الرسالة ط 1، 1403 هـ - م.ص 297.

(4) تشير بعض المصادر إلى رواية أخرى، وهي أن أبا بكر بن العربي كان جالسا في محل درسه، فدخل عليه شاب من الملثمين (القصة).

(5) أزهار الرياض 89/3. الحلة السيراء، لابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. (1199 م 126هـ) حققه: حسين مؤنس دار الكتاب العربي - القاهرة. ط 1 - 1963 م. 6/1. المغرب في حلى المغرب تعاقب على تأليفه ستة من بني سعيد آخرهم علي بن موسى (ت 672 هـ). تحقيق شوقي ضيف دار المعارف، القاهرة ط2 - 1974م. 255/1. زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. ط 1 - 1301 هـ 1981 م (3 أجزاء)33/2. فهرس حديقة الأزهار، 72-81/1 اقتطاف الأزهار 51/1.

جَاءَ الأَخُ، ومعَهُ اسْتِدْعَاءٌ لنَا منْ طَرَف الأخَوَين : أحمد شوقي الدُّكالي، وأخيه المهْدي ابْنَيْ القَاضِي محمَّد بن العَربي. فتَعارضَ اسْتدعَاؤُهُمَا معَ الأستاذ العثْمَانيِّ الَّذي تَخلَّف عن الجَمْعِ الحَاضر. لكن جمعَ الأخوان بينَ المتَعَارضَيْن، فارْتَفع الإشْكَالُ، ومرَّت لنَا ساعةٌ حلوةٌ لذيذَةٌ، طلبتُ أثْنَاءَهَا منَ الفَقيه ابن الفَاضِل صَعْتَراً[1] لمَكان مَا اعْتَرَاني منَ الوَجعِ يَوْمَهُ. فأحضرَه لي، ثُمَّ خرجْنَا صُحْبَةَ الأُستاذ المختار إلَى المدْرسة وأنَا مُتوَعِّكٌ وجعاً، فبلَغْنَاهُ. وإذْ ذاكَ كلفَ عَلَيْنَا أنْ نَتَناولَ العشَاءَ عنْدَه، فأجبْته عَلى شرط. فقالَ: اشْتَرطْ مَا تشَاءُ. فقُلْت: أُرزٌ وَحليبٌ. فقالَ: إنَّه شيءٌ تَافهٌ، وبكلِّ سرور يا سعَادَةَ الجرَّاري. فأحضَرهُ. وبينَمَا نحنُ كذَلكَ؛ وإذَا هُوَ العَصْرُ دخَلَ. فنزَلَ الأستاذُ ليؤُمَّ التلاميذَ، فأدَّينَا معَه العصْر. ولمْ يلبَثْ أنْ صَعدَ فجَعَل يتهيَّأُ لإلقَاء درْسٍ نَحْويٍّ. معَ جماعةٍ من التَّلاميذ طلعتْ إلَى المشْربة تقْرُبُ من الثَّلاَثِينَ تلميذاً. وحيناً أنشأَ يرتَكب في أبوَاب «كانَ» مَا يرتَكبُه من السبْر[2] والتَّقسيمِ، والحلِّ لمسَائِل الفنِّ العربيِّ، وتطبيقِ الشَّواهد علَى القواعد، والطَّلَبَةُ يفيضُونَ ذكَاءً.

وَمنْ مستَمْلَحَاته في الدَّرس؛ أنْ أجَابَ تلميذٌ دكَّاليٌّ عَنْ إحْدَى المسَائِل، بَيْدَ أنَّه أخْطَأَ الصَّوابَ. وبعدَ قليلٍ، أرْدَفَهُ بَربريٌّ سُوسيٌّ وقدْ أصَابَ المرْمَى. فقَالَ الأُسْتَاذُ: ما كَانَ دُكَاليٌّ ليَتَفوَّقَ علَى سُوسِيّ، خُصوصاً في هذه الميَادين. عُنْصُرِيَّةٌ واضحةٌ. وهنَا جَعَل يلُومُ أحدَ التَّلاَميذ لَوْماً؛ إذْ ظَهَر عليْه مَيْنٌ[3] خَفيفٌ في تَبليغٍ لَمْ يصدُقْ فيه. وعَاجلاً، فطنَ التِّلميذُ لهَذَا وغَدَا ينَافحُ عنْ نَفْسه ممَّا انْقلَبَتْ لَهُ المسْأَلةُ تصْريحاً بعدَمَا كانَتْ في طَوْر التَّلْويحِ. وَذكْر مَا لاَ يُذْكَر، يدلُّ علَى اهتمَام الأُسْتَاذ ببثِّ الأخْلاَق النَّاضجَة في أبْنَاء روحه حتَّى هُنَا. ثُمَّ خَتَمَ الدَّرس، فكَانَ كَمَا يُظَنُّ باطِّلاَعه واجْتهَاده. وبعدَ يَسيرٍ، اسْتَأْذَنتهُ في الذَّهاب للدِّيمَاس[4] بقَصْد التَّسخين ممَّا أحسُّ به منَ الأَلَم الَّذي ألَمَّ. فأجَابَ باعثاً معي تلميذاً يُرشدُني. فكَانَ كالسَّابق. وقد ألمعتُ للحَديث عنْه قبلُ. ويبدُو كمَا قيلَ؛ إنَّه لا ثَالثَ لَهُمَا.

وبعدَ الاسْتحْمَام، خرجتُ طلباً للرَّاحة بمقْعد نَظيف. وعقبَ ذلكَ، خرجْتُ قاصداً الأُسْتَاذ. وحينَمَا وصلْتُ، أخَذَ يسألُني: كَيْفَ وجدْتَ ذاتَك [58] ؟ ثُمَّ استَشَارَني؛ هَلْ

---

(1) سعتر أو زعتر، من خصائص هذا النبات أنه نافع لوجع أصل والورك... - كشف الرموز في بيان الأعشاب، لعبد الرزاق بن حمدوش الجزائري مكتبة الوحدة العربية. ص 74.

(2) السبر : استخراج كنه الأمر.

(3) المين : الكذب، اللسان (مين).

(4) الديماس بكسر الدال وفتحها وتشديدها : الحمام، اللسان (دمس).

يُقدِّم العَشَاءَ ؟ فقلتُ له : كيفَمَا تُرِيدُونَ . فقدَّم لنَا أوّلاً حريرةً سُوسيةً تشبهُ الخَزِيرَةَ[1] عِنْدَنا، المَصْنوعَة من خالصِ الدَّقيقِ والأُرْزِ . ثمَّ قدَّم لي ما اقْتَرَحْتُه عليْه . وأخيراً أحضَرَ لنا مشروبَ الشَّاي والطِّيب (ماءُ الزَّهر) (والعُود الهِنْديّ) . وفي الأَثْنَاء، حضَرَ أخُوهُ؛ السَّيِّد إبراهيمُ يبحَثُ عَنَّا . فَتَرافَقْنا جميعاً نُرِيدُ منزلَ النَّاظر بقاعَة (ابنِ ناهضٍ)، وبها افْتَرَقْنَا مَعَ الزَّميلِ إبراهيمَ، وطرقْنا المَنْزلَ . وبعدَ برهةٍ، فَتَحَ لَنا وأطْلَعَنا إلى الدّويرَة، وجعلَ يَبحثُنا عن سبَب تَخَلُّفنا[2] اللَّيلة قبلَ الحَاضرَة . فوجَّهْنَا لَهُ العذرَ[بالمطَر][3]، حتَّى كانت المِيَاه والوحَلُ يصلُ للرُّكَب[4]؛ إذْ كَانَ الإصْلاَحُ جَارٍ فِي الوَادِي .

نعمْ، حدَّثْنَاهُ عنْ حالَتنا ومَا قاسَيْنَاهُ منْ جَرَّاءِ الأَمْطَارِ الغزيرَة في غَيْرِ إبَّانهَا، مِمَّا زَادَنا فزعاً منْها . ثمَّ أخبرتُه بالانْحرَاف الَّذي عرَانِي يومَه . وهُنَا وقفَ الحَديثُ، فقُمْنا للنَّوم لما نحنُ عَلَيْه مِنَ العيَاءِ .واسْتَرْسَلْنا إلى مثْلِ السَّاعة المعْهُودَة، فاسْتَيْقظْنا وأدَّينا مَا وَجَب، وفي الخِتَامِ، حضَر الفَقيهُ، وأخَذَ يَسْأَلُني عَنْ حَالي وكيفَ قَطَعْتُ اللَّيْلَةَ، فَشَكَرْتُه على تَفَقُّده لِحَالَتي، ثُمَّ خُضْنَا مُذاكَرَةً غَيْرَ كَبيرَة الجَدْوى حتَّى تُسطَّرَ . وخرجْنا نؤُمَّ الرَّائدَ، السَّيد : إبراهيمَ السُّوسيَّ بمدْرسَته، فجَلَسْنا مَعَهُ ساعةً نتحدَّث فيمَا يهمُّ المدرسَة، لمَا كانَ لَهُ من اهْتمامٍ بالِغٍ حَوْل سيْرهَا وتقدُّمها، نَرجو اللَّه أنْ يُحقِّق نيتَه ما قارَنَها[5] بالصَّبْرِ :[طويل] .

لأَستَسْهِلنَّ الصَّعبَ أو أُدركَ المنىَ   فما انقادتِ الآمالُ إلا لصابـــرِ[6]

ثم جُلْنا داخلَ المدينَة رغبةً في كشف مَا غابَ عَنَّا منَ المبيعَات المرَّاكشيَة، والمصْنُوعات الوطَنيَّة، مِمَّا كُنَّا نَزْدَادُ به غبْطَةً بالبلَد وأهْله . وأخيراً قفلنا نَؤُمُّ منزلَ الأخ العثْمَانيَ، تَلْبيَةً لدَعْوَته . فطَرَقْنَاهُ عنْد السَّاعة، كَبَاقي الإخْوَان . ومَرَّت لنا لحظةٌ حلوةٌ تحدَّثنا فيها عنْ كُلِّ ما لَذَّ، وبالأخَصِّ ما يُروِّجه الأسْتَاذان معَ الرَّفيقِ ابنِ المبَارك من مُداعَبات رقيقَةٍ في أبْواب الشِّعر، لاسِيَما اللِّحى منْ طول وقِصَرٍ، و، و . . وبينَما نحنُ نُروِّح الخاطرَ بالمُبَاحِ، حيْثُ نعلَمُ أنْ ليْسَ علينا فيهِ منْ جُناحٍ، وهذا الأخُ السَّيد عبدُ الجَليل أخْرَجَ لنا مُؤَلَّفاً جَديداً،

---

(1) الخزيرة : الحساء من الدسم والدقيق. اللسان (خزر).

(2) في الأصل : تخلف.

(3) في الأصل : بالشتاء.

(4) (ج) ركبة

(5) قارن مقارنة وقرانا : صاحب، اللسان (قرن).

(6) البيت من الشواهد النحوية. أنظر : ـ مغني اللبيب، الشاهد رقم 104 ـ شرح قطر الندى وبلّ الصّدى، تصنيف أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت 761 هـ). شركة المطبوعات الشرقية، مطبعة السعادة ـ مصر ط 11 ـ 1383 هـ ـ 1963 م. الشاهد رقم 16 ص 69. شرح ابن عقيل على الألفية، الشاهد رقم 222.

فاشْتَاقَ الكُلُّ لرؤْيَته قائلاً: مَا هَذا المُؤلَّفُ ؟: أرْبعينَ (أدَمِيَة) لانَوَوِيَة . وفعْلاً تَناوَلْنَاها؛ فإذا هِي لِهَذا الرَّجلِ الّذي سرعَانَ ما طَمِحْتُ لمعْرفَته. فتَرْجَمَ لي تَرْجَمَةً مشْبَعةً، قدَّمت أثناءَها شُكْري للجَمَاعَة.

فسبحانَ فاتِح القَرائِح، ومُفجِّرِ الصَّخْرِ بالحِكَم والنَّصائح. . نعَمْ، كَانت خَاتمةُ الجلْسة مَا سُطِّر. ثمَّ خَرَجْنا نَمشي في أطْرافِ المدينَة بقصْد المعرفة والتَّسليَة، والأهمُّ المقدَّمُ. ومَا أُبنَا إلا والشمسُ على أطرافِ النَّخيلِ. فذَهبَ بنا دليلُنا إلى كُتَّابه، وأمرَ لَنا بكَراسِي [59] فأُحْضِرَتْ؛ ثمَّ أخذْنا نتحدَّث عنِ الرِّباط ومرَّاكشَ حتَّى عرضَ من مادَّة المفاضَلة بيْنَ المدينتَيْنِ مَا عرضَ، فأنْشَدْتُ حالاً ثَالثَ أبياتِ عديّ بنِ الرِّقاع[1]، عَلى ما قيلَ: [طويل].

ولَكنْ بكَتْ قَبْلي فهيَّج لي البكَا بُكاها، فقلتُ الفضلُ للمتقدِّمِ[2]

عَقبَ هَذا، حضَر الغَبوقُ[3] - مشْرُوبُ البنِّ - فتَناوَلْناهُ في نشَاطٍ، ، وأنشدتُ قولَ القائلِ: [مجزوء الرجز].

اغْنَم أخي قهوتَنا وطعْمَها ولونَها
ولا تملْ لعاذلٍ في شُرْبها ولوْ نهى[4]

والبيْتانِ، يُقالُ إنَّهما لسيِّدي العَربي بن السَّائح[5] رحمَه الله، ويقالُ؛ للسَّيد ابراهيم الرِّياحي[6] . نعَم، أخبَرَني بعضُ الأُدبَاءِ الثِّقَات أنَّهما ليْسَا للرَّجلَيْنِ المذْكورَيْنِ؛ بلْ لبَعْضِ

---

(1) عدي بن زياد بن مالك بن الرقاع من شعراء دمشق، ومن مادحي بني أمية. توفي بدمشق حوالي 95 هـ - 714 م - الأعلام للزركلي،4 / 221 - إعجام الأعلام، لمحمود مصطفي. دار الكتب العلمية - بيروت ط 1 ، 1403 هـ - 1983 م. ص 159.

(2) ينسب هذا البيت لعدي بن الرقاع، وينسب كذلك لنصيب بن رباح. - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، لأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، هذبه : محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور). تحقيق : إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط 1 - 1400 هـ / 1980 م . ص 92 - الحماسة البصرية لعلي بن الحسن البصري، تحقيق : مختار الدين أحمد. عالم الكتب ط 3 - 1403 هـ / 1983 م ، 2 / 142 - شرح مقامات جلال الدين السيوطي. تحقيق سمير محمد الدروبي. مؤسسة الرسالة ط 1 - 1409 هـ 1989 م 2 / 825.

(3) الغبوق : ما يشرب بالعشي، اللسان (غبق).

(4) أنظر : - مجموع مخطوط الخزانة العامة، رقم 158 د ص 37 (غير منسوبين). - النسمات الندية، ص 44 وفية أنهما للعربي بن السائح أو لأبي الحسن علي بن أحمد المصمودي.

(5) العربي بن السائح عالم صوفي قضى نصف حياته بمكناس ونصفها الباقي بالرباط. له أشعار كثيرة معظمها في المديح النبوي، أثبت المرحوم الجراري بعضا منها. توفي سنة 1309 هـ - 1892 م. - من أعلام الفكر.

(6) أبو إسحاق ، ابراهيم بن محمد الرياحي التونسي (ت 1266 هـ / 1849 م) - دليل مؤرخ المغرب 2000 / 368.

الأُدبَاء السُّوسيِّينَ. قالَ: الحمْد للّه، وُجدَ بخَطِّ الفقيهِ أبي العبَّاس، السَّيد أحْمد بنُ موسى السَّلَوي[1] رحمَهُ اللّه، أنّه سمعَ من العَارف باللّه سيِّدي العَربي بْن السَّائِح، أنَّ مّمَا يُنسَبُ لسيِّدي عليّ بن أحمدَ المصْمُوديّ[2] هذَين البَيتَين.

ومن البَيْتَين هذَين، تُشَمُّ أفضَليَةٌ للبُنِّ عَلى الشَّاي. ولسَيِّدي عبدِ الغنيِّ النَّابلْسي[3]، شارحِ ديوانِ ابنِ الفَارضِ[4]، في حلْيَة البُنِّ حينَما سُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ: هَلْ يجوزُ أمْ لاَ ؟ قَالَ:[مجزوء الرمل].

هـذه القـهوةُ هـذهْ	هذه المسؤول عَنْها
كيف تُعْزى لحرَام	وأنا أشْرَبُ مِنْـها[5]

والأدَباءُ في المفَاضَلَة بَيْنَ الشَّرَابَيْنِ مَذَاهِبٌ؛ بَلْ تَغَالى بعضُ أعْلاَمِ قُضَاة فَاسَ مِمَّنْ عَاصَروا الشَّيْخَ حمدونَ بنَ الحاجِّ[6] في الحطِّ منَ الشَّاي، حتَّى حكَم فيه بالحُرْمَة، وألَّف في ذلك كتاباً أسْمَاهُ: (رَقمُ الآيِ في تَحْريمُ الشَّاي)[7]، وما أبْرَدَ هَذه عَلى كَبدِ الرَّفيقِ المـُحَرِّم، وكَمْ لَهُ مَنْ ناصرٍ وحَميمٍ.

نعْم، لا عَلى القَولِ بالتَّحْرِيمِ. فإنَّ مقَاطَعَةَ هَؤُلاءِ الشَّبابِ لا يَبْدو لَها باديءُ ذي بَدْءٍ، سَبَبٌ. بَلْ مُوجبُها في أبوَابه لا يَقْوى عَلى التَّعْبير عَنْهُ كَما لَوَّحْتُ لذَلكَ سَالِفاً. والنُّظُم المفْروضَةُ اليومَ، تَدْفَعُ لذَلكَ: (تُؤْخَذْ كَرْهاً أوْ تَجيءْ طَائعاً).

والحقَّ، أنَّ مَنْ سَلمَ من عوارِضِ تَحْرِيمِهِ، يَرْجعُ في حقِّه إلى أصلِ الإبَاحَة[8]. وقَدْ سُئِلَ عَنْهُ بَعضُهم فأجَابَ:[وافر].

---

(1) أحمد بن محمد بن موسى السلوي. عالم ومشارك في الأدب والنحو واللغة ت 1328 هـ ـ 1910 م. ـ الإتحاف الوجيز، ص 142 ـ الإعلام بمن حل مراكش، 2 / 462 . ـ من أعلام الفكر، 2 / 73 .

(2) أبو الحسن علي بن أحمد المصمودي ـ النسمات الندية، ص 45.

(3) عبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني النابلسي، شاعر ، عالم بالدين والأدب ومتصوف. ولد بدمشق سنة 1641 م، وتوفي بها سنة 1731 م. ـ الأعلام للزركلي ، 4 / 32 - 33 .

(4) طبع هذا الشرح بالمطبعة الأزهرية سنة 1319 هـ (جزآن في مجلد).

(5) أُنظر البيتين في : ـ مجموع مخطوط رقم 158 د بالخزانة العامة ص 27 .

(6) حمدون بن عبد الرحمان بن حمدون بن عبد الرحمان الشهير بابن الحاج السلمي الفاسي مفسر ومحدث وصوفي (1174 هـ / 1760 م ـ 1232 هـ / 1816 م). ـ سلوة الأنفاس 3 / 4 - 5 .

(7) ورد ذكر هذا المؤلف في : ـ حاشية محمد الطالب بن الحاج 2 / 148.

(8) حاشية محمد الطالب. ـ النوازل الصغرى المسماة «المنح السامية في النوازل الفقهية» لأبي عبد الله سيدي محمد المهدي بن محمد الوزاني. منشورات وزارة الأوقاف. مطبعة فضالة. ط 1-1412 هـ 1992م. ج 1 ص 356.

أرَىٰ شُربَ الأتايِ اليومَ جَرحاً   فلا تبقَى إذاً معهُ عدالةٌ
فلمْ يَحْرُمْ، ولم يُكرهْ ولكنْ   رأيْنا كلَّ ذي سفَهٍ عدَالَةْ[1]

ولقد كنتَ طالَعتُ (رسالةً) فيه للنَّاسكِ؛ السَّيدُ محمَّدُ بدرُ الدِّين الحسنِيِّ الحمُومي[2] أورَدَ فيها[3] منافعَه، وبيانَ طبخه، وكيفيتَه، وطريقَ استعماله، وسببَ ظُهوره. والبحثُ في ذلكَ يطولُ. وهنا فائدة يجدُر بنا عرضُها. ذلك، أنَّنا نرتَكبُ في [20] قلْيِ البُنِّ مايُخرِجُه عن الحلِّيَة بالمُبالَغَة في إحْرَاقه مما ينتَني إلى التُّرابيَّة بذهاب قُوَّته وروحه بالنَّار. وأنتَ تعلَم أنَّ أمثالَ هَذا مما يحذِّر الشَّرعُ منْه ويُنفِّر، طلباً منَ الشَّارعِ على محافظةِ الأبْدان، وهوَ أرْأَفُ بنا منّا. ولبعضهم في هذا المعنى كتابةٌ أسمَاها: (القولُ المحقّقُ، في تحريمِ البُنِّ المحرَّق).

وهَذا ما تفضَّلتْ به الجلسةُ. فنهضْنا لتَأدية وِتْرِ النَّهار جماعةً. وبعدُ، خرجنا نُريدُ تَلبيَةَ دعوة الشَّابَّيْنِ أحْمَدَ وأخيه، ابنَيْ القاضي السَّابق. وعندما بلغْنا دربَ الزَّاوية، ألْفَيْنا الأخوَيْنِ ينْتظرَاننا بفارغِ صَبْرٍ؛ فأدْخلونا، وتَلقَّانا أبوهُما باحْتفاءٍ وتَرْحيب. وبعدَ حَديثٍ يَسيرٍ قطعناهُ بأعْلَى الدَّار؛ اقْترحوا علَينا النُّزولَ للأَسْفَلِ، فامْتَثَلْنا. وبعدَمَا تَناوْلنا طعامَ العَشَاء، عُدْنا للغُرفَة. فلا تَسْأَل عن الرَّوضَة الغَنَّاء، والبسْتان النَّاضر الَّذي بِبَحْبوحَة الدَّار وصَحْنها. فتَمنَّيْتُ لَو قُدِّم لنا مَشْروبُ الشَّاي بيْنَ عَذبات أريجه وريِّه[4] المُنْتشر، لولا المانعُ الَّذي دفعَني لإنْشاد بيْت المُتَنبِّي البَديع[5] :[بسيط].

ما كلُّ ما يتمنَّى المرءُ يدركُه   تَجْري الرِّيَاحُ بما لا تشتَهي السُّفُن(م)

---

(1) أنظر البيتين في : ـ حاشية محمدالطالب بن حمدون على شرح ميارة. ويشبه هذا قول أبي الحسن على الأجهوري (في القهوة).

أقــول لأصحابي عن القهوة انتهوا   ولا تجلسوا بمجلس هي فيـه
فليست بمـكروه ولا بمحـرم   ولكن غدت مشروب كل سفيه

ـ هداية الضال المشتغل بالقيل والقال، لمحمد المامون بن عمر بن الطائع الكتاني (ت 1309 هـ ـ 1891 م). م خ ع 320 ك (ضمن مجموع) ص 150. ـ النوازل الصغرى 1 / 355.

(2) محمد بدر الدين الحمومي : له تآليف في السكر والأتاي : ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : محمد بن محد مخلوف. دار الفكر، وضمنه التتمة في فتوحات الخلفاء الراشدين.

(3) تسمى هذه الرسالة : ـ «رسالة فيما اشتمل عليه الأتاي من المنافع وبيان طبخه وطريقة استعماله وسبب ظهوره» طبعت على الحجر بفاس 132 هـ.

(4) الريا : الريح اطليبة. وريا كل شيء : طيب رائحته. اللسان (روي).

(5) البيت من قصيدة مطلعها :

بم التعلل لا أهل ولا وطن   ولا نديم ولا كأس ولا سكن

ـ شرح ديوان المتنبي، 4 / 366.

(م) فيه رواية : «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن».

وَتاقَ والدُ الأخوين أن يجتَمع بنا رغبةً في المشاركَة في السَّمرِ؛ بَيْدَ أنَّ الأستاذَ العثمانيَّ أبى عَليْه ذَلكَ بصَرامَته المعْهودَة، طلباً للحُرِّية. وبعدَ صَلاة العَشاء، أحضَرَ الأديبُ السَّيد أحمدُ الدُّكالي الشَّوْقيات[1]، فاستَلمها منْهُ، الأستاذُ العُثمانيُّ، وشرَعَ يُملي عَلينا منْها ما يلذُّ ويَطيبُ، والكُلُّ طيّبٌ ولَذيذٌ.

وأثناءَ هَذا، أحْضَروا آلَةً متكلِّمةً، (مكنة الغناء)[2]، فأداروا بها بعضَ الأسْطوانات للآنسَة أمّ كلْثوم[3]. وحولَ الطَّرب، نَهضَ السَّيد العُثمانيّ يُريدُ الذَّهابَ. فقُمْنا كذَلكَ، لكنْ أبَوْا عَلَيْنا إلاَّ الجُلُوسَ ممَا لَمْ نَجدْ مَعَهُ مناصاً. فجَلَسْنا وانْصَرَفَ الأُستَاذُ، وبَمَعيَّته الزَّميلُ إبرَاهيمُ. وفوراً رَجا الأسْتاذُ المُختارُ منْ تلْميذه :أحمَدُ، والمهديّ، رفْعَ الآلَة المغنِّية. وعنْدَما أحَسَّ بالتَّراخي، أغْلَظَ لَهمْ في القَولِ حتَّى رفَعَاها :[وافر].

مُحبُّك من يغارُ إذا دَلَلْتَ ويُغلظُ في الكَلاَمِ إذا أسأْتَ[4]

ثُمَّ نَشطَ الأُستاذُ، وخفَّت عواطفُه، واقترَحَ عَلَيَّ أنْ أُباحثَ الأخَويْنِ: 1) شوقي، 2) وابن خلدون[5] في الفقْه، والتَّأريخ، والجُغرافيَّة. قالَ الأُستاذُ: وقدْ بَلغوا في القَوانينِ حَتَّى أبواب النِّكاحِ. فأمرَ إذْ ذاكَ باختصارِ نُسخةٍ من قوانينِ ابن جُزي[6] أبي بَكْرٍ الغرناطيِّ؛ شيخ لسانِ الدِّين بنِ الخَطيب[7]، وناولَني إيَّاها. فجعلتُ أُذاكرهُم عنْ طريقِ البَحثِ في آخرِ دُروسهِمْ، وهُمْ يُجيبونَ عَنْ كلِّ الأسْئلَة بنُصوصِ الفقْه، ذاكرينَ بعضَ الخلافات المذْهَبيَّة، وآراء الأئمَة في المَسْألَة ممَّا برهنَ لي عَنْ تَحْصيلهِمْ. [61] ثُمَّ انْتقلْنا لفنِّ التَّاريخ، فكانَ الأخُ المهديُّ الدكَالي يُجيبُ بكلِّ إصَابة ولاسيَما في وَفياتِ رجالِ المغْرب وأبْطالهِمْ ممَّا استحَقَّ به لقبَ (ابن خلْدُون الصَّغير).

وبعدُ، حوَّلنا الحديثَ إلى فنِّ التَّقويم المَعروف لدى اليونانيِّينَ بالجُغْرافيا. فكَانَ الشَّابُّ (أحمدُ شوْقي) يتصَدَّى أثْناءَ الفَنِّ للجَواب عنْ مقْدرَةٍ واطِّلاعٍ، وبالأخَصِّ في جُغْرافيَّة

---

(1) يعني به : قصائد أحمد الدكالي المعروف ب«شوقي».

(2) معربة عن : Machine.

(3) (1316 هـ 1898 م/ 1395 هـ 1975م). ـ أم أكثلوم : حياتها وأغانيها. إعداد وكتابة سعاد الهرموني. مكتبة النهضة بغداد.

(4) البيت لأبي عثمان سعد بن ليون التجيبي ـ نفح الطيب 5 / 551.

(5) لقب للمهدي بن محمد بن العربي الدكالي، أخ أحمدالدكالي «شوقي».

(6) سبقت ترجمته.

(7) لسان الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب السلماني : مؤرخ وأديب (713 هـ 713 م ـ 776 هـ ـ 1374 م). ـ البدر الطالع ، 2 / 191 ـ جذوة الاقتباس، 308 ـ سلوة الأنفاس، 3 / 187 ـ الإعلام بمن حل مراكش، 42 ص ترجمة رقم 613 . ـ فهرس الفهارس، 1 / 379 ترجمة رقم 179.

المَغْرب الأقْصى. وبالإثْر استَفْسَرْتُه عنْ أكْبر فائدَةً يَجْنيها دَارسُ الفَنِّ الجُغْرافِيِّ؛ فكانَ جوابُه ما يظنُّ بشابٍّ اختارَ لَقَبَ شَوقي لنفْسه. وقدْ ألْمَعتُ لذَلكَ سابقاً.

وهُنا تَرامى الأُسْتاذُ المختارُ يُلقِي أسئلةً عن الحالة العلميَّة المتضعْضعَة. قالَ: وما السَّبب الأقْوى في ذلكَ؟ وهلْ يُمْكنُ إرجاعُها إلى الأَوجِ معَ التَّحْسين؟ وَما هِي الوَسائلُ الَّتي تُعينُ عَلى التَّدارك؟ وما موجبُ التَّفاقمِ الَّذي نَراهُ سائداً بينَ الشُّيوخِ؟ وهلْ يُرجى منْ هَذا الشَّباب غَناءٌ وخيرٌ للآتي؟ وماهي الأدوارُ الَّتي تعترضُ النَّشْءَ في الدِّراسَة؟

نَعمْ، كُنتُ أُجيبُ الأستاذَ عن أسْئلته حسَبَ ما أعلمُ ببرَاهين المشَاهدة والتَّجربة، وهوَ يُناقشُ فيما لا يلائم ذوقه. وسرعانَ ما نُرجع ذلكَ إلى أبواب النَّقد البَريء، والبحْث النَّزيه في الأَخذ والرَّدِّ إلى أنْ استَيقْصينا كلَّ الأسئلة. وكثيراً ما كنَّا نستمدُّ في الأثناء فوائدَ جَديدةً يسمحُ بها الموْضوعُ، الأمرُ الَّذي كانتْ لهُ اللَّيلةُ مُفيدةً. فلمْ نَحظَ بمِثلِها منذُ حُلولنا مرَّاكش.

وبعْد ما سُطِّر، أطلعَنا الإخْوانُ على كِتاباتٍ لَهُما في مَواضيعَ مُخْتلفةٍ بقَلَمٍ فارعٍ[1]، وعبارات سَلْسَلَةٍ في قالبٍ جَديدٍ واتِّجاهٍ حيٍّ. أمَّا الشَّابُّ أحمدُ شوْقي، فلَه جرَّات وكتاباتٌ في شُعراءِ بَني أمَيَّة بالمشرق، تكلَّفتْ بذكر أشعارهمْ، وما جَرياته، ولَطائفهم، وطرائفهمْ الأدبية؛ فترجَم لنحوِ الأربعينَ شاعراً. وكثيراً ما يَجعلُ المقارنَةَ بينَ شاعرَيْن. وهَذا أعْلَى جَوٍّ يُحَلِّقُ فيه الأديبُ الكاتبُ. ويَامَا كَانَ أحرى تلك الكتابَة بالنَّشر. والفضْلُ في ذلك يعودُ للأُستاذَين المختارُ ومحمَّد العثمانيّ اللَّذين بعَثا فيه هذا الاتِّجاه: [كامل].

والمرءُ[2] في ميزانه أتباعُه فاقدُرْ لذا قَدْرَ النَّبيِّ محمَّد[م]

وَفي هذَا انحصَرتْ جلسةُ اللَّيلَة، فقُمْنا للهُجوع. ولَدى الفَجْر، نَهْضنا لأداء ما وَجبَ، ثمَّ عدْنا للنَّوم. وعنْد السَّابعَة، اسيقظْنا، وأخَذَ الأستاذُ يعتِبُ عَلى الرَّفيقِ تَأْخيره واجبَ الصَّباح، حيثُ لمْ يَستيقظَ قائلاً: أهذه الوطنيَّةُ توحي إليكمْ بهَذا؟ أمْ منْ شرطها التَّكاسُل عنِ اغْتنامِ فضيلَةِ البُكورِ وبَرَكته، الأمْرُ الَّذي أدَّى بالصَّديقِ أنْ جَعَلَ يعْثُر في تَنَفُّساته.

---

(1) ديوان البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2 - 1973 م. ص 74. من قصيدة (142 بيتا) يمدح فيها أبا العباس المرسي ويعزيه في شيخه أبي الحسن الشاذلي. ـ اليواقيت الأحمدية العرفانية، واللطائف الربانية في الأجوبة عن بعض الأسئلة في الطريقة التيجانية لأبي العباس أحمد اسكيرج. طبعة حجرية ص 76. ـ فهرسة حديقة الأزهار، 2 / 4216.

(م) والبيت من قصيدة دالية للعلامة البوصيري في المديح ومنه :

قل للذين تكلفوا زي التقى وتخيروا للدرس ألف مجلد

لاتحسبوا كحل العيون بحلية إن المها لم تكتحل بالإثمد

نعمْ، كَانَ للرَّفيقِ وقتَه عذرٌ، ربَّما يسمحُ لهُ بالتَّأخير. ثمَّ خرجْنا صُحْبَةَ الأُسْتاذ [62]. وعنْدَ مَدْرستَه حصَرَ عَلَينا كَيْ نَدْخُل مَعَه، فأجبْنا، وَهَيَّأَ لَنا فُطوراً وشَاياً، فتناوَلْنا منْ ذلكَ ما قُدِّر. وبعدُ، اسْتأذنَّا في الذَّهاب، شَاكرِينَ إكْرامَهُ عَلى[أمل] اللِّقاءِ بمنْزل السَّيد عبْد الجَليل. فسرْنا نقصدُ السَّيدَ إبراهيمَ بمدْرَسَته. فدَخلْناها وبَقينا بهَا نَدرسُ حالَ التَّلاميذ وَأخلاقهمْ ونُشاهدُ منْ اجْتهادهمْ ما يَبْعَثُ فينا مُشاركَتَهمْ في المَخْطوطات بالبَحْث وحَلِّ ما يُمْكنُ اعْتصاؤُه عَلَيْهمْ. وعندَ الزَّوال، قصَدْنا مَنْزلَ السَّيد عبد الجَليلِ، إجابَةً لدعوته. فتلقَّاها بكلِّ سُرورٍ. وبَعْد هنيْهَة، شَرَعْنا نَتَحَدَّث مَعَ بعضِ الإخوانِ في جَوانبَ مُتَنوّعة كالحَديث والسُّنَّة المُصْطفيَّة، وتعكَّر الجَوُّ في وُجُوهنا وقْتَ ما ذَكَرتُ الأربعينَ الفارطَةَ.

ثُمَّ عنْدَ الخُروجِ، دنَوْنا منْ مكتبةِ الفَقيه، فعثَرنا على: مُعجَمِ البلدان[1] لياقوتٍ[2]. وحيناً، أطْلَعنا عَلى آخرِ غريبٍ وهُوَ: مُعْجَمُ ما استُعجم[م] في جُزأينِ ضَخْمينِ لمُؤلفه أبي عُبيدٍ البَكْريِّ[3]. نَعَمْ، تَوَقَّفْنا في خطِّه؛ فمنْ قائلٍ؛ إنَّه مَطبعيٌّ، ومنْ قائلٍ، يَدَويٌّ؛ وهوَ ما قويَ لدَيْنا. والكتابُ من الذَّخائرِ الَّتي وُجدتْ بمَكْتَبَة الفقيه.

وعندَ الخُروجِ، اتَّفقْنا على الذَّهابِ لقَريَة (آمزْميزْ) سَحَراً قبْلَ الفَجْر. وآمزميزُ؛ قريةٌ تبعدُ عنْ مرَاكشَ بستِّينَ كيلومترٍ ونيِّف. فإذْ ذاكَ أَبْرَمَ مَعَنا الأ خُ العُثمانيُّ البَيات[4] معَهُ رغبةً في النُّهوضِ لَدى الوقْت، ومَعَنا الأُسْتاذُ المُخْتارُ. وَفي هاته العشيَّة اغتَنمْنا شراءَ ما بَقيَ لَنا منْ أشياءَ تَلفتُ النَّظرَ نسْبيَاً، وَوَضَعْنا كلَّ ذلكَ عنْدَ الصَّديقِ إبراهيمَ. وليلاً، قصَدْنا منزلَ الزَّميلِ العُثمانيِّ، فقطَعْنا اللَّيلة بشيءٍ منَ السَّمَرِ العلْميِّ. ثمَّ نمْنا إلى السَّاعة [الثَّالثة والنِّصف][5]؛ إذْ أيقظَنا الأ خُ عنْدَها فتوضَّأنا وخرجْنا نَؤمُّ السَّيارةَ، وإزاءَها الْتَقيْنا بالإخْوان إلاَّ واحداً، تَحَسَّرنا لتخَلُّفه. فامْتَطيْنا صَهْوَتَنا، وحيناً شَرعتْ ترمِي بنَا الأطْرافَ. وعندَ

---

(1) طبع عدة مرات.

(2) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، مؤرخ وجغرافي، عالم باللغة والأدب. (574 هـ ـ 1178 م / 626 هـ 1229 م).

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان، في معرفة حوادث الزمان، لليافعي : عبد الله بن أسعد (698 هـ ـ 1698م / 768هـ 1367 م) طبعة حيدر آباد (1337 هـ ـ 1339 هـ). 4 / 49 ـ الأعلام للزركلي 8 / 131.

(م) مطبوع في أربعة أجزاء.

(3) عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (أبو عبيد) : مؤرخ وجغرافي توفي 487 هـ ـ 1094م. ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة. شرح وتحقيق : نزار رضا، دار مكتبة الحياة ـ بيروت 1975 م 2 / 52.

(4) بات يفعل كذا ليلا يبيت ويبات بيتا وبياتا ظل يفعل ليلا. اللسان (بيت).

(5) في الأصل (2 / 3،1).

الإسْفار، وقفت فنزَلْنا تَادِيةً لواجبِ الصَّباحِ. ثُمَّ ركبْنا وقدْ استَأنَفتْ سيرَها. بَيْدَ أنَّها تَقفُ في بَعضِ المحطَّات (كَواد نَفيس) ذي السدِّ الجَديد الَّذي ـ بكلِّ أسَف ـ لَمْ نتمكَّنْ منْ رُؤْيَةِ بنائه الفَخْمِ. وما كُنا نَصلُ إلاَّ والشَّمسُ قدْ أشرَق عَلَيْنا نُورُها الذَّهبيّ، وأصيلُها الصَّباحيّ. فدخَلْنا (آمزْميزَ) اللَّطيفَةَ. وأولُ مشْهَد لَنا بَها، مَكْتباً قُرْآنياً. فلَمْ نزد عَلى أنْ زُرْناه، وقدْ أعطَى بعضُ الإخْوانِ للمعلِّم هديةً، فدعا للجَميعِ هوَ وتلاميذُه ﴿قالَ: أستَغفِر لَكم ربِّي﴾[1]. (أدعُوني بلسَانٍ لاَ تعصونِي به)، وألْسنَةُ الخَلْقِ أقلاَمُ الحقِّ.

ثُمَّ توجَّهنا لدَارِ القَاضي السَّيد أبي بَكْر[2]، فوجدْناهُ نائماً، وسرعانَ ما استَيْقَظ، وأقبلَ فرحاً مسروراً. فأدخلَنا إلى المنْزلِ، وفرَّش لنا بعضُ خُدَّامه صَحْنَها. وعنْدئذ، قدَّم ما تَيَسَّر منَ القِرَى مَعَهُ شيءٌ من التِّينِ الطريِّ، كأنَّه من تينِ [63] مالقةَ[3] الَّذي يقولُ فيهِ الأَديبُ: [سريع].

مالقةُ، حُيِّيتَ ياتينَها   الفُلْكُ من أجلكَ يَاتينَهَا[4]

وَبَعدَ برهة، خرجْنا نتجوَّل في آمزميزَ وضَواحيها إلى أَنْ أدَتنا خَاتمةُ المَطَافِ إلى ظلٍّ جدارٍ للقَرية، كَما سَتَراهُ في المسَاجَلَة بعدُ الَّتي قدَّمها الأستاذُ المختارُ بهذهِ الفاتحَة:

الحمدُ للَّه وحدَه، وصلَّى اللَّه على سيِّدنا محمَّد وآله وصَحْبه:

أسْعَدنا الحظُّ، ورمقتْنا السَّعادةُ يومَ الأربعَاءِ 2 / 6 / 1353، فزُرتُ معَ السَّادات العلماءِ المحترَمينَ والشُّعراءِ المفوَّهين[5]: سَيِّدي محمَّد بنُ عثْمانَ المرَاكُشيُّ، وسيِّدي أحمَدُ بنُ الفاضِلِ، وسيِّدي عبْدُ الجليل بن أحمَد[6]، وسيِّدي عبْدُ اللَّه بنُ العبَّاسِ الجرَّاري الرِّباطِيّ، وسيِّدي مصطفى ابنِ [الـ] مبارك: القاضيَ الأجلَّ الكريمَ، النابغَة سيِّدي أبَا بَكْرٍ بآمزميزَ. فكانَتْ هناكَ مسَاجَلاتٌ عَجيبةٌ طرَقْنا فيها مَواضيعَ شتَّى. ولكنَّ أغربَها وأوقعَها في النُّفوسِ؛ المسَاجلةُ

---

(1) سورة يوسف، آية 98.

(2) أبو بكر المسفيوي.

(3) مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوب شرق الأندلس. ـ نفح الطيب 1 / 186، . . ـ معيار الاختيار، ص 87.

(4) البيت لأبي الحجاج يوسف البلوي. ـ نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، لسان الدين بن الخطيب (713 هـ ـ1313 م 8776 هـ ـ 1384 م) تقديم وتحقيق: السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة ـ البيضاء. ط 1، 1409 هـ ـ 1989 م. 3 / 229 ـ الحلل السندسية 1 / 192. ـ الروض المعطار، ص 518. ـ الرحلة الكبرى 7/1 ،. وقد ذيل على هذا البيت الإمام الخطيب أبو محمد عبد الوهاب المنشي بقوله.

وحمص لا تنس تينها   واذكر مع التين زياتينها

ـ الحلل السندسية، 1 / 192.

(5) أي القوالين، اللسان (فوه).

(6) بلقزيز سابق الترجمة.

الَّتي أُطلِق عَليْها « أحلَى المشَاهد » . تَنَاوَلْنا ما يتعلَّل به المبكّر صبَاحاً . فجُلْنا في نوَاحي القَرية إلى أنْ أدَّتْنا خاتمةُ المطَاف إلى ظلٍّ جدارٍ يُطلُّ على ذلكَ الوَادي الجَميل الَّذي يَخْلبُ الأبْصارَ، ويبهَرُ الألْبابَ بزَياتينه المخْضَرَّة، وحُقوله العَميقَة الزُّروع. فَبينَما نحنُ نُرسلُ الأبْصَارَ تَتْرى[1]؛ إذْ بثيران في رَبْرَب [2]منَ البقَر اشتَبكتْ مُطارِدةً فكأنَّما أحسَّتْ بحُسْن الطَّبيعَة، وأحبَّت أن تُشاركَ باغتنامِ الفُرصَة. واستَرْسَلتْ في جسَارَتِها عَلى رَأْي سَلْمٍ الخاسر[3]:[مخلع البسيط]

من راقب النَّاس ماتَ غمّاً وفازَ بالـلَّـذة الجَسور[4]

فأخَذ ذلكَ المشهَدُ الخلاَّبُ الغريبُ، كلَّ مأخذٍ حتَّى فاضَت القَرائحُ، وتدفَّقت الأشْعارُ، واستيقَت الأفكَارُ. فَما زايَلْنا محلَّنا حتَّى كِدْنا نَذوبُ أريحيَّة، ونَطيرُ في الأجْواءِ خفَّة روحٍ، والأديبُ يَرتاحُ، والكريمُ سَلْسُ القِياد :[كامل] .

لا تعذل المشتاقَ في أشْواقه حتَّى يكونَ حشَاكَ في أحشائه[5]

فهذا ما قِيلَ في ذلكَ مَرْموزاً بـ(خـ) لما قالَ المخْتَارُ، وبـ(عـ) لما قالَ الأستاذُ ابنُ عثمانَ، وبـ(ف) لما قالَ الأستاذُ أحمَدُ بنُ الفاضلِ، وبـ(س) لما قال سيِّدي عبدُ اللَّه الجرَّاري . ثم إنَّ ما قلتُه، لَمْ أقلْ كلَّه تلكَ السَّاعة، بلْ نظرتُ في القصيدَة بعدَ ذلكَ نظرات فزياداتٍ حتَّى تَلاحَمتْ أبياتُها (كما تلاحم الورَكان[6] والوَركان) 2 / 6 / 1353 . [كامل] .

---

(1) أترى : عمل أعمالا متواترة، بين كل عملين فترة، المعجم الوسيط (ترى).

(2) الربرب : القطيع من الظباء، ومن البقر الوحشي، ج ربارب، المعجم الوسيط.

(3) سلم الخاسر ولد بالبصرة وبها نشأ،وهو من شعراء الدولة العباسية توفي سنة 186 هـ ـ 802 م ـ وفيات الأعيان، 1 / 198 . ـ تاريخ بغداد ، 9 / 236 .

(4) يروى أنه أغضب بشارا بهذا البيت لأنه أخذ معناه من بيته :
من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
ـ نهاية الأرب، 3 / 81 . ـ نفاضة الجراب، 287. ـ أمثال العوام، 2 / 399. ـ زهر الأكم، 135.
ـ شرح نهج البلاغة الجامع لخطب ورسائل وحكم علي بن أبي طالب، لابن أبي الحديد. دار الرشاد الحديثة. د.ت، 4 / 527.

(5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة. دار نهضة مصر، القاهرة. د.ت 4 / 107 . ـ قطر الغيث المسجم على لامية العجم، لعبد الرحمان الشافعي العلواني الطبيب، (بهامش كتاب نفحات الأزهار) عالم الكتب ط 2 ، 1404 ، هـ ـ 1948 م. ص 819 .

(6) الورك والورك والورك (بواو مفتوحة وراء مفتوحة في الأول ومكسورة في الثاني وواو مكسورة وراء ساكنة في الثالث) : ما فوق الفخذ كالكتف فوق العضد. اللسان (ورك).

خـ : أحلى المشاهد مشهدُ النـزَوان[1] أرأيت قطّ تنازيَ الثيران
ع : كنا نُطلّ بربوة وأمامنا من ذاك ما هو غاية السّلوان
خـ : والجوُّ صافٍ، والطّبيعةُ طلقة حتى استُثيرتْ غُلمة الحيوان
خـ :هذي العجول تطاردت شَبقاً[2] كمَا تتطاردُ الفرسانُ يوم طعان [64]
خـ : هذا يعاركُ هذه فكأنما أخذَ الغريمُ[3] (ف) بمخْنق المديَان[4]
خـ : تجري، فيدركُها بسرعة أيِّد[5] أجْرى من الأفراس في الميدان
ع : يهوي فتظهر نفرة ولو انها رضيتْ بكلّ فؤادها الجذْلان
س : يحنو إليها رائما لعناقها والرُّمحُ محمرّ الجوانب قان
خـ : فتروعُ منه تذلّلاً وبوُدّها أن لا يبارحَها بكلّ مكَان
خـ : حتى إذا استَخذَتْ[6] توثّب فوقها فتلاحَم الوَركان والوركان
خـ : فكأنّه متوسّداً أوْراكها ملكٌ توسّد شُرفة الإيوان
ع : يختال من فرحٍ وطيب تلذّذٍ تبدو عليه نشوةُ السّكران
خـ : فَيَودُّ من حُلو الوِقاع لو انّه يبقى كذلك ما بَقَى الملَوان[7]
خـ : حتّى إذا بَلَغَ المرَامَ وقُضِّيَتْ أوطارُه واسترخت الرِّجلان
خـ : ومضَى النَّشاطُ وفُتِّرَتْ عَزَماتُه واستُبدل الإغْذاذُ[8] بالحَجَلاَن[9]
خـ : شامَ[10] الحسامَ وآبَ يَهْدِرُ[11] صوتَه فعْلَ الألَى[12] انتصُروا على الأقران
خـ : ملأ البسيط صياحه فكأنه نادى أن قد قرَّت[13] العينان

(1) النزو : الوثبان. ومنه نزو التيس.ولا يقال إلا للشاء والدواب والبقر. نزا ينزو نزوا ونزوانا. اللسان (نزا).
(2) الشبق : شدة الغلمة وطلب النكاح. يقال : رجل شبق وامرأة شبقة. اللسان (شبق).
(3) الغريم : الدائن.
(4) المديان : من يقترض كثيرا. اللسان (دين).
(5) الأيد : القوي الشديد. اللسان (أيد).
(6) استخذت : أصبح الإنسان مستأخذا أي مستكينا. والمستأخذ : المطأطئ الرأس.
(7) الملوان : الليل والنهار. اللسان (ملو).
(8) الإغذاذ : الإسراع في السير. اللسان (غذذ).
(9) الحجلان : مشية المقيد، اللسان (حجل).
(10) شام الحسام : سله. وهو من الأضداد. اللسان (شيم).
(11) هدر هدرا وهديرا : ردد صوته في حنجرته، اللسان (هدر).
(12) ألى : استطاع : ألوته وائتليته وأليته. اللسان (ألا).
(13) قرت عينه : سر ورضي . اللسان (قرر).

خـ : فَلْتَهْنَ ثورُ، فلم تصادف في الهَوَى ... مـا حـال بـين العَيْـر والـنّـزوان[1]

خـ : كنت السعيد فجئتها في وهـدة[2] ... أخْـفـى لـذى وصْلٍ مـن الكتمانَ

خـ : فقضيتَ منها ما تُريد كما تَشـا ... وبـلـلت غلـة قـلـبـك الصَّدْيـانَ

عـ : لكائما والصبُّ لا ينسى الهـوى ... قد هِجْتَ ما قد هجْتَ في الإخـوانَ

خـ : تتصاعدُ الأنفاسُ في لـهَوَاتِهـم[3] ... لمـا صـبَـوْا[4] بـتـغـازُل النّـيـرانَ

خـ : وتسابقتْ عبَراتهم لو ينْطفـي ... بالدّمع ما بالقلبِ من أشْجـانَ

خـ : قد شاهدوا ما شاهدوا فتذكـروا ... والذّكـر يُـذكي لاعِـجَ[5] الوجْـدانَ

خـ : ذكروا ظبـاءً فاتنـاتٍ كالـدُّمـى ... نَجَـلِ[6] العُـيُـون، فـواتـرِ الأجـفـانَ

خـ : من كـلِّ باهرَة[7] كـأنّ جبينـهـا ... بـدرُ السَّـمـاء لسـتَّـةٍ وثـمـانَ

خـ : كُحُلُ العيونِ ووجنـةٌ مُحمـرَّةٌ ... أكَـذا يـكـونُ تـنـاسـبُ الألـوانَ ؟

خـ : يختالُ منْها القدُّ[8] في ردْفٍ[9] كما ... تـتـأوّدُ[10] الأغـصـانُ في الكـثْبـانَ

خـ : تمتصُّ من رَشَفاتِها فتذوقُ مـا ... يُنسِي رحيقـاً عُتّقَتْ بِدِنـانَ[11]

---

(1) الشطر الثاني من هذا البيت أصله مثل « قد حيل بين العير والنزوان» وأول من قاله : صخر بن عمرو بن الشريد ثم جعل كالمثل يضرب عند الشيء يحاوله الإنسان ويتمناه فلا يصل إليه :

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

ـ الزاهر في معاني كلمات الناس. لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري. تحقيق : حاتم صالح الضامن، اعتناء : عز الدين البدوي النجار مؤسسة الرسالة ط 1 - 1412 هـ - 1992 م 2/335. رقم 809 . ـ جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري. دار الجيل، بيروت. ط 2 ـ تاج العروس، (نزا)، والعير : بتكسين الياء : الحمار الوحشي.

(2) الوهدة : الأرض المنخفضة، اللسان (وهد).

(3) اللهات : اللحمة المشرفة على الحلقة ج لهوات ولهيات، اللسان (لها).

(4) صبا صبوا وصبوة : مال إلى اللهو. اللسان (صبو).

(5) اللاعج : الهوى المحرق. اللسان (لعج).

(6) النجل : بالتحريك : سعة شق العين مع حسن. نجل نجلا. اللسان (نجل).

(7) يشير بقوله : لستة وثمان (الشطر الثاني) إلى الثلاث البهر ؛ وهي الليالي التي يغلب فيها ضوء القمر النجوم : وهي الليلة السابعة، والثامنة، والتاسعة. ويقال، قمر باهر ؛ إذا علا الكواكب ضوؤه وغلب ضوأها. أي أن هذه الباهرة المشار إليها في البيت علت كل من يفاخرها وظهرت عليه، اللسان (بهر).

(8) القد : القامة، والقد : قدر الشيء وتقطيعه. اللسان (قدد).

(9) ردف كل شيء : مؤخره، والردف : العجز. وخص بعضهم به عجز المرأة، اللسان (ردف).

(10) تأود : تعوج، وتثنى. اللسان (أود).

(11) الدنان : الحباب (وعاء الماء كالجرة). اللسان (دنن).

(12) ألى : استطاع : ألوته وائتليته. اللسان (ألا).

خـ : إن كانَ سكْرٌ في الرّحيق فَظَلْمُهـا[1] للصـبِّ فـي رشَـفـاتـه سُكــران
خـ : ذكروا، ومن ذا ليس يذكُر الهـوى إن عـنّــت الـفـتـيـاتُ لـلـفـتْـيـان
خـ : من ذا يرى الحرْب العوانَ[2] ولا يَرى أن لـو يـكـونُ بـهـا مـن الـفُـرسـان
خـ : لمَ لا أصولُ كـمـا أريـدُ بـصـارِمـي (ف) يـومَ الـعِـراك كـصـوْلـة الثِّيـران[65]

ف : صـبْراً جـمـيلاً يـا غـريبـاً قـدْ أتـى مـزمـيزَ مُـنـفَـرداً عـن الـغـزْلان
خـ : إن لم تُطقْ، فاجلد عمَيْرَةَ[3] فالّذي تـبغيـه قـد تـكـفيـكَـه الـكـفّـان
خـ : أأكفُّ يا إخوانُ عن خوْض الوغى وأنـا الـذي تـدرُون يـومَ طـعـان
خـ : يا أيها القاضِي الكريمُ المرتضَى شُـكْـرٌ لمـا أوليتَ بـل شُـكـران
خـ : فلقد أفضت مكارما ما عـندنا في وصـفـها كـمَـا يَـليقُ يُـدان
خـ : دُم لـلـسَّـعـادة والمجَادَة والـعـلا والـبـرِّ والإفـضـال والإحسَـان

هنا انْتهَت المسَاجلةُ، وقفْلنا نريدُ رياضَ القَاضي، فدَخَلْناهُ. وأثْناءَ العوْد، كانَ يَفصلُ بعضَ القضَايَا. نَعَمْ لاَ نَدْري من ذلكَ شيئاً عَدا الأخَ المختَارَ والأستَاذَ العُثْمَانيَ؛ فإنَّهما يَعلَمان كلَّ ذلكَ ضَرورة أنَّ أهلَ تلكَ النَّواحي بَرابرَةٌ يعسُر علَى أيِّ قاضٍ لاَ يفْهَمُ البَربريَّة، أنْ يتمكَّن من فَصْل القَضَايا وإنْصَاف المظلُوم منَ الظَّالم. أجلْ، جلسْنا بأحد بيُوت الرِّياض، والرَّوضُ أمامَنا يتدفَّق ماؤُه، وتَميسُ[4] أغصانُه وأزهارُه، وأُحْضِر مَشروبُ الشَّاي. وطَفقَ الأستاذُ العثْمانيُّ يُلْقي علَينا منْ معلومَاته ونكَاته اللَّطيفَة ما يَشْفي. وكانَ منْ بَيْن ذلكَ، مسألةُ: مَنْ نَذرَ[5] صومَ يَوم معيَّن فاعتَراهُ نسيَانٌ؛ هل يَقْضي أمْ لاَ؟

فَجلُّ الإخوَان قالَ بالقَضاء سوَايَ وآخَرُ، قُلنَا: لاَ قضَاءَ. وحجَّةُ الإخوان أنَّ النِّسيانَ ليس منَ الاضْطراريات، بلْ هُوَ ممَّا يدخلُ على النَّفس ويُكتسبُ. وعلَيه، فيومرُ منْ علقَ به بالقَضَاء، وهو واضحٌ لو كانَ الشأْنُ ذلك. والحالُ أنَّ النّسيانَ أمرٌ مغلوبٌ لَهُ الإنسانُ لا يَقْوى عَى دَفعه ﴿لا يضلّ ربّي ولا ينسَى﴾*. قال عليه السّلام: [«إنَّما أنا بَشَرٌ، أنْسَى كمَا تَنْسَوْنَ، فإذا نسيتُ فذكِّروني[6]»]؛ وإنْ كانَ البلاغ الآخرُ صَريحٌ في القضيَّة. وهَذا ما

---

(1) الظلم : الماء الذي يجري ويظهر على الأسنان، اللسان (ظلم).
(2) الحرب العوان : التي كان قبلها : أي المتمردة، اللسان (عون).
(3) جلد العميرة أي الاستمناء باليد.
(4) ماس يميس ميسا وميسانا : تبختر واختال. وغصن مياس : مائل. اللسان (ميس).
(5) نذر : أوجب عى نفسه. اللسان (نذر).
(*) سورة طه ، آية 52.
(6) سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن شك في صلاته فتحرى الصواب. حديث رقم1211 ج 1 ص 382 ـ العجم المفهرس لألفاظ الحديث، 6 / 451 (نسي).

ينتُج لنا، أن ناسيَ نَذْرِه المُعيَّنِ لاَ يَقومُ بالقضَاء، لاسيَّما وشرطُ التَّعيينِ قاضٍ بذلكَ، يفُوتُ الشَّيءُ بفَوَات وَقْته. ومنْ هنَا تعلَمُ، ويتَّضَحُ لكَ اتِّجاهُ فُقهَائنا - رحمَهم اللّهُ - حتَّى قالَ إمامُهم مَالكٌ: يُكْرَه أن ينذُر الإنْسانُ صومَ يوم بوقْته. ويلمَحُ لمسْألتنا بقولِ المدوَّنَة. قالَ مَالكٌ: [«] مَنْ نَذَرَ صوم كُلِّ خميس يَاتي، لَزِمَهُ. فإنْ أفطَرَ منْهُ خميساً متعمِّداً قضاهُ[»][1] فاستَفَدْنا إذَنْ منْ مفهُوم «متعمِّداً»، أنَّ لاَ قضَاء علَى النَّاسي لِكَونه لاَيَدَ لهُ في ذلكَ حتَّى يُعامَلَ بنَقيضهَا، فيُلْزَمَ بالقَضَاء. وإلاَّ؛ فأيُّ فرقٍ يصبحُ بيْنَ العَمْد والنِّسيَانِ في غير المؤاخذة بالأول دُون الثَّاني. وأيّاً ما كان، فالنّسيانُ باديءَ ذي بدءٍ، من الاضطراريات الّتي لا طاقة للعبد على طرْدها، بل تلبسُه من غير إشعارٍ حتى يجدَ نفسهُ، بعد حين، قد فاتتْه آمالٌ كان عيّنها وعيّن لها ظروفاً. إذا، فيمكن أحياناً أن يُدخل الإنسانُ ذلك على نفسه ما كان فيه مصلحة [66] كدفعِ همٍّ وغمٍّ. أمّا في أبواب العبادات التي من محبّته الاشتياق إليها، ضرب لها ظرفا معيّناً للحظوة بثوابها، ما كان ليخطُر ببال المكلّفِ السعي في ذلك، وإلاَّ كان هازئا، متلاعباً بالأَيْمَان والنّذُور. ولهذا تراهُم كرِهُوا النّذر المعيَّن باديءَ الأمر. وأجازُوا المطلقَ إجماعاً كما قال[2] الباجي[3].

ومن ملخّص ما سُطّر، نستفيد أن النّسيانَ نسيانان: نسيانٌ سعى فيه المرءُ لغرضٍ شاءَه، ونسيانٌ مقهورٌ صاحبُه، مدفوعٌ إليه بعامل الاضطرار كما موضوعنا.

ومن فوائد المقام: الفرق بين السّهو والنّسيان؛ فالسّهو ذهولُ الشّخص عما عهدَ. والنّسيانُ أعمُّ منه، إذ يستوي فيه الذّهول عن المعلوم ومقابله وهي من [لطائف][4] الحافظ السُّيوطي[5] وزياداتِه على ابنِ السبكي[6] فِي جمْعِ الجَوامِع[7] قالَ في الكَوْكَبِ السَّاطِعِ[8]: [رجز].

---

(1) أُنظر: - التاج والإكليل لمختصر خليل، للمواق، 2 / 451. - مواهب الجليل، ص 402، 4403.

(2) أُنظر في ذلك: - المنتقى، شرح موطأ مالك لأبي الوليد سليمان الباجي آتي الترجمة، مطبعة السعادة، ط 1 - 1331 - هـ 2 / 62 (النذر في الصيام، والصيام عن الميت).

(3) أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد التجيبي المالكي من علماء الأندلس وحفاظها. (1012 / 1081 م) - المغرب في حلى المغرب، ج 1 ص 404 ترجمة رقم 287. ترتيب المدارك معجم المطبوعات العربية، ج 1 ص 511.

(4) في الأصل: الطائف.

(5) عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي الشافعي المصري: إمام حافظ، ومؤرخ أديب. (849 هـ - 1445 م 911 هـ - 1505 م). - شذرات الذهب، 8 / 51. - الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين الغزّي. تحقيق جبرائيل سليمان جبور، نشر محمد أمين وشركاؤه. بيروت - لبنان. 1945 م 1 / 226. - الضوء اللامع. 4 / 65 - فهرس الفهارس، 2 / 1010 إلى صفحة 1022 ترجمة رقم 575.

(6) تاج الدين السبكي (عبد الوهاب بن علي) قاضي القضاة، مؤرخ، باحث، ولد بالقاهرة سنة 1327 هـ. وتوفي بدمشق سنة 771 هـ - 1370 م. - طبقات الحفاظ، 537. - حسن المحاضرة، 1 / 175. - الدرر الكامنة، 3 / 39.

(7) جمع الجوامع. (في أصول الفقه) لتاج الدين السبكي ت 771 هـ - 1369 م. مطبوع.

(8) الكوكب الساطع، نظم جمع الجوامع. لجلال الدين السيوطي. مكتبة المنار. القاهرة. 1332 هـ. ص 6.

والسّهوُ أن يذْهَلَ عن معلومهِ   وفارق النّسيانَ في عمومهِ

وهنا انتهتْ حلقاتُ المسْألة.

ودخلَ علينَا أحدُ عدولِ القاضِي المدْعوِّ مولاي سليمانَ؛ رجلٌ (ليتَ عيْنَيْه سَواءُ)[1] هنَاك سلْطُوه علَى الوطَني، فجَعَلا يتجاذبَان أطرافَ الحديث، ويَتَجادَلان فيمَا لا طائلَ منْ وَرَائه. والإخوانُ ينْشطونَ منْ حديثِ الجَميعِ، وبالأَخصِّ حالَ شرْبِ الشّاي (إذْ وقته وقتَ سرُورٍ وانْبسَاطٍ).

وبعدَ هَذا، جعلَ مَوْلاي سلَيمَان يُلْقي عَلَى [مسَامعَنا][2] ويُشَنِّفُنا بشَيْءٍ منْ ألْحَانه كَأنَّكَ بينَ زريَاب[3] تارَةً، وأستاذه إسحَاق[4] أُخْرى... وخَتَم بإنْشادِ البيتَين، ممَّا كانَتْ مغبّتُه نشَاطَ الجمَاعة. وإثْر هَذا، أُحضرَ الفُطورُ. وللَذَّة العلْم وحَديثِه، دَارتْ مسَائل لابأْسَ بهَا. وإذْ كَانَ الحديثُ ذوشُجونٍ[5]، نطقَ بعضُ الإخوانِ قائلاً، إنَّه رَأى أحَدَ المدرِّسينَ بالمدَارسِ الحُكوميَّة بمرَاكشَ وقد كتَب لتلاميذه سؤالاً: كَم علامَات الرَّفعِ بجرِّ علاماتٍ؟ وحالاً، خُضْنا هَذا الميدَانَ. فَمنْ مُجيزٍ، ومنْ مانعٍ، ومنْ قائلٍ: إنَّ كَمْ في السُّؤال، استفهاميةٌ وهو واضحٌ. ومن قائلٍ: إنَّها خَبريَّةٌ. فصوَّبناهَا بالبَحْث وقتَه حتَّى انْجَلَتْ مرتَفعَةً من ذُلِّ الكَسرِ

---

(1) شطر بيت شعري ينسب لبشار بن برد وتمامه:

خاط لي زيد قباء   ليت عينيه سواء

أنظر قصة البيت في: ـ قطر الغيث. ص 90. ـ حسن التوسل إلى صناعة الترسل، لشهاب ين محمود الحلبي. تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف. دار الحرية للطباعة، العراق 1980 م ص 311، وفيه عمرو بدل زيد. ـ التوقيف على مهمات التعاريف: معجم لغوي مصطلحي. لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت 925 هـ 1031م) تحقيق محمد رضوان الداية. دار الفكر، بيروت الفكر سورية. ط 1410 هـ ـ 1990 م. ص 213. ـ الكليات، ص 33.

(2) في الأصل: مسامعها.

(3) علي بن نافع: شاعر وعالم بالموسيقى. (ت 230 هـ / 245 م). نفح الطيب، 2 / 109. ـ المطرب ص147 لابن دحية. ـ قرطبة حاضرة الخلافة، 2 / 86 ← 88.

(4) إسحاق بن ابراهيم الموصلي: أبو محمد بن النديم. من أشهر ندماء الخلفاء. وكان عالما باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين... (155 هـ 772 م ـ 235 هـ 850 م). ـ نفح الطيب، 2 / 750. تاريخ بغداد، 6 / 338. ـ لسان الميزان 1 / 350. ـ الحضارة العربية الإسلامية، ص 380.

(5) تضمين للمثل: الحديث ذو شجون. ـ أمثال العرب، مثل رقم 47. ـ فصل المقال. 1 / 405 رقم 339. ـ روضة الأزهار وبهجة النفوس ونزهة الأبصار الجامعة لفنون الآداب وسحر الألباب، لأبي علي الحسن بن علي القرطبي (514 هـ ـ 1120 م / 602 هـ ـ 1205 م)، تحقيق محمد بلاجي. رسالة جامعية مرقونة بخزانة كلية الآداب، الرباط. 1 / 151 وقد ضمنه الفرزدق في شعره فقال:

فلا تأمنن الحرب إن اشتغارها   كضبة إذ قال: الحديث ذو شجون

ـ ديوان الفرزدق. تقديم شاكر الفحام. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق 1965 م ص 7.

الَّذي نَالَها. ثمَّ بعدُ، قُدِّم مشروبُ الشَّاي، والرَّوضُ تجاهَنا تتمَايلُ أغصَانهُ، وتتعَانقُ أزهَارُه اغتناماً لنَسيمِ الطَّبيعةِ الرَّقيقِ، فتحرَّك منَّا كامنُ [الأريَحية][1] الأدبيَّة. فعَطَفت الأفكَارُ بمُسَاجَلَة قصيرة [67] ومنْ جملة ما رَاجَ - والحديثُ ذو شُجون[2] - مادَّة الطَّلاوة وسرعَانَ مَا استحْضَرْنا قولَ شَارحِ المثلَّث: (ظَبْيٌ كَحيلٌ الطَّلاَ)[3]. قالَ الأستاذُ المختارُ: يظْهرُ أنَّه ظبيٌ مُحيلُ الطَّلاَ. بمعنَى أنَّ الطَّلاَ: الظبيُ، ما دَامَ مُحولاً في سنِه. فأبَيْنا ذلكَ عَلى الأُستَاذ. قالَ المجْدُ[4] في مُحيطه[5]: الطَّلاَ: الظَّبيُ ساعةَ يُولَدُ. وأطلقَ غيرُه مِمَّا أمكَنَنَا الرُّجوعُ إلَيْه من كُتُبِ اللُّغة مَّا نَستَفيدُ منْه الإطْلاَقَ. ورغْمَ ذلكَ، تبقَى المسألةُ موقوفةً على الرِّواية، هَلْ وردَتْ بمحيلٍ أم لاَ؟

والَّذي نعرفُه نحنُ في غيرِ مَجْمُوعٍ هو: كَحيل بالكَاف. وأيّاً مَا كَانَ (فسيُبَيِّنُ الصُّبحُ لذي عينَين)[6]. ثُمَّ طرُحتْ مسألةٌ أدبيةٌ، طرقَها الإخْوَانُ أثنَاءَ الطَّريقِ الميزْميزيَّة وهي: من أجادَ من الشَّاعريْن في وصفِ الظَّلمِ بفتْحِ المُشالة - وهُو ريقُ المحْبوبَة - أصاحبُ البيت التَّالي: [كامل].

[مَنْ][7] لم يذُقْ ظلم الحبيبِ كظَلمه　　　حُلواً فقد جَهلَ المحبة وادَّعَى[8]

---

(1) في الأصل: الأيحية.

(2) سبق ذكره: (ص 82).

(3) ظبي كحيل: ألطلا　　　والخمر قل فيه: الطلا

أنظر: نظم مثلث قطرب للعلامة: عبد العزيز المغربي. منشور ضمن: - المجموع الكبير من المتون فيما يذكر من الفنون ط 3، 1407 هـ - 1988 م ص 572. وقوله شارح المثلث، لعله يقصد: ناظم المثلث.

(4) الإمام مجد الدين، محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزابادي: من أئمة اللغة والأدب (729 هـ - 1328م 217 هـ 1414م). - الضوء اللامع، 10 / 79. - بغية الوعاة، 1 / 273. - أزهار الرياض، 3 / 117.

(5) القاموس المحيط. المطبعة الحسنية المصرية. ط 1 - 133 هـ (طلى).

(6) مثل تقوله العرب في ظهور الأمر ووضوحه. - كتاب الأمثال، لأبي فيد مؤرج بن عمر السدوسي (ت 195 هـ). تحقيق رمضان عبد التواب. الهيأة المصرية للنشر 1371 هـ - 1971 م د، ت، ص 89. - خاص الخاص، لأبي منصور الثعالبي. منشورات دار مكتبة الحياة بيروت. المثل رقم 30. - التمثيل والمحاضرة، لأبي منصور الثعالبي. تحقيق: عبد الفتاح محمد لحلو. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1381 هـ - 1961 م ص 16. - كتاب اقتطاف الزهر واجتناء الثمر لأبي الحسن علي بن محمد بن علي التازي المعروف بابن بري. تحقيق وتقديم: لطيفة الحسناوي. رسالة جامعية مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط 2 / 508.

(7) في الأصل: ومن.

(8) البيت لابن النبيه المصري: أبو الحسن علي بن محمد (ت 619 هـ). - المنتخب من أدب العرب. جمعه وشرحه: طه حسين، أحمد الأسكندري، وأحمد أمين، وعلي الجارم، وعبد العزيز البشري، وأحمد ضيف. مطبعة دار الكتب، القاهرة 1966 م. 2 / 382.

أم البيت هذا: [طويل]

عليك بها صرفاً وإن شئتَ مزْجَهَا فعَدْلُكَ عن ظَلْمِ الحَبيبِ هو الظُّلْمُ

وكانَ السُّؤالُ إليَّ قدْ توجَّه. فشمَّرتُ لإجَابَة الإخْوَان قائلاً؛ إنَّ الاتِّجاهَ منَ الشَّاعرَيْن مخْتلفٌ. والكلُّ حلَّقَ في جوِّه مُجيداً فيمَا [انْتحَاهُ][1]، وإنْ كانَ في الأوَّل ما فيه منْ إلْقَاءِ السِّلاحِ أمَامَ لُطف الأحبَّة وجمالِهم الباهرِ ممّا يسْتعذبُ له المرءُ ويصبحُ كالظَّلْم المعسُولِ كَمَا تَرَى(م).

نَعمْ، فبعدَ ما أدَّيتُ العصْرَ، جلسْنا معَ جنَابِ القَاضِي، بَينَمَا كَانَ الإخْوَانُ الآخَرونَ يتجوَّلُونَ بآمْزميز. ونحنُ نُفكِّر في استفَادَة العشيَّة أمَامَ الأطْلَسِ، وردَ الإخوانُ، فخَرجْنَا جميعاً نمتِّع الطَّرفَ بيْنَ تلكَ الحقُولِ النَّاضرَة ونُشاهدُ منْ وَدَاعِ شمسِ الأصيلِ لقِممِ الأطْلَسِ المَحْبوبِ الَّذي يشيدُ بهِ شاعرُ الحمَاسَةِ الحاجُّ محمَّد النَّاصِريّ[2] (في نشيده المغربيِّ): [متقارب].

لنا الأطلسُ، أبٌّ أشْوَسُ له يَسْلَسُ، قيادُ الزَّمنْ

ومطلعُ هذا النّشيد البديع:

هو المغربُ، ثرىً طيِّبُ وقومٌ حُبُوا، بحبِّ الوطنْ[3]

فجلسنَا في مرتفع يُطلُّ على كلِّ آمزميزَ، والأطلسُ[الكَبيرُ][4] يُرسِلُ منْ عاطرِ نَسيمه، وأريج نبَاته مَا أزالَ عَنْ خوَاطرنَا كلَّ وَعْثَاءٍ وعنَاء كنَّا نحسّ به من عميق الأنفَاس. فللَّه منْ أطلَسٍ، وللَّه رجَالُه الأبطَالُ، وكُماتُه الشُّمُوسُ[5]. وبعدَ حينٍ، غربت الشَّمسُ فأدَّينَا واجبَ المَغْربِ جَمَاعَةً، وبقِيَ البعضُ [68]، وذهبَ البعضُ إلى الرِّياضِ. واتَّصلَ الأخُ العثمَانيُّ ببَرْبَريٍّ منْ أصحَابِ قائد آمزميزَ لهُ معرفةٌ به. فجعلَ يحدِّثُنا عمَّا جَرَى بهذه الأرضَ منْ نَهْبٍ، وسلْبٍ، وفتْكٍ ومَا كانَ بتلكَ البقَاعِ من الفتَنِ والحروب المشْتَعلَة ممَّا اقْشَعرَّت منه جُلُودُنا، ووقَفَ لَهُ شَعَرُنا، وبالأخَصِّ شَعَرُ الصَّديق... ثُمَّ قُمْنا إذْ نَشَرَ الظَّلامُ أستَارَهُ، وأرخَى اللَّيْلُ سُدولَه نقصدُ الرِّياضَ، فبلَغنَاهُ. وبينَما آستَقرَّ المجْلسُ بنَا، وَرَدَ عَلَيْنا العَدلُ

---

(1) في الأصل: انتاحه.

(م)، الظلم: الماء الذي يجري على الإنسان من البريق لا من الريق.

(2) محمد بن اليمني الناصر، من أدباء المغرب وشعرائه البارزين. ولد بالرباط وتوفي بالمدينة المنورة (1309 هـ - 1891 م / 1391 هـ - 1971 م). - الوافي بالأدب العربي، 3 / 960. - الأدب العربي في المغرب 101 / 1. - الشعر الوطني، ص 263.

(3) شعر محمد بن اليمني، 1 / 237. - من شعراء المغرب الأقصى وأدبائه. ص 287.

(4) في الأصل: الكريم.

(5) الشموس: النفور، العسر الصحبة ج شمس. اللسان (شمس).

السَّابقُ، وجعَلَ [يَتدخَّلُ][1] في بعض المذَاكَرة. فخَاضَ معَنَا ميدانَ الأنْبيَاء عَلَيْهم السَّلامُ، وأخَذَ يُعدِّد لَنَا بعضَ أسمائهِمْ، قالَ: داوُودُ، وسلَيمَانُ، وزَابُور[2] .. وفي هذه اللَّحظة، لا تَسْأل عمَّا حلَّ بالإخْوان منَ الضَّحك. غَيْر أنَّهمْ يُمسكونَ ذلك جهْدَهم كَيْ لَا يتبيَّنَ ذلكَ منْهُم. وفوراً طرقُوا باباً منَ المُداعَبَة[3]، أصبَحُوا يقلّبون فيه إعْرابَ ما يعنّ منَ الجُمَل عدَا الأستَاذُ المُخْتار؛ فإنَّه لا يساعدُ عَلَى الممَالأة[4]، بلْ يُصمِّمُ على الحقيقة (ولأمرٍ ما جدَع قصيرٌ أنفهُ)[5]. شيْءٌ يدفعُ للحَمل عَليْه حتَّى لترَى مولاَي سُليمانَ يبَالغُ في ذلكَ مُعترضاً عَلَى الأستاذ المُختار بأكثَرَ مَا نُبْديه نحنُ، وهُوَ يجهلُ الأستَاذ.

ثُمَّ انْجرَّ الحَديثُ لذكْر بعض الآيات الكريمَة. فارْتكَبْنا فيهَا مَا ذُكرَ، نرْجُو اللّه السَّمَاحَ. فقَالَ العدلُ موْلاي سلَيْمان: هَكَذا أعْربَها الخازن[6]، وإنْ ارْتَبْتُم؛ فالعَربُ بالبَاب[7]، أُحضرُه لَكمْ الآنَ. فذَهبَ، ونُفُوسُنا تكادُ تَزْهَقُ منْ شدَّة مَا لَابسَنَا منْ هَذَا الرَّجل.. وَمَا هي إلاَّ بُرْهَةٌ حتَّى أتَى بالخَازن جَميعه[8]، أجْزاءٌ أربَعةٌ، ويَعلَمُ اللّهُ فظَاعَة اللَّيلة، ومَا تَجلَّى فيها - والأمْرُ للّه وحدَهُ. ثمَّ رَاجَتْ مَسَائلُ، غيْر ما ذُكرَ، خُضْناهَا عَلَى وتيرَة مَا سَلَفَ مُمَالأةً.

ثُمَّ نمْنَا إلَى الصَّباح. وبعدَ أدَاء الوَاجب، تَناوَلْنا مَا يَتعلَّلُ به المبَكِّرُ. وخرَجْنَا نَبْتَغي الرُّجوعَ للحَمْراء. فامْتَطَيْنا السَّيَّارَةَ بعدَ وَداعنا للسَّيد القاضي مُتَشكِّرينَ منْ إكْرامه. ثمَّ طفقَت السَّيارةُ تَخطُّ الأرضَ خطّاً. وفي الأثْناء، طَرحَ الإخْوانُ مسْألةً في مَناسك الحَجّ، وأخَذُوا يذهَبُونَ فيهَا كُلَّ مَذْهَب: مَا الأفْضَلُ منْ أنواعه ؟ فقَالَ البعضُ بالقرَان[9] مُحْتَجّاً بكَوْنه جَاءَ عَنْ بضْعَة عَشَرَ صَحابيّاً بأَسانيدَ جياد، وبه قَالَ جَماعَةٌ منَ الصَّحَابَة والتَّابعينَ؛ وقَالَ بَه النَّوَويّ[10]، وأبُو حنيفَة[11]، وإسْحاقُ بنُ رَاهَوْيَه[12]. واخْتارَهُ جَماعةٌ من الشَّافعيَّة.

---

(1) في الأصل : يتداخل.

(2) لا وجود لنبي بهذا الإسم. ولعل هذا الخلط جاء من الزبور المنزل على داود.

(3) أي المازحة

(4) مالأته على أمر ممالأة : ساعدته عليه وشايعت. اللسان (ملأ).

(5) مثل : ـ مجمع الأمثال، 2 / 196 . مثل رقم 3366 .

(6) علي بن ابراهيم الشيحي المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث من فقهاء الشافعية. من أشهر تصانيفه : لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن. (678 هـ .128 م / 741 هـ 1341 م). ـ معجم المطبوعات العربية، 1 / 8.9 ـ أعلام الزركلي، 5 / 5 .

(7) مثل.

(8) أي أتى بكتاب : لباب التأويل. المعروف بتفسير الخازن.

(9) أي الجمع بين الحج والعمرة في الإحرام.

(10) أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي النووي. عالم بالفقه. مولده ووفاته بنوا من قرى حوران بسوريا (631 هـ ـ 1233 م 676 هـ ـ 1277م). ـ طبقات الشافعية،5 / 165. ـ النجوم الزاهرة 7 / 278. ـ شذرات الذهب، 5 / 354. ـ معجم المؤلفين، 13 / 202 .

(11) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي التابعي. انتشر مذهبه بالكوفة والشام والعراق وما وراء النهرين والروم. ولد سنة 80 هـ ـ 699 م. توفي ببغداد سنة 105 هـ 767 م. ـ الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، لابن أبي الوفا : أبو محمد بن القادر بن محمد القرشي (696 هـ 775 هـ) طبعة حيدر آباد 1332 هـ .1 / 26 . مرآة الجنان، 1 / 509.

(12) أبو يعقوب إسحاق بن راهوية : أحد أئمة الإسلام. جمع بين الحديث والفقه والورع. (161 هـ 678 م 238 هـ 853 م). ـ تاريخ بغداد، 6 / 345. ـ حلية الأولياء 9 / 234 .

ومنَ المتأخِّرينَ؛ تقيَ الدِّين السَّبْكي[1].

لكَنْ نظرْنا إلى التَّمتُّع[2] وما فيهِ من التَّيسير، والتَّسْهيلِ، وتَحْبيذ العبادَة معَ الحُظْوَة بكَاملِ النَّظَافة المبنيِّ عَلَيْها دينُنا المقدَّس مع قوله عليْه السَّلام مُتَمَنِّياً: [69] [«] لَوْ أنِّي سُقْتُ الهَدْيَ لأَحْلَلْتُ[»][3]. ولا يتمنَّى صَلواتُ اللَّه علَيه غيرَ الأفْضَل؛ وهُوَ قولُ الإمَام أحْمَد بنُ حنْبلٍ[4] المشْهُور عَنْهُ. واندَفعْنَا بِسَبَب ما ذُكر للْمَيل إلَى التَّمتّعِ عنْ آخرنَا ـ لا حَرَمَنَا المولَى جلَّتْ قُدْرتُه ـ وانْضَافَ لذلكَ حتَّى المخَالفُ، ووقعَ الاتِّفَاقُ.

وكَانَتْ خَاتمةُ المسْألة مقَارنةٌ للوصُول. فنزلْنا منْ السَّيارة ببَاب يُدعَى بَابُ الرَّبِّ[5]، ولاَ مَانعَ لسعَة اللُّغة. وسُرعَانَ مَا لَفتَ الأُستاذُ العثمَانيّ أنظارَنا قائلاً: هلْ تدرُونَ لمَنْ تلكَ القُبَّةُ؟ فأجبْنَاهُ بـ« لا ». فقَالَ: إنَّها قبَّةُ أَبي زيدٍ عبد الرَّحمان بنِ الخطيب السُّهيْلي[6]؛ ذلكَ الإمَامُ الطَّائرُ الصِّيت، الَّذي عرَّف به غيرُ واحدٍ من كُتَّاب التَّاريخِ، كالقَاضي ابْنِ خلِّكَان في وَفَياتِ الأعْيان[7]، وابنِ فَرْحُونَ في الدِّيباجِ المذهَّب[8]، وأبي العبَّاسِ المقَّري في نفْحِ الطِّيب[9]،

---

(1) تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي: من شيوخ الإسلام، وأحد الحفاظ المفسرين. ولد سنة 683 هـ ـ 1284 م، وتوفي سنة 756 هـ ـ 1355 م. ـ حسن المحاضرة، 1 / 321. ـ فهرس الفهارس، 2 / 1033 ترجمة رقم 585. ـ تذكرة الحفاظ، 1507. ـ طبقات الشافعية،6 / 146. ـ تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، لخالد بن عيسى البلوي،. تقديم وتحقيق: الحسن السائح، منشورات اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية. مطبعة افضالة، المحمدية. 1 / 237.

(2) تمتع بالعمرة إلى الحج، أي أقام معتمرا في الحرم حتى أدى الحج فضم العمرة إلى الحج.

(3) ـ سنن أبي داود 2 / 156 حديث رقم 1789. ـ سنن الترمذي، 2 / 216 حديث رقم 963.

(4) أبو عبد الله أحمد بن حنبل البغدادي، انتشر مذهبه في كثير من بلاد الشام وغيرها. ولد سنة 164 هـ 780 م. وتوفي ببغداد سنة 241 هـ ـ 855 م. ـ طبقات الحنابلة، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى. القاهرة،1371 هـ. 1 / 4 ـ طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق الشيرازي. تحقيق إحسان عباس، بيروت.1970 م، ص 91. ـ صفة الصفوة، 2 / 366.

(5) ـ الإعلام بمن حل مراكش، 1 / 98. وينطق بفتح الراء وضمّها.

(6) أبو القاسم (ويكنى كذلك بأبي زيد) عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي الخثعمي المالقي: حافظ وعالم باللغة والسير. ولد سنة 508 / 1114م بمالقة وتوفي بمراكش سنة 581 هـ 1185 م. ـ تذكرة الحفاظ، 1348 / 4. ـ نكت الهيمان، 187. ـ كتاب صلة الصلة، لابن الزبير: أحمد بن ابراهيم (ت 708 هـ) القسم الثالث. تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب. منشورات وزارة الأوقاف المغربية. مطبعة فضالة، المحمدية 1413 هـ 1993 م. ص 192 رقم 337. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 8 / 60 ترجمة رقم 1082 ـ التعريف والإعلام فيما أبهم... المقدمة 16 وما بعدها.

(7) 3 / 142.

(8) 1 / 480.

(9) 3 / 400.

وابنِ جعفرٍ في سلْوة الأنفاسِ[1] وغيرِهم.

كَانَ رحْمةُ اللّه عليه، مَالكيَّ المذْهب، متَفَنّناً في عُلُومٍ شتَّى، واسعَ المعْرفَة والاطِّلاَعِ، غزيرَ العلْمِ؛ نَاهيكَ به كَونه منْ تلاَميذ فخْرِ المغْرب العلاَّمة ابنِ العَربيِّ[2] ويَزيدُكَ تَبصُّراً في نُبله وفضْله أنْ كَانَ منْ أشْيَاخ ابنِ عربيٍّ الحاتِمي[3]. ولهُ كتابَاتٌ قيِّمةٌ، ومؤلَّفاتٌ مفيدَةٌ، منْ أشْرَفهَا؛ كتَابه: [«] الرَّوضُ الأنفُ في شَرْحِ السِّيرةِ النّبويةِ لابنِ هِشَامٍ[»][4]؛ المتوفَّى سَنة 210: مائتَين وعشرَة.

والسُّهيلِيّ، نسبةً إلى قريةٍ[5] بغرْبِ مَالَقةَ، سمِّيتْ باسْمِ «الكَوْكَبِ»[6] الّذي يُشيرُ إليه الأديبُ: [خفيف].

أيّها المنكحُ الثّريَّا سُهَيْـلاً	عَمْرَكَ اللّهَ، كيف يلْتقيـان
هي شاميَّةٌ إذا ما استقلَّتْ	وسُهيلٌ إذا استقلَّ يمـاني[7]

وُلدَ أبُو زَيدٍ[8] هَذا، سنَة 508: ثمانٍ وخمْسِمائةٍ. وتُوفِّي بمراكشَ يومَ الخَميسِ،

---

(1) 2 / 255.

(2) ابن العربي المعافري، سبقت ترجمته.

(3) محمد بن علي المعروف بمحيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي: متصوف وفيلسوف. ولد بمرسية من بلاد الأندلس عام 560 هـ - 1165 م، وطاف في كثير من البلاد العربية كفاس ومراكش واشبيلية وتونس والقاهرة إلى أن استقر به المطاف بدمشق التي توفي بها عام 638 هـ - 1640 م. - النفح، 2 / 161. - جذوة الاقتباس، 1 / 281 ترجمة رقم 291 (وفيه أن ابن عربي توفي عام 636 هـ). - فوات الوفيات 3 / 435 ترجمة رقم 484. - المطرب في مشاهير أولياء المغرب. ص 113.

وقد جمع صاحب سلوة الأنفاس (2 / 225) بين ابن العربي المعافري والحاتمي في ترجمته للإمام السهيلي فقال: «.. وروى عن ا بن العربي المعافري... وروى عنه ابن العربي الحاتمي...».

(4) طبع بدار المعرفة ببيروت سنة 1398 هـ.

(5) اسمها سهيل، وهي عبارة عن ميناء على ساحل الأبيض المتوسط. - معيار الاختيار، ص 85.

(6) يقصد الكوكب المسمى ب «سهيل». يقول ابن الخطيب عن ميناء سهيل: ومنه يظهر سهيل من كواكب الجنوب. - معيار الاختيار، ص 85.

(7) الثريا وسهيل نجمان. الأول من منازل القمر الشامية، والثاني من النجوم اليمانية. وفي البيتين إبهام. ويقال له التورية والتخييل، ومعناه أن يذكر الشاعر ألفاظا لها معان قريبة وبعيدة فإذا سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريب ومراده المتكلم البعيد. ويقصد بالثريا هنا، بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية وكانت نهاية في الحسن. وسهيل هو ابن عبد الرحمان بن عوف وكان غاية في القبح. والبيتان لعمر بن أبي ربيعة. - الديوان، ص 416 وفيه أنه سهيل بن عبد العزيز بن مروان. - زهر الآداب 1 / 290. - الشرح الجلي، ص 304. - شرح مقامات الحريري، لأحمد بن عبد المومن القيسي الشريشي. دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1 / 1399 هـ 1 / 292.

(8) أبو زيد وأبو القاسم (السهيلي).

السَّادسِ والعشْرِينَ من شَعبانَ سنَةَ 581: إحدَى وثمانينَ وخمسمائة، ودُفن خارجَ باب الرَّبِّ الَّذي نَزلنَا به قصدَ زِيَارَته. أمَّا قبْتُه، فقد سلَفتْ الإشَارةُ إليهَا. ومنْ شعْرِه حينَ قالَ كَيفَ أمسَيْتَ مَكانَ أصْبَحْتَ، وهوَ منَ الرِّقة والعذُوبَة وحسْنِ التَّلميحِ بمَكَانَةٍ سَامِيَةٍ :[طويل].

لئنْ قلتُ صبحاً كيفَ أمسيتَ مُخطِئاً فما أنا في ذاك الخطا بملوم
طلعتَ وأُفقي مظلمٌ لفراقكُم فخلتُكَ بدراً والمساءُ هُمُومي[1]

ولهُ غيرُ هَذا[2] رحمةُ اللّه.

نعمْ، بعدَ الزِّيارة دخلنَا بُستاناً حوْلَهُ. فشَاهدْنا منْ أشجَاره الباسقَة وأثْماره اليَانعَة مَا نضَّر[3] أبصَارنا وأجْلاهَا. وناولَنا أحدُ العمَلَة به فَاكهةً منَ فوَاكهه، فأخذْنَاهَا رجَاءَ برَكةِ[المزُور] شَاكرينَ اعْتنَاءَهُ [70]. ثمَّ خرجْنَا نؤُمُّ المدينة. وبينَمَا نحنُ في أوائل السَّيْر، وهذه عيْنٌ تَتفجَّرُ مياهُها الدَّافقةُ أمامَنا. والعينُ هاته تُعرفُ بـ« عَين صَبْرَةَ »[4] الَّتي يشيرُ إليهَا الفَقيهُ الكاتبُ ابنُ ادريسَ في معْرضِ مدحِ مُرّاكشَ :[طويل].

ألا ليتَ شعْري هل أبيتَن ليلةً بمرّاكش حيثُ الغريبُ عزيزُ
وهل أردَنْ من مَاءِ صبْرةَ مَنْهلاً وهل يَبْدُوَنْ لي رمْرَمُ[5] وجليزُ[6]

---

(1) نفح الطيب. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 8 / 67.

(2) باستثناء القصيدة العينية التي وراها تلميذه ابن دحية وأوردتها كثير من المصادر لم تذكر له كتب التراجم سوى مقطعات قليلة من الشعر تكشف عن حياته.. أنظر مثلا : ـ بغية الوعاة، 2 / 81. ـ طبقات المفسرين لشمس الدين الداودي. دار الكتب العلمية. بيروت،1 / 273 . ـ نفح الطيب ، 3 / 401.

(3) نضر (بتشديد الضاد) : أنضر وجهه ونضر نضورا كان ذا رونق، اللسان (نضر).

(4) ذكر العباس بن ابراهيم العيون الموجودة بمراكش وحصرها في ثمان عشرة عينا ولم يورد ذكرهذه العين. وقد أورد أحمد متفكر رواية أخرى وهي « واد صبرة » بدل « عين صبرة » وأشار في الهامش إلى أن وادي صبرة هو واد جاف يحمل ماء المطر إلى البركة التي توجد خارج باب الرب جنوب مراكش وتعرف بصهريج البقر. ـ مراكش في الشعر العربي، ص 36 هامش 148.

(5) رمرم وجليز: جبلان، يبعد الأول عن مراكش شمالا بنحو 10 كيلومترات ويشرف عليها الثاني. وفي سفحه أقيمت المدينة الجديدة التي تعرف باسمه (جليز). ـ مراكش في الشعر العربي، ص 46 هامش رقم 148.

(6) البيتان للشاعر محمد بن ادريس العمراوي (ت 1264 هـ 1847 م). ـ ديوان محمد بن ادريس العمراوي، تحقيق الشهيدي التهامي. رسالة جامعية مرموقة بخزانة كلية الآداب بالرباط ص 701. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 1 / 13. ـ السعادة الأدبية، ص 6. ـ مراكش في الشعر العربي ، ص 46. ريقترب من هذا المعنى ما ينسب لبلال رضي الله عنه :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

ـ العقد الفريد، 6 / 132. ـ المحاضرات في الأدب واللغة، للحسن اليوسي. دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، 1402 هـ ـ 1982 م. 2 / 339 . ـ المستطرف من كل فنّ مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي. دار إحياء التراث العربي، 1371 هـ / 1952 م. 2 / 46 .

وجليزُ هذا، هوَ الَّذي أشار إليه مجدَ الدِّين الفيرُوزَابادي في المُحيط[1] في مَادَة « وجلَ » . قالَ : وإيجلينْ جبلٌ مشْرفٌ على مرّاكش. فكَرَعْنَا من العين، ثم قفْلنا نريدُ المدينَة. فاقْترح علَيْنا الأستاذُ المختارُ الذّهاب مَعَه، وأكَّد آبياً غيرَ الصُّحبة فأجبْنا، ثـمَّ ودَّعنا الأَصدقاءَ. ولَدَى الوُصول إلَى المدْرسَة، اشْتَغلْتُ بالمُطالَعَة، والأستَاذُ بتنْقيح قصيدَة« أحلَى المشَاهد »وعقبَ الفطُور وشُرْب الشَّاي؛ استَدعَى تلميذاً من تلاَميذه النُّجباء؛ يُدعَى :(الحسنُ السُّوسي) . وهوَ الذي كانَ فضّلَهُ على الطَّالب الدُّكاليِّ وقدْ مرَّ حديثُهما.

وفي الحين، رجَا منِّي مُباحثَتَهُ في الآية السَّابقَة لنا بآمزميز: ﴿إنَّ في ذلكَ لآيَات لقَوم يَتَفَكَّرونَ﴾[2]. فطفقْتُ أذاكرُه فيهَا نحواً، وأُصولاً، ومَعانيَ. فكانَ تلميذُ الأستَاذ، « وفي المليحَة ما يُغْني عنِ الحُلَل »[3]، وتَفْسيري المعلُومَ ضربٌ منَ الجهْل. وأخيراً، خرجْنا نَبتَغي راحَةً بجوْلَة في أطراف البلَد قصْدَ التَّعرُّف بمَا بقيَ في عالَم الحَمْراء مَحْجوباً عنَّا. فسرْنا سائحينَ نَسْتَنشقُ من أرواح الطَّبيعَة الطَّلقَة ما تسمحُ به لكلِّ زائرٍ غريبٍ قد مَلأَ حبُّها جَوانحَهُ.

وعندَ غروب الشَّمس، زَايلْتُ الأستَاذ مُوقّتاً عَلى أمل الاجْتماع كالإخْوان بعُرس أخي الفَقيه، السَّيد: محمَّد بنُ عبد الرَّازق. وحالاً، وقع في رَوْعنا العزْمُ عَلَى الإيَاب للمَسْقط. فذَهبْنا نُريدُ الفقيهَ الرَّجراجيَ رَجَاءَ الودَاع وحَمْل الحَقائب. فطَرقْنا دَارَهُ. و[سُرعَان][4] مَا خَرَجَ إلَيْنا، وجعَلَ يسأَلُنا عنْ مُوجب التَّخلُّف هَذه المدَة، فأخْبرْناهُ بسَفرَتنا المزْميزيَّة، طَالبينَ منْهُ السَّمَاحَ، ومُودّعينَ حَضْرَتُه وكَرَمَهُ. فأبْدى تمنُّعا، وأقْبَلَ يَصرفُنا عنْ فكْرَة الإيَاب؛ بَيْدَ أنَّه لَمْ يجدْ لتَصْميمنا حَلاًّ، مَعَ إلْحَاحنا عَلَى تَنْفيذ ما قَرَّرْناهُ مُسْتَسْمحينَهُ.

وبَعدَ كلمات حلْوة، وحديث حبِّيّ تجلَّتْ لَنا فيه عَواطفُ طَريفَةٌ كانَتْ نَتيجَة هَذا السَّفَر السَّعيد :[بسيط] .

سَافرْ تجدْ عوضاً ممَّنْ تفارقُه	واتعبْ، فإنّ لذيذَ العيش في التَّعب
إنِّي رأيتُ وقُوفَ الماء يُفسدُه	إن ساحَ طابَ وإن لمْ يجرِ لم يَطب[5] [71]

(1) القاموس المحيط، فصل الواو، باب اللام.

(2) سورة الرعد، آية 3.

(3) عجز بيت شعري. وصدره : وحلية المرأة الشوهاء ضائعة.

(4) في الأصل : سرعة.

(5) البيتان لمحمد بن ادريس الشافعي، من مقطوعة تحمل عنوان ك «دع الأوطان واغترب». ـ ديوان الشافعي. ص 54 - 55 ـ وفيه عمن بدل (ممن)، وانصب (واتعب)، النصب (التعب).

فلمْ يَجدْ بُدّاً منَ المسَاعَدَةِ، وقدَّم لنَا الحقائِبِ، وفارَقْنا مَنْزلَهُ الطَّيبَ علَى اللِّقاء :[متقارب].

وداعاً وداعاً إلى المُلتقى حَبيباً به القلْبُ قدْ عَلقا

ثُمَّ خرجنَا نقصدُ دليلَنا، الأديبَ، السَّيد إبراهيمَ. فَالفيناهُ ينتَظرُنا بفارغِ صَبْرٍ. فَقَبَضَ علَى أثْقالنا بكلِّ فرحٍ. وريْثَمَا أدّينَا مَا وَجَبَ، توجَّهنَا تَلبيةً لواجب دعوة الوَليمَة. فوَجدْنا إخوانَنا جميعاً « إخوانَ الصَّفا »، بَيْدَ أنَّه زيدَ علَينا أحدُ الفُضَلاءِ المراكشيِّينَ منْ أصدقاءِ الزُّملاَء. وبعدَ ما اجتمعَ النَّاسُ جُملةً، جُعل الشَّاي والحلويَات يدورَان. وأطباعُ الموسيقى الأندلُسيَّة تُشنِّفُ الأسماعَ بنغمَاتها العذْبَة. وأثنَاءَ شُرْب الشَّاي، انفَسَحَ المجَالُ للأستاذِ العُثمانيِّ، فجعلَ يبعثُ قنابلَهُ السَّليمَةَ صوْبَ الأخوينِ المقَاطعيْنِ كالعَادة قائلاً للشَّخْصِ الجَديد، وكانَ منْ ذوي الشَّخصيات البارزَة بالحَمْراء : ما تقولُ حَضرْتُكمْ عنْ هؤلاءِ المقاطعينَ ؟ قَالَ: أخْشى عَليهمْ أنْ يُبدّلوا بالبَارد منَ الأشْربة علَى [البَداهة][1] منْ غير اكْتراثٍ لتَعبيره. وهناكَ تجلَّى في زميلنا إبراهيمَ ما تجلَّى من ضيْقِ الصَّدرِ؛ إذْ لمْ يُطقْ صبْراً عَلى بذَاءَة تلكَ الكَلمَة. بَلْ استَفْظَعهَا كَا هُو ظَاهرُها، أمَّا وداخلها؛ بَسْطٌ من الرَّجلِ ودعَابةٌ، يستَجلبُ بهَا قُلوبَ السَّامعينَ زيَادَةً في التَّسليَة والتَّنشيط. أجلْ، فتفوَّه السَّيدُ إبْراهيمُ مُغضباً لائماً الأخَ العُثْمَانيَّ. بيدَ أنَّ الأخَ أحسَّ منْه بتغْييرٍ، فأخَذ يُلاَطفُه لما جُبلَ علَيه من حُسنِ الأخلاقِ، وصَفاءِ الباطنِ على أنَّ عتْبَ الزَّميلِ هَو منْ باب : (إيَّاك أعْني واسْمعِي يَا جَارَة)[2].

وأثناءَ هَذا، وجَّه لنا هذا السَّيدُ، الَّذي أرادَ أنْ يُثيرَ حرباً سلاحُها مَا حضَر وقْتَه؛ استدعاءً لمنْزله. ولكنَّنا أبينَا عَليْه. ونَظرةُ الأستاذُ العثْمَانيَ لمرَّةٍ أخْرى حيثُ أنَّ الوقتَ ضَاقَ. ثمَّ خَرجْنَا، وبصحْبتنَا السَّيدُ المذكُورُ. وكرَّر علينَا في الذَّهاب عندَهُ، فامتَنَعْنَا. عقبَ هَذا، حَاولْنا تَوديعَ الأُستاذ رغْبةً في الانْثنَاء إلَى المَسْقط صبَاحَ اللَّيلَة. بَيْد أنَّه اعْتَصَى وأبَى كُلِّياً. أمَّا الرَّفيقُ، فصَمَّمَ علَى القُفولِ صبَاحاً لمكَان مَا يُحسُّ به منْ ألمٍ بعَينه. وحيناً زَايَلنَا الأُستاذَ موقّتاً وذهبْنَا صُحبَة دَليلنَا ومُسَاعدنَا السَّيد إبْراهيمُ، فنمْنا عنْدَهُ. ومَا أيقظَني إلاَّ سماعُ طَبلٍ ومزْمارٍ. فاسْتَيْقَظْتُ، فإذَا هي عرُوسُ الزَّفاف ـ الَّذي كنَّا بـه قبلُ ـ محْمولةً في قبَّةٍ. وهَذا عنْدي منَ المَناظرِ الجديدَة الغَريبَة الَّتي مَا شاهدتُها قطُّ ، وإنْ كانَتْ جَاريةً برباطنا لَدى بعضِ الأشْرافِ. ثـمَّ نمْنا. ولَدَى الرَّابعَة صباحاً، اسْتَيقَظَ الرَّفيقُ بقَصْد السَّفَرِ. ووقْتَه

---

(1) البداعة في الأصل.

(2) مثل. هو لنهشل بن ماك الفزازي في شعر له أنظر قصة في : ـ زهر الأكم، 1 / 140.

أفقتُ وودَّعتُه. [72] فخَرجَ وبصُحْبَته مُسَاعدُنا ابرَاهيمُ لأَجْلِ إيصَاله إلَى مَركَز الرُّكوب. وبعْدَ أنْ توجَّه مرْكُوبُ الرَّفيق، قفلَ زَميلُنا. وَما اسْتيقَظْنَا إلاَّ والسَّاعَةُ السَّابعَة تَدقُّ منْ يوْم الجُمعَة. فقدَّم لنَا ما نَتعلَّل به منْ فُطورٍ وقَهْوَةٍ، وبمَعيَّتنا أحدُ تلاَميذ الأستاذ العثْمانيِّ ونُجبَائهمْ مِّمَن لَهمْ يدٌ عاملَةٌ بالمدْرسَة الإبْراهيميَّة. فخَرجْنا بأجْمَعنا نَقصدُ زيارَةَ بعض فطَاحلِ الحَمْراء - رحمَهُم اللَّهُ - فأمَمْنَا ضَريحَ أبي الفَضْلِ عياضُ بنُ مُوسَى اليَحْصُبي[1] السَّبتي المَالكي؛ إمَامُ المَالكية، وقُدْوتُهم، وجَامع مذْهَب إمَام دَار الهجْرَة أبي عبْد اللّه مَالك بنُ أنَس[2] رحمَه اللّهُ. تَرْجَم لَهُ جَمَاعَةٌ كابْن فَرحُونَ[3]، وابنُ خَلِّكَان[4]، والمقَّري في أزهَار الرِّياض[5]، والشِّهاب الخَفاجيّ في ديباجَة الشِّفا[6]، وأبي نَصرٍ؛ الفتْحُ بنُ خَاقَان في قَلائد العقْيَان[7]، وابنِ صعدَ في النَّجْمِ الثَّاقب[8] وغَيْرهِمْ.

كَانَ رحْمَةُ اللّهُ عَلَيْه، فَريدَ عَصْره، ونَسيجَ وحْده في الحَديث وعلُومه، والنَّحو، واللُّغة، وكَلام العَرب [وأيَّامهمْ][9] وأنْسَابهم، مَعَ شَجَاعَةٍ وثبَاتِ جَأْشٍ. لَهُ التَّصَانيفُ المفيدَةُ كإكْمَال المعَلِّم في شَرْحِ كتَابَ مُسْلِمٍ[10]، كمَّل بهِ المُعلم في شَرْحِ كتَاب مُسلمٍ[11]، للْمَازري[12] في

---

(1) عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي القاضي أبو المفضل: عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته. ولد بسبتة 476 هـ - 1083 م، وتوفي بمراكش سنة 544 هـ - 1149 م. - المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي يعلى الصّدفي تأليف ابن الأبار: محمد بن عبد الله القضاعي، (ت 658 هـ). دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 1967 م. 306. - بغية الملتمس 437. - التعريف بالقاضي عياض، من ص 2 إلى آخر الكتاب. - أزهار الرياض (الأصل والنسب) 1 / 23. وما بعدها. - الإعلام بمن حل مراكش، 9 / 319 ترجمة رقم 1479.

(2) أبو عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ولد على الأشهر سنة 93 هـ - 711 م وتوفي بالمدينة المنورة سنة 179 هـ - 795 م. - تذكرة الحفاظ، 1 / 207. - الحلية، 6 / 316. - اللباب، 1 / 79.

(3) الديباج المذهب، 1 / 168.

(4) وفيات الأعيان، 3 / 483.

(5) أزهار الرياض. أنظر الأصل والنسب: 1 / 23 وما بعدها.

(6) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض. لأحمد شهاب الدين الخفاجي. المطبعة الأزهرية. ط 1 - 1325 هـ 1 / 3 وما بعدها.

(7) ص 222.

(8) النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب. لابن صعد: محمد بن أحمد. م خ ع 1292 ك، 2 / 86.

(9) في الأصل: وإيابهم.

(10) توجد أجزاء مخطوطة بخزانة القرويين تحت أرقام: 135 - 154 - 155. - فهرس مخطوطات خزانة القرويين. دار الكتاب، الدار البيضاء. ط 1399 هـ - 1979 م. 1 / 161 - 162 - 163 - 164.

(11) عنوانه: «المعلم بفوائد كتاب مسلم» طبع بتحقيق محمد الشاذلي النيفر. دار الغرب الإسلامي (3 أجزاء) ط 2. 1992 م.

(12) أبو عبد الله بن علي بن عمر المازري من فقهاء المالكية. توفي سنة 536 هـ 1141 م. - أزهار الرياض، 3 / 165. - العبر للذهبي، 4 / 100. - التعريف بالقاضي عياض، ص 9.

تسْعة وعشْرينَ جزْءاً، كمَا في الأزْهَارِ[1]. وكَمشَارقِ الأنوارِ[2] فِي تَفْسيرِ غريبِ الحَديثِ المختصِّ بالصِّحاحِ الثَّلاثَة: الموطَّأ، والبخَاريّ، ومُسلم. وهوَ كتَابٌ لو كُتبَ بمَاءِ الذَّهبِ لَكانَ دُونَه. وهُوَ الَّذي يُلمِّح له الأديبُ بقولِه: [طويل].

مشارقُ أنوارٍ تبدّتْ بسبتةٍ ... ومن عجبٍ كونُ المشارقِ بالغَرْبِ[3]

كَما لَهُ شَرْحٌ مستَوْفىً علَى حَديثِ أمِّ زَرْعٍ[4]. ولَهُ شعْرٌ جيِّد[5] منْهُ مَا رَواهُ عَنْهُ ولَدُه أبُو عبْد اللَّه محمَّد[6]، قَاضِي دَانِيَة. قَالَ: أنْشَدَنِي لنَفْسه في خَامَاتِ زَرْعٍ. بينَما شَقَائقُ النُّعمَان هبَّتْ عَلَيْها ريحٌ: [سريع].

أُنظرْ إلى الزّرعِ وخاماتِه ... تَحكي، وقد ماستْ أمامَ الرِّياح

كَتيبةً خضراءَ مهزومَةً ... شقائقُ النُّعمان فيهَا جِراح[7]

وهَذَا وحدَهُ يُنْبئُك عنْ طمُوحِ الرَّجلِ واتِّجاهه العَالِي نَحوَ الحمَاسِ والبُطولَة. والتَّشْبيه، مَعرضٌ يتَجلَّى فيه لبُّ المرْء.

وممَّنْ مَدَحوهُ: أبو الحَسَنِ بن هَارُونَ المالَقيّ[8] بقَوله: [كامل].

ظلمُوا عيَاضاً وهو يحْلمُ عنهمُ ... والظُّلم بين العالمينَ قديمُ

جعلُوا مكان الرَّاء عيْناً في اسْمه ... كي يكْتموهُ، فإنَّه معلومُ

لولاهُ ما فاحتْ أباطحُ سبْتَةٍ ... والرَّوضُ حول فنَائها معدومُ[9]

---

(1) أزهار الرياض، 4 / 347 .

(2) مشارق الأنوار على صحاح الآثار. وهو من الكتب التي تركها في المبيضة. وقد أخرجه أبو عبد الله محمد بن سعيد الأنصاري. كما في الإحاطة ج 3 ص 42. وقد تم طبعه من قبل وزارة الأوقاف ـ (الرباط) بتحقيق أحمد بن يكن البلعمشي. مطبعة فضالة. 1402 هـ ـ 1982 م ـ 1403 هـ ـ 1983 م. ـ أزهار الرياض 4 / 343 .

(3) البيت لأبي عمرو بن الصلاح الشهرزوري. ـ أزهار الرياض، 4 / 343 .

(4) يسمى هذا الشرح: «بغية الرائد لما تضمنه أم زرع من الفوائد». مطبوع بتحقيق صلاح الدين بن أحمد الإدلبي، محمد الحسن أجانف، محمد عبد السلام الشرقاوي.

(5) أنظر هذا الشعر في: ـ التعريف بالقاضي عياض، ص 97 إلى ص 104. ـ القاضي عياض الأديب، ص 215 ومابعدها.

(6) محمد بن عياض، فقيه وأديب. توفي سنة 575 هـ 1179 م. ـ كتاب الوفيات، ص 288.

(7) أزهار الرياض، 4 / 241 . ـ المطرب لابن دحية، ص 87. ـ الإحاطة، 4 / 226 . ـ رايات المبرزين، ص. 108. ـ النبوغ المغربي في الأدب العربي، لعبد الله كنون، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ط 3 ، 1395 هـ ـ 1985 م .

(8) أبو الحسن بن هارون المالقي: علي بن محمد بن سعيد. أنظر ترجمته ونماذج من شعره في: ـ خريدة القصر وخريدة العصر، للعماد الأصفهاني الكاتب. تحقيق أذرتاش أذرنوش. نقحه وزاد عليه: محمد العروسي المطوي، الجلاني بن الحاج يحيى، محمد المرزوقي. الدار التونسية للنشر ط 863 19 م 3 / 573 ترجمة رقم 114 .

(9) خريدة القصر، 3 / 573 . ـ أزهار الرياض 5 / 81 ، (وفيه أن البيتين لأبي عمرو بن سالم بن صالح النهرواني المالقي المتوفى سنة 621 هـ ـ 1224 م. كما في الإحالة رقم 176 من التحقيق. ـ المغرب ، 1 / 395 . ـ الإعلام بمن حل مراكش، ج 9 صفحات: 333 -343 .

تُوفّي رحمَه اللّه سَنَة أربَع وأربَعينَ وخَمْسمائة 544 . ومَا قِيلَ إنَّ المهديَّ الـمُوحدِيَّ أذنَ في قتله بعدَ ما ادَّعى عَليْه أهلُ بلَده ما هُوَ بريءٌ منْهُ، فغَيْرُ صَحيحٍ [1] . فإنَّ المهْديَّ[2] مَاتَ قبْلَهُ بنحْوِ أربعٍ وعشْرينَ سَنَة . دُفنَ القَاضي رضِيَ اللّهُ عنْه ورَحمةُ دَاخلَ [73] بَابَ أيْلاَن . وعَلَيْه قُبّةٌ جَميلَةٌ جَدَّدهَا قريباً بَعضُ قُوادِ تَارُودانْت، وأبدَأَ وأعَادَ في النَّقْشِ والتَّزْويق. وبِجَنْبِه الشّيخُ : عبْدُ الكَريمِ الفلاَّح[3] التَّباعي الشَّاذلي؛ ترجَمَه ابنُ عَسْكَرٍ في دَوْحة النَّاشرِ[4]، وصَاحب مُمتِع الأسْمَاع[5]، والحلْفَاوي في كِتابِه : شَمْسِ الـمَعْرِفَة[6]. تُوفِّي رَحِمَهُ اللّه سَنَة ثلاَث وثَلاثينَ وتِسْعمائَة 933، ودُفنَ بُقبَّة القَاضي عيَّاضٍ، ملاصقاً لَهُ داخلَ باب أيلاَن .

ثُمَّ بالقُربِ منْ ضَريحِ اليَحصُبي، قُبورُ السَّادات العَلَويِّين[7] في ضريحٍ بَديعٍ. نَعَمْ، دخَلْنَاهَا بقَصْدِ زيَارةِ مَوْلاَي[عبدِ اللّه] الشَّريفِ العَلَوِيِّ[8] المتَوَفَّى في سِجْنِ أحمَد الذَّهَبي

---

(1) يقدم عبد السلام شقور سؤالا عن كيفية وفاة القاضي عياض ويورد في ذلك الجواب الآتي : «والجواب .. المتصوفة». القاضي عياض الأديب، لعبد السلام شقور. دار الفكر المغربي، ط 1 ،ص 105 - 106 .

(2) محمد بن تومرت المعروف بالمهدي، توفي حوالي 525 هـ ـ 1130 م .

(3) أبو عبد الكريم بن عمر الفلاح الحاحي، من أهل مراكش ومن أصحاب الشيخ عبد العزيز، التباع. توفي سنة 933 هـ 1008 م. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 8 / 170 ترجمة رقم 1132.

(4) دوحة الناشر، ص 100 ترجمة رقم 96.

(5) ممتع الأسماع، ص 48 ترجمة رقم 9.

(6) أورد العباس بن ابراهيم نصوصا كثيرة من كتاب :«شمس المعرفة في سير غوث المتصوفة» لدى ترجمته لعبد الكريم الفلاح. أنظرها في : ـ الإعلام، 8 / 171 وما بعدها.

(7) أنظر أحاديث مفصّلة عن هؤلاء السادات في الإعلام بمن حل مراكش، 9 / 224.

(8) لعله يقصد المولى علي الشريف بن محمد العلوي الذي يقول عنه العباس بن ابراهيم : «أحد أولياء مراكش المشهورين. بها توفي في سجن أحمد الذهبي السعدي من جملة أبناء عمه وكانوا أربعين، وجلهم ماتوا بالسجن ومدفونون بقبته الشيرة به... توفي بمركش وبنى عليه حفيده أمير المومنين مولانا الرشيد قبة تلقاء ضريح القاضي أبي الفضل عياض...» ـ التنبيه المعرب، ص. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 9 / 224.

السَّعْدي[1]. وبنَى عَلَيْه حفيدُه السُّلطَانِ المولَى الرَّشيد[2]، قبَّةً أنيقَةً جهَةَ ضَريحِ القَاضِي أَبي الفَضْلِ رضِيَ اللَّهُ عنِ الجَميعِ. ثُمَّ خَرَجْنا منْ تِلْكَ البِقاعِ المَرْحومَة، ودخَلْنا مسْجد هَيْلانَة الَّذي بنَاهُ السُّلطَانُ سيدِي محمَّد بنُ عبْد اللَّه العَلَويّ[3] سنة 1202؛ اثْنَين ومائَتين وأَلْفٍ. ويعرَفُ الآنَ بَمَسْجد بَاب أيْلان[4].

وَمنَ العنَاية، أنْ وَجَدْناهُ في طَوْرِ الإِصْلاَحِ والتَّرْميم. ثمَّ قفَلْنا آيبينَ. وأثْناءَ الطَّريق، أبْصَرْنا مَسْجدَ[5] الشَّيْخ سيِّدي مُحمَّد بنُ صالحٍ[6]، نَفعَنا اللَّه به. والَّذي أسَّسهُ[7]، هُوَ السُّلطَانُ: أبُو الحَسَنِ المَرِيني[8] سَنَةَ ثَمَان عشرَةَ وسَبْعمائة 718. ولَمْ نَقفْ إلاَّ بضَريحِ أبي العبَّاسِ السَّبْتِي؛ أحمَدُ بن جَعْفَرٍ الخَزْرَجِيِّ الأنْصَاري[9]، كَانَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورَحمَةُ العلْم الَّذي يُهْتَدى بمَعارِفه وأسْرَارِه. عَلاَ في الخَافقَين[10] قدْره حتَّى أذْعَنَ لَهُ الصَّغيرُ والكَبيرُ. وكَانَ مثالَ المشَارَكَةِ التَّامَّة في عدَّةِ فُنونٍ؛ بَصيراً بصِنَاعَةِ الأحْكَامِ، حَائزاً رِيَاسَةَ الفقْه في

---

(1) أبو العباس أحمد المنصور السعدي، المعروف بالذهبي ابن أبي عبد الله محمد الشيخ. سادس ملوك الدولة السعدية. ولد بفاس عام 956 هـ. 1549م / 1012 هـ ـ 1603 م). ـ روضة الآس من صفحة 3 إلى صفحة رقم 70. ـ مناهل الصفا ،ص 25 وما بعدها. ـ نزهة الحادي بأخبار ملوك القون الحادي، لليفرني، محمد الصغير بن الحاج. مكتبة الطالب ـ الرباط.ط 2، (مصورة عن طبعة باريس بعناية هوداس). ص 71. ـ الاستقصا، 5 / 89 وما بعدها.

(2) المولى الرشيد بن المولى الشريف بن علي السجلماسي (1040 هـ 1630 م / 1072 هـ ـ 1671 م). ـ البستان الظريف، ص 117. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 236 ترجمة رقم 440.

(3) ابن عبد الله العلوي محمد (السلطان) 1204 ت هـ ـ 1789 م ـ سلوة الأنفاس، 3 / 230. ـ الإعلام، للمراكشي 6 / 109. ـ الاستقصا. 7 / 193.

(4) المسجد الأعظم بباب إيلان ـ إيلان ـ هيلانة : التنبيه المعرب، ص 150. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 6 / 128.

(5) التنبيه المعرب، ص 150. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 1 / 94.

(6) محمد بن صالح، صاحب الضريح المشهور بالحومة المنسوبة إليه. ـ الإعلام بمن حل مراكش 4 / 346.

(7) أسسه السلطان أبو الحسن المريني، وجدده السلطان مولانا الرشيد سنة 1080 هـ ثم جدده السلطان سيدي محمد بن عبد الله. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 4 / 342 .

(8) أبو الحسن، علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني. لقبه «المنصور بالله» أفخم ملوك بني مرين (697 هـ 1297 م / 752 هـ ـ 1351 م).ـ المسند الصحيح الحسن، ص 125 وما بعدها. ـ الاستقصا، 3 / 118 - 181 ـ الإعلام بمن حل مراكش، 9 / 171 ترجمة رقم 1405.

(9) أبو العباس ، أحمد بن جعفر الخزرجي : عالم وزاهد. ولد بسبتة ونزل مراكش وبها توفي. (524 هـ ـ 1129 م / 601 هـ 1205 م). ـ التشوف ص 451 وما بعدها. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 1 / 234 ترجمة رقم 87. ـ المطرب في مشاهير... ص 87.

(10) الخافق : الأفق، وهما خافقان : أفق المشرق وأفق المغرب.

عصره. وكَمْ سطَّر حَيائه منْ إمَام كَالمَقّري[1]، وأبي العبَّاسِ الصَّومَعي[2] فِي كِتَابِه المُعزَى[3]، وأبِي العبَّاسِ السُّودَاني فِي نَيْلِ الابْتِهَاجِ[4] وغيرِهم. وُلِد رحمَه اللَّه عَامَ أربعٍ وعشْرينَ وخَمْسمائَة. وهيَ السَّنةُ الَّتي قُبِضَ فيهَا محمَّد المَهديّ بنُ تُومَرْت[5] مؤسِّس الدَّولة. وتُوفِّي يوْمَ الإثْنَين ثَالث جُمَادى الأخيرَة سَنَة إحْدى وستمائَة 601، وفيهَا كَانَ فَتْحُ المَهْديَّة[6] عَلَى يَد النَّاصر لدين اللَّه، أبِي يعْقوبَ المنْصور الموحِّدي[7]. قال ابن الخطيب[8]، كَما فِي النَّفْح:[9] وَرَوْضَته بباب تَاغزوت أحَد أبْواب مُرَّاكُش. ورَمْسُه الَّذي وُوري فيه، كَانَ قبلُ للعلاَّمة ابن رُشْد[10] المتَوفَّى سَنَة خَمسَة وتسْعينَ وخَمْسمائَة. وهيَ السَّنةُ الَّتي تُوفِّي فيهَا أيضاً، فخرُ الدَّولة الموحِّدية: يعقُوب المنْصُور الكُومي[11].

نَعمْ، بَقيَ الطَّبيبُ الفيلَسوفُ بقَبرِه مائَةَ يوْمٍ حتَّى أتَى أهْلُه ونَبَشُوا مَدْفَنَه وحمَلُوهُ إلَى قُرطُبَة. فكَانَتْ تُربةُ فيلسوف الإسلام، تُربةً لأبي العبَّاسِ السَّبْتِي [74] كَمَا سَبَقَ فِي الأزَل.

---

(1) نفح الطيب :7 / 270 - 279 .

(2) أحمد بن أبي القاسم الصومعي صاحب زاوية الصومعة بتادلا (ت 1013 هـ - 1604 م). - نشر المثاني، 1 / 113. - ممتع الأسماع، ص 33 هامش رقم 159.

(3) المعزى في مناقب أبي يعزى. م خ ع رقم 765 د، ص : 94.

(4) نيل الابتهاج.1 / 69 ترجمة رقم 38.

(5) سبقت ترجمته.

(6) في بعض المصادر أن فتح المهدية كان سنة 602 هـ. أنظر تفاصيل هذا الفتح في : - الأنيس المطرب، ص 232 - الاستقصا، 2 / 216.

(7) أبو عبد الله، محمد بن يعقوب المنصور الملقب بالناصر لدين الله : من خلفاء دولة الموحدين. (ت 610 هـ 1213 م). - الحلل الموشية، ص160. - الأنيس المطرب، ص 231 . - الاستقصا، 2 / 214. - الإعلام للمراكشي،167 / 4 ترجمة رقم 535 .

(8) لسان الدين، أبو عبد الله محمد بنعبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني : مؤرخ وأديب وصوفي. (ولد سنة 713 هـ - 1312 م، قتل سنة 774 هـ - 1374م). - نفح الطيب، ج 5 و 7 . - الإحاطة. - جذوة الاقتباس308 ، - السلوة، 3 / 187. - الإعلام بمن حل مراكش، 42 ص 443 ترجمة رقم 613 . - فهرس الفهارس،1 / 379 ترجمة رقم 516 .

(9) وانظر كذلك : - تغريد العندليب، ص 619 .

(10) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الفيلسوف (520 هـ - 1126 م 595 هـ - 1198م). - عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 530 . - التكملة لكتاب الصلة، لابن الآبار. عني بنشره عزت العطار الحسيني. مطبعة السعادة، مصر 20 . - تاريخ قضاة الأندلس، ص 111. - المغرب في حلى المغرب، 1 / 104 . - الإعلام للمراكشي، 4 / 128 ترجمة رقم 516 .

(11) يعقوب بن يوسف بن عبد المومن، من أشهر ملوك الدولة الموحدية. ت 595 هـ.

ثُمَّ القبْران المكْتنفَان برَمْسه، أحَدُهمَا لوالده الفقيه أبي مُحمَّد عبْد اللَّه[1]، والآخَرُ لحَفيده أبي زَكَريَّاء يَحْيى[2] رحمَهُما اللَّه. ممَّا أحْفَظَه لهَذا الوليِّ الصَّالح، بَيْتان جَليلاَن نَسبُهمَا إلَيْه الشَّيخُ[3] رحمَه اللَّه في الاخْتصَار وهُما: [طويل].

فكم من مُصَلٍّ ما لهُ من صلاتـه   سوَى رُؤية المحراب والخَفْض والرَّفْـع
يُرى شخْصُه فوقَ الحصير قائماً   وهمَّتُهُ في السُّوق في الأخْذ والدَّفع[4]

وبَعْدَمَا دَخَلْنا لضَريح أبي العبَّاس المذْكُور، ألْفَيْنا دَاخلَ القُبَّة جَمَاعَةً منَ العُمي يَمْتَحنونَ أعْمى في حفْظ القُرآن لما يَأمُلُه إثْرَ النَّجاح منَ المشَارَكَة في تلكَ الفُتُوحَات المتَكَاثرَة الَّتي تَردُ عَلَى هذَا الضَّريح المهيب. فَأخَذُوا يمْتَحنُونه: هَذَا يَصيحُ به منْ هُنَا، وَذاكَ منْ هُنَاكَ قائلًا: لازلْتَ لَمْ تَحْفَظْ، بَلْ مُحْتَاجٌ إلَى الإمْرَار[5] عَلَى الْكتَاب مَرَّتَيْن أوْ ثَلاَثَة؛ أُسكُتْ، أعدْ... ممَّا لَوْ كَانَ لَهُ هَذَا المسْكينُ منْ أحْفَظ الْحُفَّاظ، لَخَلَطُوا عَلَيْه وَأدْهَشُوهُ. وَغرَضُهمُ الوَحيدُ في ذَلكَ؛ الاسْتئْثَارُ بالفُتُوحَات الْوَاردَة ممَّنْ صفَتْ نيَاتُهُمْ، حَتَّى إذَا حَاوَلَ الْغَيْرُ الْمُشَارَكَةَ عَكَّرُوا عَلَيْه جوهًا طَلَبًا لمَا لَا يَخْفَى. وَالْفَوْضَى، وَعَدَمُ النّظَام يَؤُولُ لأَفْظَع منْ هَذا. وَفي كُلِّ ذَلكَ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ لمَا يَجْري نَظْرَةَ الْمُتَعجِّب في أَلَم.

ثُمَّ خَرَجْنَا وَالْقَلْبُ مُفْعَمٌ أَلَمًا وَحَسْرَةً نَبْتَغي زيَارَةَ أَبي عَبْد اللَّه محمَّد بن سلَيْمَانَ الْجَزُولي[6] مُؤَلفُ دلائل الخَيْرَات. فَكَانَ رَضيَ اللَّه عنه ممَنْ حَازُوا الشَّرَفَ طيناً، وديناً،

---

(1) أبو محمد، عبد الله بن أبي العباس السبتي. صحب والده وسمع منه. ـ التشوف إلى رجال التصوف، لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات (ت617 هـ). تحقيق أحمد التوفيق. مطبعة النجاح الجديدة ـ البيضاء، ط1: 14.4 هـ ـ 1984م، منشورات كلية الآداب الرباط، نصوص ووثائق -1-. ص 454 ـ 461 ـ الإعلام للمراكشي، 222/8 ترجمة رقم 1170.

(2) أبو زكرياء، يحيى (حفيد أبي العباس). ـ التشوف، ص 464.

(3) أبو عبد الله، محمد بن المدني جنون، شيخ الجماعة بفاس (807 هـ 1824م/ 1302 هـ ـ 1883م). ـ شجرة النور، ص 429 ترجمة رقم 1692. ـ فهرس الفهارس 370/1. ـ النبوغ المغربي 297/1. ـ فهرس مزور، ص 90.

(4) البيتان لأبي العباس السبتي. ـ حاشية محمد بن المدني جنون على شرح الزرقاني. (الاختصار 372/1

(5) أمرّه به: جعله يَمُرُّه. وأمررت الشيء أُمرُّه إمرارا إذا جعلته يمر.. اللسان (مرر).

(6) أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي: عالم ومتصوف، و من البارعين في الفقه (807 هـ 1404م/ 870 هـ ـ1460م). ـ نيل الابتهاج، 040/2. ـ ممتع الأسماع، ص 1 وما بعدها. ـ السعادة الأبدية، 10/2 ـ المعسول، 414/3 ـ محمد بن سليمان الجزولي. مقاربة تحليلية للكتابة الصوفية. حسن جلاب مطبعة تينمل، مراكش 1993 م.

وَعلْمًا، وعَملاً. عرِّف به جماعَةٌ كابنِ عَسْكر[1] فِي دَوْحَةِ النَّاشرِ[2]، وَالْفَاسِي[3] فِي مُمتِعِ الْأَسْمَاعِ[4]، والإِفْرَانِي[5] فِي نُزْهَةِ الْحَادِي[6]وَغيْرِهِمْ، فلَا أُطِيلُ. تُوفِّي رَحمه اللَّه سنَةَ سبْعِينَ وَثَمانمائَة 870 ولم يعقب[7] طيب الله ثراه. ودفن برياض العروس داخل المدينة، وبنيت عليه قبة جميلة عام ثلاث وثلاثين ومائة وألف 1133.

ثُمَّ دَخلْنَا مَسْجدَه[8] المؤسَّس عَامَ خمسٍ عشر وسَبْعمائَةٍ 715، وَكَانَ زَمَنَ[9] أَبي الحَسَنِ المَرِيني[10]. وفِي سنَةِ اثْنينِ وثَلَاثِينَ وَمائَةٍ وَأَلفٍ 1132. زَادَ فيه السُّلطانُ المولَى إِسْمَاعيل العلَويّ[11] رحمةُ اللَّهِ علَيْه زيَادة، وَأَتْقَنَه عَلَى الشَّكْلِ المَوْجُودِ الآنَ، وَأَمرَ بإِقَامَةِ الخُطبَة فيه.

كَانَ هَذَا الوَلِيّ المتَرجَم [لَهُ]، مَدْفُونًا ببِلَادِ حَاحَة[12] من السُّوس. وبإِزَائه دُفنَ أَبُو عَبْد اللَّه القَائمِ[13]. وَلَمَا نُقلَ الشَّيْخُ الجزُولِي لِمُرَاكُشَ حَيْثُ هُوَ الْيَوْم، كَمَا سَبَقَ، نَقَلَ السُّلْطَانُ

---

(1) محمد بن علي بن عسكر الحسني العلمي: عالم وصوفي ومؤرخ. ولد بشفشاون سنة 936 هـ ـ 1029م، ومات قتيلا في معركة وادي المخازن سنة 986 هـ ـ 1078م. ـ دوحة الناشر (المقدمة). ـ الإعلام للمراكشي، 5 / 154 ترجمة رقم 642. ـ فهرس الفهارس، 1 / 416.

(2) الترجمة الواردة في الدوحة هي للحسن بن عبد الله الجزولي المتوفى بفاس، وهو غير الجزولي المقصود في هذا الحديث.

(3) محمد المهدي الفاسي: الحافظ المحقق، والصوفي الورع. ت 1109 هـ ـ 1697م. ـ التقاط الدرر، ص 272 ترجمة رقم 412. ـ نشر المثاني، 3 / 80. ـ السلوة، 2 / 316.

(4) من صفحة 1 إلى صفحة 34.

(5) أبو عبد الله محمد الصغير الإفراني: عالم وأديب. توفي حوالي 1150 هـ ـ 1737م. ـ التقاط الدرر، ص 438. ـ شجرة النور، ص 335 ترجمة رقم 1315. ـ الإعلام للمراكشي، 6 / 50. ـ النبوغ المغربي، 1 / 298.

(6) ص 18.

(7) ذهب فلان فأعقبه ابنه أي؛ خلفه. لم يعقب: لم يخلف.

(8) مسجد الشيخ الجزولي. ـ التنبيه المعرب، ص 149.

(9) قوله: وكان زمن أبي الحسن، ربما يقصد، أن التأسيس كان في حياة أبي الحسن المريني وذلك لأن فترة ولايته كانت بين سنتي 731 هـ ـ 752 هـ والتأسيس كان قبل توليه مقاليد الأمور. ولعل ربط التأسيس باسمه بدل ذكر أبي سعيد عثمان بن يعقوب الذي ارتبط تأسيس المسجد بفترة ولايته يأتي لكون أبي الحسن المريني من أشهر ملوك هذه الدولة وأكثرهم آثارا...

(10) مرت ترجمته.

(11) من أشهر ملوك الدولة العلوية (ت 1139 هـ 1727 م)، المنزع اللطيف. ـ الدرر الفاخرة ص 29.

(12) يتصل موطنها برجراجة في بسيط ينعطف ما بين ساحل البحر والجبل الأطلس يفضي ذلك البسيط إلى السوس الأقصى. ويطلق اسم حاحة على كامل بلاد رجراجة مما وراء تانسيفت من الجنوب. ـ آسفي وما إليه، ص 27.

(13) أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله. والمكان الذي دفن فيه يسمى آفغال. (ت 923 هـ ـ 1017م).

أبو العبَّاس أحمدُ الأعْرَج[1] أباه أبا عَبْد اللّه القائم أيضًا. ودفنه بجَنْب ضَريحِ الشّيخ الجزولي.
ولنقْل الوَليّ المتَرْجَم سَبَبٌ[2] لا أُطيلُ به، أُنظرْهُ فِي نُزهَة الإفْرَاني.

وهُنا انتهتْ زيَارَتُنا، وأُبنَا نُريدُ الصَّلاةَ بعدَ أداء ما شُرطَ لَهَا إذْ حَانَ وَقْتُهَا. وحالاً [75] تأهّبنا لذلكَ. وأثْنَاءَ التّهيُّئ، زَارنَا أحدُ نُبغَاء الشَّبَاب؛ الشَّريف مَوْلَاي أحمَد النُّور[3]: أديبٌ، كَاتبٌ، شَاعرٌ، لَهُ يدٌ طولى في فَنِّ اللُّغَة وَمَوَاردهَا، الَأمْرُ الّذي انْدَفعْتُ للمُذَاكَرة مَعَهُ شَيْئاً، رَاجتْ حَوْله أَلْفَاظٌ فَرَكْنَاهَا بالبَحْث (كالَحضر). ومنْ سُوء الحظِّ، وَدَعناه [في][4] هذه اللّحظة الضّيِّقة، ثُمَّ نَهضْنا نُريدُ الصَّلاةَ، فقَصدْنَا مَسْجدَ المَوَاسينَ سَالف الذِّكْر. فَكانَ خَطيبُه إمامُ مسْجد حَارَة الصُّورَة[5]؛ رَجلٌ طَويل القَامَة، أَسودُ، أشْيَبُ، ذُو صَوْت رَقيق، لَا بَأسَ بخَطَابته. وبعْدَ الصَّلاَة خَرجْناَ مَعَ الأخِ العُثْمَانيِّ وتوجَّهناَ صُحْبته إلى مَنْزله. وعنْدَ بَابه، وَجَدْناَ المؤلِّف، السّيدَ مُحمَّد الموقّت[6] يَنتَظرُ الَأخَ العُثْمَانيّ، فَعَرَّفنا الأُسْتَاذ به، وفورًا، طَفقْتُ أُذَاكرُه فيماَ كَتَبَهُ أخيرًا أعني (الرِّحلَة المراكشيَّة)[7] ذلكَ المؤلَّفُ الّذي أقامَ وأقْعَدَ جلَّ الطّبقَات إنْ لَمْ نَقُلِ الكُلَّ. فإنَّه لَمْ يَرْقَ في أعْيُنِ المغَاربَة لما يَضمُّ منَ المسِّ بالعَوَاطف، ويُبْديه منَ المثَالب الّتي يَجْدُرُ بالقَلم أنْ يَستَأْثر بهَا أمَامَ الأُسْلُوب الكتَابيِّ، فتجدُه أحْيَانًا يَضْربُ إلَى طَريقَة حَديث عيسَى بْن هشَام، ممَا دَفعَني لتَحْبيذ عَمَله رَاجيًا منْهُ تَنكُّبَ جُرْحِ العَوَاطفِ والشَّخْصيَات سوَى الحقَائقِ الّتي لا تَسْمَحُ غيْرةُ المسْلم الكاملِ بالمُمَالأة عَلَيْهَا.

والمؤلِّف؛ ابنُ الموقّت هذَا، يَبدُو عَلَيْه سُكونٌ حَسَب مَا شَاهدْتُ منْ مَلامحه؛ طَويل السُّكوت. غيرَ أنَّني لَمْ أحكُم عَلَيه أثْناءَ هاته النَّظرَة الأوّليَّه القصيرَة. وبعدَ مُذَاكرَة قصيرَة، نَهَضَ يُريدُ أنْ يَأْتِيني ببَعْضَ مُؤلّفَاته، فانْصَرَفَ. وإثْرَ برهَةٍ، أتَاني بكتَابَيْن:

---

(1) أحمد الأعرج بن محمد: ثاني ملك في دولة السعديين.ت 960 هـ /1552م. ـ الإعلام للمراكشي، 2 / 231 ترجمة رقم 198. ـ الاستقصا، 5 / 13.

(2) هناك أكثر من سبب، أنظر بعضها في: ـ الاستقصا، 5 / 15. ـ ممتع الأسماع ص 15.

(3) مولاي أحمد النور المراكشي، شاعر وأديب (1329هـ ـ 1911م/ 1366هـ ـ 1946م). ـ من شعر أحمد النور المراكشي. جمع وتعليق أحمد متفكر. المطبعة والوراقة الوطنية ـ مراكش 1990 من صفحة 13 إلى صفحة 30.

(4) في الأصل: عن.

(5) ـ التنبيه المعرب، ص 150. ـ الإعلام للمراكشي، 1 / 94.

(6) أبو عبد الله، محمد بن محمد المسفيوي المراكشي المدعو بابن الموقت، فقيه ومؤرخ. (1312هـ ـ 1894م/ 1396 هـ ـ 1949م). ـ معجم المؤلفين، 11 / 305. ـ معجم المطبوعات العربية، 2 / 1724. ـ التأليف ونهضته، 1 / 215.

(7) الرحلة المراكشية، مطبعة البابي الحلبي 1351 هـ (3 أجزاء في مجلد).

1) السَّعَادةُ الأبديَّةُ [1]. 2) لبَابُ القَاري منْ صحيح الإمَام البُخَاري. ثُمَّ أَحَالني عَلَى الرِّحلة المرَّاكُشيَّة، أنْ أَحُوزَهَا من الكُتبي الزَّعْري[2] بجَارَتنَا سَلَا. ثُمَّ رجا منِّي تقَايِيدي المطْبوعَة. وفعْلاً أبْرَدْتُهَا لَهُ بَعدَ الرُّجوعِ وفاءً بالوَعْد[راجعْ أوَّل الأيَّام]. ولَمْ يسْتقرَّ ابنُ الموقِّت المذْكور مَعنَا غير هُنيَّة[3]. ثمَّ استأذَنَ في الذَّهاب. فلَمْ نَلْبَثْ أنْ أَخَرْنَاهُ رَيْثَمَا يَتَناولُ الشَّايَ مَعَنَا، قَالَ: إنَّهُ مُقَاطعٌ لَهُ، وشُربُ البنِّ أيضًا. فقُلْنَا لَهُ: وكيفَ حالُك إذًا مَعَ أهلكَ؟ أجَابَ: لَقَدْ ارتكبتُ، في صَرفِهم عنْ ذَلكَ والمشَارَكة لي في الفكْرَة، حيلَةٌ وهيَ: أخذْتُ أجلُب لَهمْ مَا خَبُث منْ نوعِ الشَّاي حتَّى كَرِهُوه عنْ طَوَاعيَةٍ واخْتيارٍ. فَنجحَتْ بهَذَا حيلَتي[وخلصْتُ][4] منْ هذا المأزق الحَرج. فصوّبنا فكْرتَه وحيلتَه. وتمنَّيتُ وَقْتَه لَوْ يحضرُ الرَّفيقُ المحرِّم ويرى منْ أنْصَاره ما يَسْتَدُّ[5] عضُدَه. وبكلٍّ أسَف، وجدَه الحالُ سَافرَ لمسْقَط رَأْسه. ونَحْنُ كَذَلكَ، والعَصْرُ آذَنَتْ بوَقْتهَا، فتَهَيَّأْنَا لَهَا. وبعْدَ الأداءِ خَرَجْنَا صُحْبَةَ الأُسْتَاذ المختَار، وذَهَبْنَا لنَاحية (جامع الفنا)، وأخذْتُ [76] بطَاقَة السَّفَر غدا العشيَّة الحَاضرة. في هذه الآونَة، نَطَقَ أحدُ الزُّمَلَاءِ قَائلاً: « الْمُنْبَتُّ لا أرضًا قطعْ، ولَا ظَهرًا أبْقَى »[6]. قالُوا جَميعًا: كَمَا قالَ عَلَيْه السَّلَامُ، فقُلتُ إذْ ذاكَ: أَعْلَمُه منْ كَلَامِ سيِّدنا عُمَر[7]. فصمَّمُوا عَلَى أنَّه حَديثٌ. نَعمْ، راجعْتُه بعدَ ذَلكَ، فإذَا هُوَ حَديثٌ رَواهُ البزَّار[8] عَن جَابرٍ[9] بلَفظ: « إنَّ هَذا الدِّينَ مَتينٌ، فأَوْغلْ فيه برفْقٍ، فإنَّ المنْبَتَّ[10] لا أرضاً قطَعَ ولا ظهراً أبْقى ». نَعَمْ، لا مَانعَ أنْ يَكونَ الفارُوقُ رضيَ اللَّه عنهُ، اقْتَبَسَ آخرَه منْ كَلَامِ الرَّسول صلَواتُ اللَّه عليه، فنُسبَ إلَيْه. وهناكَ روايةٌ أخْرى في الحَديثِ هيَ: فإنَّ المُحقّقَ لا أرضاً قطَع، ولا ظَهراً

(1) السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية. مطبوع على الحجر سنة 1335 هـ.

(2) محمد الزعري، توفي سنة 1383 هـ - 1963م.

(3) نقول: هنية وهنيهة بمعنى واحد.

(4) في الأصل: خصلت.

(5) استد الشيء إذا استقام. اللسان (سدد).

(6) جزء من حديث وتمامه: « إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق. فإن المنبت ». الحديث. - الجامع الصغير، ص 151 حديث رقم 2509.

(7) عمر بن الخطاب: ثاني الخلفاء الراشدين. (40 ق هـ - 23 هـ). - طبقات ابن سعد، 3 / 265. - صفة الصفوة، 1 / 268. - حلية الأولياء، 1 / 38. - النزهة السنية، ص 41. - الإصابة، 2 / 518.

(8) أبو بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار. من حفاظ الحديث (ت 292 هـ - 905م). - تاريخ بغداد، 4 / 334. - تذكرة الحفاظ، 2 / 204. - ميزان الاعتدال، 1 / 59.

(9) جابر بن عبد الله بن عمرو الخزرجي الأنصاري. صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي (ص). (16 ق هـ - 607 م/ 78 هـ 697 م). - الإصابة، 1 / 213. - أعلام الزركلي، 2 / 104.

(10) انبت الرجل في السير: جهد دابته حتى أعيت. اللسان (بتت).

أبْقى. وهوَ بمَعْناه. وقدْ لمحَ للحديث المذكورِ أبو الحجَّاج يوسفُ بن محمد البلَوي[1] في كتابه «ألفْ باء» بقطْعَةٍ لَهُ في الزُّهد قالَ:[كامل].

وأطعْ إلاهكَ ما استطعتَ ولا تكـن   في السَّيْر مُنبَتاً ولكنْ فارْفُـقِ
فـالـرِّفْقُ زَيْـنٌ والـمُعدُّ لـسَيْـــرِه   لا أرْضَهُ انقطعتْ ولا ظهراً بَقـي
فاطْلُبْ لنفْسكَ فوْزَها وانْظُرْ لَهـا   نَظَرَ الشَّفيقِ وخفْ عليْها واتَّقي[2]

وبَعْدَ هَذا، أردْنا عَربةً نَبْتَغي زيارَةَ السَّادات السَّعْديينَ برَوْضَتهِمْ، والتَّفسُّحَ بأطْرافَ مرَاكُش. أجَلْ، فبكُلِّ أسَف، ألفَيْنا بَابَ المقْبَرَة مغْلَقاً. وحَالاً، مَرَرْنا عَلى القَصبَة[3] الفَسيحَة الَّتي تُنبئُكَ آثارُها وفَخامَتُها عَلى عَظَمَة مُؤسِّسهَا المنْصور الموحِّدي، وذلكَ سنَةَ إحْدى وتسعين وَخَمْسمائَة 591، حينَمَا ذَهبَ لغَزَاة[4] الأرَاك[5] بالأنْدلُسِ الَّتي كَانَ منْهَا للإسْلَام النَّصرُ الباهرُ؛ إذْ حلَّقتْ فيهَا رَايَاتُ الموَحدينَ ولوَاؤُهمُ الأبيضُ المنْصُورُ مكْتُوبٌ عَلَيْه: لاَ إلَه إلَّا اللَّه، محمَّد رسولُ اللَّه،لا غالبَ إلاَّ اللَّه. وقُتلَ فيها منَ الكَفَرَة مَا لاَ يعدُّ ولاَ يُحْصَى. وَبَيْنَ هَاته الغزاة والزَّلاَّقة [6] مائةٌ واثْنا عَشَرَ سَنَة 112.

نَعَمْ، وقفنا عَلى صَهْريجٍ (حوْض) آخَرَ يُعْرَفُ بصَهريجِ البقَرِ. وهُوَ منَ الكبَرِ والفَخامَة ما يَقْرُب منَ المَنارَة وغيْرها منَ الصَّهاريجِ المرَّاكشيَّة، ثمَّ انْعَطفنا نَبْتَغي بُسْتانَ الحارْثي. فجَلَسْنا به، نَسْتَنْشقُ نَسيمَ العَشيِّ بتِلْكَ الحَديقَة الغَنَّاء الَّتي تَجْلو الشُّجونَ والأحْزانَ بمَنْظَرِها البَهيِّ، وجَمالِها السَّاحرِ. ونُشاهدُ ذَهَبَ الأصيلِ يُحيِّى أطرافَ النَّخيلِ بالرَّحيلِ. هناك، فاضت قرائحُنا بمُساجَلَة لَطيفَةٍ قَصيرَة: (بيَانُ رُموزِ المسَاجلينَ: الخاءُ للأسْتاذ المُخْتار، والسِّينُ لابْنِ العبَّاس الجرَّاري، والعينُ لمحَمَّد بن عثمان المرَّاكُشيِّ)، ونصُّها:[كامل].

خـ: هـاذي مناظرُ تَبْهَرُ الألـبـابَــا   س: تُسْلي الهُمومَ وتُذْهبُ الأتعابَا
ع: وتصيِّـر الـقـلـبَ الـحـزيـنَ مـهـلَّـلاً[7]   وتحـلُّ للفكْرِ المُحَلِّـقِ بـابَـا [77]

---

(1) أبو الحجاج، يوسف بن محمد البلوي المالقي، عالم باللغة والأدب. (529 هـ ـ 1135م/604 هـ ـ 1207م). ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة. مطبعة المثنى، بغداد. د. ت، ص 471. ـ معجم المطبوعات العربية، 1 / 299. ـ أعلام الزركلي، 8 / 247.

(2) ـ ألف باء. ليوسف بن محمد البلوي. عالم الكتب، ط 2 ـ 1405 هـ ـ 1985 م. 1 / 127. ـ نفح الطيب، 3 / 227.

(3) قصبة مراكش. ـ الإعلام بمن حل مراكش، 10 / 265.

(4) الغزاة: عمل سنة أما الغزوة فهي المرة الواحدة من الغزو. اللسان (غزا).

(5) كانت سنة 591 هـ. أنظر تفاصيلها ونتائجها في: ـ الاستقصا، 2 / 185 وما بعدها.

(6) كانت سنة 479 هـ في الجواز الأول ليوسف بن تاشفين إلى الأندلس.

(7) تهللا الوجه فرحا: تلألأ وأشرق. اللسان (هلل).

د : و يد الطـبيعة نشّرت حبراتـهـا[1] فـبَـدا الأَصيـلُ مُنَمْـنَما[2] خلاَّبـا

خـ : والشَّمسُ تغربُ باصْفرارٍ مثـلَمَـا س : وقـف الـمحبُّ يودِّعُ الأحبابَـا

وإِثْرَ هـذا، رجَعْنا نَؤُمُّ المدينَة. وأثْناءَ الطَّريق، ودَعتُ الأُستاذَ المُختارَ وبَقيتُ والأُستاذَ العُثمانيّ. فحتَّم عَليَّ وقتَهُ الصُّحْبَةَ مَعَهُ لمنْزله، فساعَدْتُ. وبعدَ ظَرْفٍ يَسيرٍ، أتى الأخ ابراهيم، وبصُحْبته النَّابغةُ الأديبُ مَوْلايَ عَبدَ اللَّه بْنُ ابرَاهيم[3] والسَّيِّدُ عَبد القَادر حَسَن[4]. فخُضْنا في شيْءٍ منَ الأدبِ يَرْمي نَحْو (أحلَى المشَاهد)، ثُمَّ فارَقْتُ الأَصْدقاءَ. ويَعْلمُ اللَّهُ ألَمي [في] تلْكَ اللَّحظَة الحَالكَة الَّتي أنْشَدْنا فيهَا :[وافر].

أُوَدِّعُكُم وأُودعُـكُـم جَنَانِـي وأنثُر أدمعِي مثلَ الجُمان[5]

ولَوْ نُعطى الخيارَ لما افترقْنــا ولكنْ لا خيارَ مع الزَّمَـان[م]

ثُمَّ انْصرفْتُ معَ الدَّليل. ويعلَمُ اللَّهُ مَا يحملُه الفُؤادُ منْ حَرِّ الزَّفرات، ومَا يُكابدُهُ منْ مَرارَة الفُرقَة. فنمْنا إلى الخَامسَة، فاسْتَيْقَظْنا. وبعدَ أداء ما وَجبَ، تَناولَ الأخُ مَعي الأثْقالَ إلى مرْكَزِ السَّيارَة ولَزمَني إلى أنْ تحرَّكت السَّيارةُ، فجَزاه اللَّهُ خَيْراً.

ثُمَّ جَعلت الـمُقلَّةُ تقطعُ الفَلَوات قَطعاً إلى أنْ بلَغت البَيْضَاء، فوقفَتْ هُناكَ نحواً منْ رُبْعِ سَاعَة، في ختامها استَأْنفَتْ سَيْرَها تَؤمُّ الرِّباطَ واسطَةَ العقْد. وهنَاكَ اجْتَمَعتُ ببَعْضِ إخْوانِنا منَ الشَّبابِ الرِّباطي، فناوَلَني أحدُ الزُّملاءِ مَجَلَّةَ المغْرِب[6] الرِّباطيَّة، فاشْتَغلْتُ شَيْئاً

---

(1) حبرت الأرض حبرا: كثر نباتها.

(2) المنمنم: المزخرف. اللسان (نمم).

(3) عبد الله ابراهيم المراكشي، من الوطنيين الذين كافحوا من أجل استقلال المغرب. شغل عدة مناصب بعد الاستقلال منها أنه كان وزيرا للشغل ثم رئيسا للوزراء. ـ التأليف ونهضته، 2 / 390. ـ الشعر الوطني ، ص 259.

(4) عبد القادر حسن المراكشي، شاعر ومن أنشط المثقفين في الحركة الوطنية. ولد سنة 1334 هـ ـ 1915م.ـ التأليف ونهضته، 2 / 378. ـ الشعر الوطني، ص 259. ـ تراجم الموقعين، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير. مطبعة الرسالة، الرباط. 1993 م. ص 104. توفي.

(5) وينسب البيتان كذلك لابن رشيد، وقد وردا في مصادر ومراجع نذكر منها: ـ ملء العيبة، 5 / 267. ـ نفاضة الجراب، 3 / 229. ـ الرحلة المغربية ، ص 120. ـ ماء الموائد (الرحلة العياشية) ، لأبي سالم العياشي. طبعة مصورة بالأوفست، وضع فهارسها محمد حجي. الرباط 1397 هـ ـ 1977م. 20 / 250. ـ الأدب العربي بالمغرب. لعبد الحي الكتاني. م خ ع 3067 ك ص 39. ـ الإلغيات، لمحمد المختار السوسي. مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1963م. 20 / 174. ـ الرحلة في العصر المريني، للحسن الشاهدي. منشورات عكاظ، 1990 م 20 / 445.

(م) والبيتان ينسبان للقاضي عبد الوهاب.

(6) صدر أول عدد منها سنة 1932 م.

بمطالَعَتها.

نَعم، كَانَ بجَنْبي رجلٌ تونُسيٌّ غَدا يَبْحَثُني عَن[1] رجال الرِّباط وعُلَمائه المتَقدِّمينَ والحَاضرينَ، وعمَّنْ يقُومُ وقْتَه بالتَّدريس، وكَمْ منْ مَدَارسَ عنْدَكُم، ومنْ مَساجدَ؛ وبالأخَصِّ جَوامعَ الخُطْبَة. فكنتُ أُخبرُه عنْ أسْئلَته حَسَبَ ما أعلَمُ. وبعْدُ، وجَّهت إلَيه سُؤَالاً: منْ أينَ حَضْرَتُكُمْ؟ فقَالَ فُلانٌ. ثُمَّ ناوَلني بطَاقَة تَعْريفه فإذا هُو: عبدُ الرَّحمان سُومرُ مُعلِّم اللُّغة العَربيَّة. وحالاً، طَلَبَ منِّي تَعْريفي، فقدَّمتُه لَهُ. ثُمَّ ذَكَر لي منْ مُؤلَّفاته عدَّةً منْها: (النَّتائجُ الفكريَّةُ في المبادئ العلْميَّة). ثُمَّ جعلتُ أسْتَفْهمُه عنِ الحَالة التُّونسيَّة أدباً، ومادَّةً. فأخبرَني بمَا أعرفُه عنْها وزيادةً. ثمَّ قلتُ لَه: حَدِّثني عَمَّا اسْتَنْتَجته حَضْرَتُكمْ منْ هذه الرِّحلَة المغْربيَّة، وكَيفَ كَانَ المَغْربُ في نَظركُم أيُّها الأستاذُ؟ قَالَ: [78] المَغْربُ قُطْرٌ طَيِّبٌ كَريمٌ. وأهلُه أهلُ غيرَةٍ فذَّة علَى دينهمْ وبلادهمْ. وأكْرمْ بذَلكَ مَعَ ما يلُوحُ عَلَيْهمْ منَ الوَداعَة ودَماثَة الأخْلاق. بَيْدَ أنَّني أُلاحظُ شَيْئاً واحداً تركَني أتنفَّس الصُّعَداءَ ألَماً. وسُرعَانَ ما بَادرتُه سائلاً: ومَا هُوَ يا جنَابَ الأُسْتَاذ؟ قَالَ: الظُّلْمُ السَّائدُ بهَذا الوَطَن العَزيز. إيْ مَوْلاي؛ إنْ كانَ تَبيِّنه اخْتبارُكم عَلى العُمُوم كَما تَلمَعُ به عبَارَتُكم، فَلَيْسَ بذَاكَ. وإنْ كَانَ مَلْحَظُ فكْركُم خُصوصيٌّ نسْبيٌّ، يُمْكنُني مَعَهُ مُسَايرَتكُم وإيَّاه. عَلَى أنَّ الظُّلمَ مطْبوعٌ عليْه كلُّ إنْسَان غريزيَّ في خَليقَته. يَقُولُ أبو الطَّيب[2]: [كامل].

والظُّلمُ منْ شيَمِ النُّفوسِ فإنْ تَجدْ ... ذَا عفَّةٍ، فلعلَّة لا يَظْلمُ[3]

وبَقينا نَتباحَثُ إلَى الرِّباط. نَعمْ، ضَرَبْنا مَوعدَ اللِّقاء غَد اليَوم إنْ أمْكَنَ أو بَعْدَ غَده في سَاعة مُعيَّنة، ومنْ سوء الحَظِّ، مَا تَيسَّر غَد اليوْم الحَاضر؛ بَلْ بَحثْتُ عَنْهُ بعْد غَده، فلم أظْفَر به لدى السَّاعة المرْسُومَة وفاءً بالوَأْي[4] ورَجاءَ البَحْث والاسْتنْتاجِ اللَّذيْن بهما يَتمُّ ما سُطِّر، وينْفسحُ ما ذُكر، والسَّلامُ.

الأحد جمادى الثانية 19 / 6 / 1353هـ 1934 م [79].

---

(1) بحث عن الشيء: سأل واستقصى. المعجم الوسيط (بحث).

(2) أحمد بن الحسين: أشهر شعراء الدولة العباسية والأدب العربي. ولد 303 هـ- 916 م، وتوفي سنة 353 هـ- 966 م. - تاريخ بغداد، 4 / 102. - المنتظم، 7 / 24. - وفيات الأعيان، 1 / 120. - أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، لأنيس المقدسي. دار العلم للملايين، بيروت. ط 12 / 1979م. ص. ص 327 - 361.

(3) البيت من قصيدة (36 بيتا) مطلعها:

لهوى النفوس سريرة لا تعلم ... عرضا نظرت وخلت أني أسلم

- شرح البرقوقي، 4 / 235.

(4) الوأي: وأي فلان يئيه وأيا: وعده. اللسان (وأى).

- فهرست محتويات الرحلة

فرغ من نسخها محمد الجراري إبن مؤلف عشرة أيام في مراكش
آخر غشت سنة 1965 ـ 1385 .[83].



د. عبد المجيد بنجلالي

... وأشهد أن العمل في هذا النص لم يكن سهلاً ولا ميسّراً، لإيراده أسماء أعلام ومواقع، ولاحتوائه معلومات مختلفة، ولإثارته قضايا كثيرة كانت بنت وقتها. وهي مصاعب ما كان يمكن تجاوزها والتغلب عليها، لولا حنكة المحقق وتمرّسه وصبره وأناته، وشغفه بالبحث الدقيق مهما يكن شاقاً وشائكاً.

لذا، فإن سعادة كبيرة تغمرني بتقديم هذه الرحلة منشورة، آملاً أن تكون إضافة إلى ما أنتجه المغاربة في هذا الميدان، وأن يفيد منها المعتنون بفكر المغرب وأدبه وسائر متعلقاته، إبان فترة ما زالت كثير من جوانبها مجهولة أو غامضة.

أما الباحث المحقق الأخ الكريم السيد عبد المجيد بن الجيلالي، فله مني بالغ التنويه وفائق التقدير، مشفوعين بخالص الدعاء أن يديم الله عليه معهود عونه وتوفيقه.

الرباط في 23 جمادى الأولى 1423 هـ
الموافق 3 غشت 2002 م

عباس الجراري